سليمان العيسى

شُعَراؤنا
يُقَدِّمُونَ أَنْفُسَهُمْ لِلأَطْفالْ

رسوم

حسن الجوني
عبد الرحيم ياسر
طارق العسلي
حسيب الجاسم



دار الآداب للصغار

سليمان العيسى

شُعَرَاؤُنا
يُقَدِّمُونَ أَنْفُسَهُمْ لِلْأَطْفال

الجزء الأول

١ - المقدِّمة

٢ - أبو تَمَّام



عَلَى ٱلمقْعَدِ الخَشَبِيِّ الأَخْضَر

مقدِّمة

أَصْدِقَائي الصِّغار..

في صَباحِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الرَّبيعِ الحُلْوَةِ، كُنْتُ جالساً علَى مَقْعَدٍ أَخْضَرَ مِنَ الْخَشَبِ، في الحديقَةِ العامَّةِ الكَبيرَةِ بمدينـةِ حَلَبَ، أَقْرَأُ قَصيدَةً رَائِعَةً مِنْ قَصائدِ الشاعرِ المُحارِبِ أَبي فِرَاسٍ الحَمْدانيِّ، وَأَنا غَيْرُ بَعيدٍ عَنْ تِمْثالِهِ الرَّشيقِ البَديعِ الذي أُقِيمَ في أَبْرَزِ مكَانٍ منَ الحديقةِ تَخْليداً لِذِكْراهُ.

وشَغَلَتْني القَصيدةُ عَمَّا حَوْلي مِنْ مناظِرَ جَميلَةٍ، وأَشْجارٍ باسِقَةٍ[1]، وكِبارٍ وَصِغَارٍ يَمْلَؤُونَ المُتَنَزَّهَ الواسِعَ،

(١) باسقة: عالية.

رائحين فيه غادين.

وَفجْأَةً... رأَيْتُ بُلْبُلاً تَنْعَكِسُ على ريشِهِ أَبْدَعُ أَلْوَانِ الطبيعَةِ، يَهْبِطُ منَ الشَّجَرَةِ المُجَاوِرَةِ،وَيَحُطُّ على طَرَفِ المقْعَدِ الخَشَبيِّ. الى جِواري، كأَنَّهُ صديقٌ قَدِيمٌ، يَعْرِفُنِي وأَعْرِفُهُ مُنْذُ أَمَدٍ[1] بَعِيدٍ. ورفَعْتُ بَصَرِي عَنِ الكتابِ الذي بِيَدِي. والْتَفَتُّ بِهُدُوءٍ الى هذَا الجارِ الجَديدِ الذي وقَفَ الى جانِبِي. وَأَخَذَ يُحَرِّكُ رأسَه الصَّغيرَ، وذَيْلَه الأَصْفَرَ بِرَشَاقَةٍ آسِرَةٍ،[2] كأَنّما يُرِيدُ أَنْ يَتَحَدَّثَ اليَّ.

ولا بُدَّ أَنْ أَعْتَرِفَ. يا أَصْدِقَائي الصِّغارَ، أَنِّي لَمْ أَشْهَدْ عُصْفُوراً قَبْلَ اليَوْمِ يَقْتَرِبُ مِنْ أَحدٍ في بَلَدِي، دونَ أَنْ يَخافَ، لِأَنَّنا لَمْ نُعَوِّدْ هذهِ المَخْلُوقاتِ الحُلْوَةَ الصَّغيرَةَ حَتَّى الآنَ كيف تُصْبحُ صديقَةً لنا، ونُصبِحُ أَصدِقَاءَ لَهَا. ولا بُدَّ أَنْ نَتَعَلَّمَ ذَلِكَ في يَوْمٍ منَ الأَيَّامِ. ولذلِكَ مَدَدْتُ يَدِي بِهُدوءٍ الى البُلْبُلِ الجَميلِ، وداعَبتُ

(١) منذُ أَمدٍ: منذ حينٍ. (٢) آسِرَة: فاتنة. تملِكُ القلبَ.

ريشَهُ الأَصْفَرَ، وأَنا أَخْشَى في كُلِّ لَحْظَةٍ أَنْ يَفِرَّ هارباً الى مَكَانٍ بَعيدٍ. ولكنَّهُ لم يَهْرُبْ ولم يُحَاوِل ذلكَ. وإِنَّما أَخذَ يَضرِبُ ظَهْرَ يَدِي بِمِنْقَارِهِ اللَّطيفِ. كأَنَّهُ يُبَادِلُني الوُدَّ والدُّعَابَةَ. وتَمنَّيْتُ، في تِلْكَ اللَّحْظَةِ، لو كَانَ مَعِي شَيْءٌ من فُتَاتِ الخُبْزِ او الحَبِّ أُطْعِمُهُ إِيَّاهُ. ولكنِّي لاحَظْتُ أَنَّه لم يكُنْ يُريدُ طَعاماً. كانَتْ عَيْنَاهُ الصَّغيرتانِ عالِقَتَيْن بِصَفْحَةِ الكِتَابِ الَّذِي فِي يَدِي، بِأَبْيَاتِ القَصِيدَةِ الَّتي كُنْتُ أَقْرَؤها. يا لَلْعجَبِ! هَلْ يُحِبُّ هذا العُصْفُورُ الرائعُ قِراءَةَ الشِّعْرِ مِثْلي؟

لَمْ يَتْرُكْني جاري البُلْبُلُ أَتَرَدَّدُ وأُفَكِّرُ طوِيلاً في المَوْضُوعِ.

لَقَدْ فاجَأَني قَائِلاً:

نحنُ العَصَافير، ولا سِيَّمَا البَلابِل، عاتِبُونَ عليكُمْ، أَنْتُمُ الكُتَّابُ والشُّعَرَاء. إِنَّكُمْ تَدَّعُونَ

صَدَاقَتَنا . ولكِنَّكُمْ
في الحَقيقةِ مُقَصِّرونَ مَعَنا .. مُقصِّرونَ كثيراً .. رُبَّما كُنْتُمْ أَقْرَبَ النَّاسِ الينـا . هذَا صَحِيحٌ . ولكنْ .. لماذَا لا تُفِيدُونَنا كما نُفِيدُكُمْ ؟ وَلاَ تُعْطُونَنَا كَمَا نُعْطِيكُمْ ؟

إِنَّنَا نُحِبُّ الشِّعْرَ والمُوسِيقَا كَمَا نُحِبُّ الحَدَائِقَ والاطْفَالَ . وَنَحْنُ نُغَرِّدُ ونُغَنِّي لَكُمْ مُنْذُ أَقْدَمِ العُصُورِ ، ونُمْتِعُكُمْ بِسَقْسَقَتِنَا وأَصْوَاتِنا العَذْبَةِ مُنْذُ خُيُوطِ الفَجْرِ الأُولَى ، حَتَّى نأويَ الى أَعْشَاشِنَا مع آخرِ شُعَاعٍ مِنْ أَشِعَّةِ الغُرُوبِ . ولكنَّكُمْ لم تُعَلِّمُونا بَيْتاً واحداً مِنَ الشِّعْرِ حَتَّى الآنَ .

نَحْنُ الطُّيُور نَعْرِفُ جَيِّداً أَنَّ لَدَيْكُمْ في هَذَا البَلَدِ ثَرْوَةً من الشِّعْرِ الجميـلِ الخالدِ . الذي

يَأْخُذُ إنْشادُهُ بالألْبـابِ [1]. وتَسْتَهوِي معَانيهِ ٱلعُقُولَ. ولَقَدْ حدَّثنَا القُدَمَاءُ من أَجْدادِنَا ٱلبَلاَبِلِ أَنَّ الشِّعْرَ ٱلعَرَبِيَّ يَمْلِكُ مِنَ المُوسِيقَا والنَّغَمِ مالاَ تَحْلُمُ به حَناجِرُ الطُّيورِ المَوْهُوبَةِ، وأَصْوَاتُهـا المُطْرِبَـةُ. لماذَا لا تُعْطُونَنـا كما نُعْطِيكُمْ؟ وتُمْتِعُونَنَا كَمَا نُمْتِعُكُمْ؟ لِماذَا؟...

وَأَحْسَسْتُ يـا أَعِزَّائِي الصِّغـار بِرَعْشَةٍ تَسْرِي في أَوْصَالي [2] كُلِّها. وانا أَسْتَمِعُ إلى جارِيَ البُلْبُلِ يَنْهالُ [3] عَلَيَّ بهذا ٱلعِتَابِ الرَّقيقِ المُؤَثِّرِ. دونَ أَنْ يَخْطُرَ لي عَلَى بالٍ أَنَّ هذَا العُصْفُورَ السَّاحِرَ الرَّشيقَ سَيَتَكَلَّمُ، وأَنَّ كَلِمَاتِه تَسْتَطِيعُ أَنْ تَهُزَّ

---

(١) الألباب: العقول. (٢)الأوصال: المفاصل والأطراف في الجسم. (٣) ينهالُ: ينصَبُّ

المَشَاعِرَ، وَتَنْفَذَ الى الأَعْماقِ.

وَهَدَأَ العُصْفُورُ السَّاحِرُ الرَّشِيقُ قليلاً. كأَنَّمَا كانَ يَنْتَظِرُ جَوَابِي. ولكِنَّ عَيْنَيْهِ الصَّغيرتَيْن ظَلَّتَا تَنْظُرَانِ الى صَفْحَةِ الكتابِ المَفْتُوحِ في لَهْفَةٍ وفُضُولٍ.

قُلْتُ لَهُ في صَوتٍ خفيضٍ:

أَهْلاً بكَ أَيُّها البُلْبُلُ الجَميلُ. أَهْلاً بِكَ أَيُّهَا الصَّديقُ الساحِرُ. لَقَدْ عَوَّدْتَنَا أَنْ تُعْطِيَ أَجْمَلَ ما عِنْدَكَ. دونَ أَنْ تَطْلُبَ شيئاً مُقَابلَ ذلكَ. عَوَّدْتَنَا هَذَا الكَرَمَ حَتَّى نَسِينا حَقَّكَ علينا. أَنْت ورِفَاقِكَ العَصافِيرِ. وحَكَّ ظَهْرَ يَدِي بطَرَفِ مِنْقَارِهِ الحُلْوِ الصَّغيرِ. كأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعَبِّرَ عن سُرورِهِ

بكَلِماتي . ثُمَّ تابَعْتُ قائلاً :

لم يَخْطُرْ ببال أَحَدٍ، في يَوْمٍ من الأَيَّامِ ، أنَ البلابِلَ تُريدُ أَنْ تَحْفَظَ الشِّعْرَ، ولا سِيَّمَا الشِّعْرُ العَربيُّ . إنَّ شَبابَنا وَأَبْناءَنَا الكِبَارَ قد أَصْبَحُوا يتَقَاعَسُونَ[1] عن حِفْظِ قَصيدةٍ، وَيَهْرُبون منها . وقاطَعَني جاري البلبُلُ قائلاً : عَجِيبٌ مَا اسْمَعُ . كَيْفَ يَهْرُبُ الانسانُ مِنْ أَجْمَلِ شَيْءٍ في حياتِهِ؟

قُلْتُ: هذا هُوَ الوَاقِعُ. ولكِنَّ شِعْرَنَا العربيَّ الجميلَ يَظَلُّ ثَرْوتَنَا، وزادَنَا [2]، ونَبْضَ الحياةِ فينا .

إنَّ عصافيرَنا الصَّغيرة - أَعْني أَطْفالَنا - يُطَالِبُونَنا مِثْلَكَ بالأَناشِيدِ الحُلْوَةِ،

---

(١) يتقاعسون: يتراجعون. يتكاسلون.
(٢) زادنا: قُوتَنا، غِذاءنا.



لِيَحْفَظُوها، وَيُنَافِسُوا ٱلبلابِلَ بِغِنائها.

إنَّ روحاً جديدةً تَسْري في وَطَنِنا، والأَمَلُ كُلُّ الأَمَلِ في ٱلبَراعِمِ الصغيرةِ القادمةِ، يا جارِي العَزِيز.

قال البُلبلُ:

إذاً. عُدُّونا بَيْنَ الأَطْفالِ. وعَلِّمُونا مِثْلَهُم هذهِ الاناشيدَ. أَلَيْسَ الأَطفالُ والعَصافيرُ من فصيلَةٍ واحدةٍ، وَذَوْقٍ واحدٍ؟

قُلْتُ:

هذا اقتِراحٌ رائعٌ يا شاعِرَ الطُّيورِ الأَوَّلَ. يُعْجِبُني فيكَ هذَا الطُّموحُ.

- أَيُّ طمُوحٍ ؟

- طُموحُكَ الى تَثْقيفِ نَفْسِكَ، وَتَوْسيعِ آفاقِكَ. ستكونُ شاعرَ الطيورِ

المُثَقَّفَ الذي يَحْفَظُ الشِّعْرَ الجميلَ، وَيَرْوِيهِ.

- بَلْ أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ شيئاً عن حياةِ الشُّعَراءِ وأَخْبارِهِمْ. إِنَّ حياتَهُمْ تَهُمُّني كما تَهُمُّني أَشْعارُهُمْ. وسأنقُلُ ذلكَ الى رفاقي البلابِلِ، وسنُؤَلِّفُ مدْرَسَةً كُبْرَى نُسَمِّيهَا: «مَدْرَسَةَ البلابلِ المُثَقَّفَةِ».

هَيَّا.. نَبْدَأُ مَشْروعَنا مُنْذُ اليَوْمِ.

قُلْتُ لصديقي الصَّغير المُتَحَمِّسِ:

- ومَنْ قَالَ لكَ إِنِّي لَمْ أَبْدأْ المشْروع؟ إِنّي أَكْتُبُ للأَطْفَالِ مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ. أَكْتُبُ لَهُمُ الاناشيدَ، والقصائِدَ.

والمَسْرَحيَّاتِ الشعريَّة القصيرةَ. والحكاياتِ التي تُغَنِّي. لقدِ اتَّخَذْتُ شِعَارِي:

«دَعُوا الطِّفْلَ يُغَنِّي، بَلْ غَنُّوا مَعَهُ أيُّها الكِبَار.»

وَبَدأ الأَطفالُ يُغَنُّونَ بالفِعْلِ. ويُرَدِّدونَ بِسُرُورٍ وَنَشْوَةٍ ما أَقُولُهُ لَهُمْ، وما يَقُولُه غَيْري من شُعرائِنا المَوْهوبين، في وَطَنِنا العَرَبيِّ الكبير. إنَّنا يا صديقي البُلْبُلَ نُريدُ أَنْ نَبْعَثَ أُمَّتَنا العظيمة، نُريدُ أَنْ نَبْني جيلاً جديداً يَنْفُضُ هذا الواقعَ المريضَ الذي نَعِيشُ فيه، ويُغَيِّرُ كُلَّ شَيْءٍ. ولِذلكَ بَدَأْنَا بالصغَارِ.

وحرَّكَ صديقي البلبلُ رأْسَه قليلاً، وقفَزَ على طَرَفِ المَقْعَدِ وقالَ لي:

أَخْشَى أَنْ تَكونَ قد ابتعَدْتَ قليلاً عن المَوْضُوعِ

الذي نتحدَّثُ فيه.

قلتُ: بَلْ انا في صَميمِ المَوْضُوعِ، أَيُّهَا الْغِرِّيدُ الأَليفُ.

قالَ البُلْبلُ وقَدْ قَفَزَ عَلَى ظَهْرِ يَدي، وهُوَ بادي السرورِ:

وما مَشْرُوعُكَ الجديدُ؟

قُلْتُ:

سأُقدِّمُ لكَ وللأَطْفَالِ العَرَب سِلْسِلَةً من شُعرائِنا البارزين في أَدَبنا العَرَبِيِّ، أَخْتارُهُمْ من أَجْوَدِ المواهِبِ وأَعْمَقِها تأثيراً في الأَجْيالِ القديمةِ والحديثةِ على السَّواءِ.

قال البلبلُ وهو يَثِبُ حَوْلي فَرِحاً:

عَظيم.. عَظيم. وَمَتى تَبدأ؟

قلتُ: أَلَمْ أَقُلْ لكَ

منذُ هُنَيْهَةٍ إنِّي قد بَدَأْتُ؟ إنَّكَ سَريعُ النِّسْيَانِ، يا صَديقي الجميل.

– وماذا سَتُسَمِّي هذه السِّلْسِلَةَ؟ أَعْني ماذَا سَيكونُ عُنْوَانُها؟

قلتُ: ولماذا تَهْتَمُّ بالعُنْوانِ؟

قالَ: ألاَ تقُولون أَنْتُم: إنَّ الكِتَابَ منْ عُنْوانِهِ يُقْرَأُ؟ انا ورفاقي العَصافيرُ سنحْفَظُ اسْمَ الكتاب، ونَبْحَثُ عنه في كُلِّ مكانٍ لنَتَعلمَ ما فيهِ مَعَ زُمَلاَئنا الأَطْفال .

قُلْتُ: سأَخْتَارُ له هذا العُنْوانَ البسيطَ:

« شُعَراؤُنا .. يُقَدِّمون أَنْفُسَهُمْ للأَطْفَال. »

قال البُلْبُلُ: وللطُّيُورِ أَيضاً. أَلَمْ نَتَّفِقْ أَنَّنا والأَطْفالَ من فصَيلةٍ واحدةٍ، وذَوْقٍ واحدٍ؟

أَجَبْتُ: أَلْحَقُّ مَعَكَ. ولكنِّي مُنْذُ اليوم سَأُسَمِّيكُمْ جميعاً صغاري الأَعزاءَ، ولَنْ أُفَرِّقَ بَيْنَ الأَطْفَالِ والعَصَافير.

وشَعَرْتُ بِهَزَّةِ سُرُورٍ تَمْشِي بَيْنَ جَوانِحِ البُلْبُلِ السَّاحِر. ثُمَّ قالَ:

أَعِدُكَ وَعْداً قاطِعاً أَنْ أُتابعَ هؤُلاءِ الشُعَراءَ الذينَ سَتخْتَارُهُم، وأَنْ أَحْفَظَ كُلَّ كَلِمَةٍ تُكْتَبُ عَنْهُمْ.

قلتُ لصديقي البُلْبُلِ :

كأَنَّنا كُنَّا على مَوْعِدٍ. فِكْرَتُكَ هي فِكْرَتِي ، وَأَحْلاَمُكَ أَحْلاَمِي.

قالَ: ولكِنْ لي عندَكَ رَجاءٌ.

قلتُ: سَأُنَفِّذُ لصديقي ما يُريدُ.

قال شاعرُ الطُّيورِ:

لِيَكُنْ حديثُكَ عن هَؤُلاءِ الشُّعَرَاءِ رشيقاً ناعماً، أَشْبَهَ بِقَطَراتِ الماءِ الصافِيَةِ التي نَرْشُفُها [١]. بمناقيرنا الصَّغيرةِ من نُقْرةٍ في صَخْرٍ.

قُلْتُ: سأَبْذُلُ كُلَّ ما في وُسْعي [٢] لأُحَقِّقَ لكَ هذا الرَّجَاءَ. لقد كانَ تَشْبيهُكَ رائعاً. وأَتَمَنّى أَنْ يَكُونَ عَمَلِي القادمَ مِثْلَه، او قريباً منه.

وحرَّكَ ذَنَبَهُ الرَّشيقَ، ونَقَرَ خشَبَ المَقْعَدِ بِمِنقارِهِ كأنَّه يَقُولُ: اتَّفَقْنا.

...

وفي هذه اللَّحظاتِ.. قَذَفَ بَعْضُ الصِّغارِ كُرَةً كانوا يَلْعَبونَ بِها في أَرضِ الحَديقَةِ

---

(١) نرشفها: نشربها على مهل. (٢) وسعي: طاقتي، إمكاني.



فوقَعَتْ علَى المَقْعَدِ الخَشَبِيِّ
الأخْضَرِ الَّذي يَضُمُّني انَا وَجاري البُلْبُلَ الجميلَ. وخَافَ العُصْفُورُ الحُلْوُ الصَّدْمَةَ، وفَرَّ الى أَعْلَى شَجَرَةٍ منَ الأَشْجَارِ المُجَاوِرَةِ الباسِقَةِ، وَهُوَ يقُولُ مُزَقْزِقاً:

الى اللقاءِ.. يا صَديقي.. في الجُزْءِ الأَوَّلِ من « شُعرائنا الَّذينَ سَيُقدِّمُونَ أَنفُسَهُم لِلأَطفالِ ولِلْعَصافيرِ. لا تَنْسَ الكلِمَةَ الأَخيرةَ: « لِلْعَصافيرِ. »

قُلْتُ: الى اللِّقاءِ.. أَيُّها البُلْبُلُ الساحِرُ المُدْهِشُ.. الى اللِّقاءِ.

...

وعُدْتُ الى كتابي..
وتَابَعْتُ قِراءَةَ القَصيدَةِ الجَميلَةِ فيهِ.

سليمان العيسى

الشعراء الذينَ قدَّموا أَنْفُسَهم للأطفال

١ - ابو تَمَّام الطائي
٢ - البُحْتُري
٣ - ابو الطيِّبِ المُتَنَبِّي
٤ - ابو فِرَاس الحَمْداني
٥ - الشَّرِيفُ الرَّضِيّ
٦ - ابو العَلَاءِ المَعرِّي
٧ - ابنُ زَيْدون
٨ - الفَرَزْدَق
٩ - جَرير
١٠ - الأَخْطَل
١١* - مالِكُ بْنُ الرَّيْب
١٢* - حِطَّانُ بْنُ المُعَلَّى
١٣ - قَطَرِيُّ بْنُ الفُجاءَة
١٤ - الحُطَيْئَة
١٥ - الخَنساء
١٦ - حَسَّانُ بْنُ ثابت
١٧ - كَعْبُ بْنُ زُهَيْر
١٨ - طَرَفَةُ بْنُ العَبْد
١٩ - عَمْرُو بْنُ كُلْثُوم
٢٠ - عَنْتَرَةُ بْنُ شَدَّادِ العَبْسِيّ
٢١ - المُهَلْهِل
٢٢ - زُهَير بْنُ ابي سُلْمى
٢٣ - اَمرؤُ القيس
٢٤ - النابغةُ الذُّبياني
٢٥ - حاتم الطائي
٢٦* - السَّمَوْأَل
٢٧* - عُرْوَةُ بْنُ الوَرْد

أَبو تَمَّام الطَّائي

أُقَدِّمُ لَكُمْ نَفْسي يا أَطْفال..

أَنَا شاعِرٌ مَعْروفٌ منَ العَصْرِ العبَّاسيِّ الأَوَّلِ.

إِسْمِي حَبيبُ بْنُ اوسٍ الطَّائي. من قَبيلةِ طَيّ التي كانَ منها حاتِمٌ الطائيُّ المشهورُ بالكَرَم.

وُلِدْتُ في قَرْيَةِ «جاسم». وهي قَرْيَةٌ عربيَّةٌ سوريَّةٌ في حَوْرانَ. ثُمَّ انْتَقَلْتُ الى مِصْرَ، وأَنَا فتًى في مَطْلَعِ العُمُرِ. وهُناكَ

كافَحْتُ كَثِيراً، وجالَسْتُ العُلَماءَ والأُدَباءَ في حَلَقاتِ المَسْجِدِ الجامعِ الذي كانَ هُوَ المَدْرسَةَ الكُبْرَى آنَذاكَ، وأَخَذْتُ عَنْهُم الأَدَبَ، وحَفِظْتُ الكثِيرَ من الشِّعْرِ العربيِّ.

ثُمَّ بَدَأْتُ أَنْظِمُ الشِّعْرَ، حَتَّى أَصبَحْتُ من أَبْرَزِ شُعَراءِ زَمَاني. ولكنِّي لَمْ اشتَهِرْ في الحقيقةِ إلاَّ عِنْدَمَا رَحَلْتُ الَى بَغْدادَ. وكانَتْ بغدادُ عاصمةَ النُّورِ والحَضَارةِ في تِلْكَ الأَيَّامِ.

إتَّصَلْتُ بالخليفةِ العبَّاسيِّ المُعْتَصِمِ، ومَدَحْتُهُ في قَصائد عَديدةٍ. كما اتَّصَلْتُ



بِغَيْرِهِ من رجالِ الدَّوْلَةِ منَ

الوُزَراءِ والأُمَرَاءِ والقُوَّادِ، فأَكْرَمُونِي، وَرَفَعُوا مكانَتِي.

وقَدْ كانَتْ قَصِيدتِي الَّتِي تَحَدَّثْتُ فيها عَنْ فَتْح «عَمُّورِيَّةَ» من أَرْوَعِ ما قُلْتُ في حَياتِي منَ الشِّعْرِ.

وَقِصَّةُ «عَمُّورِيَّةَ» يا أَولاد هيَ قِصَّةُ النَّخْوةِ، والشَّهامةِ العربيةِ.

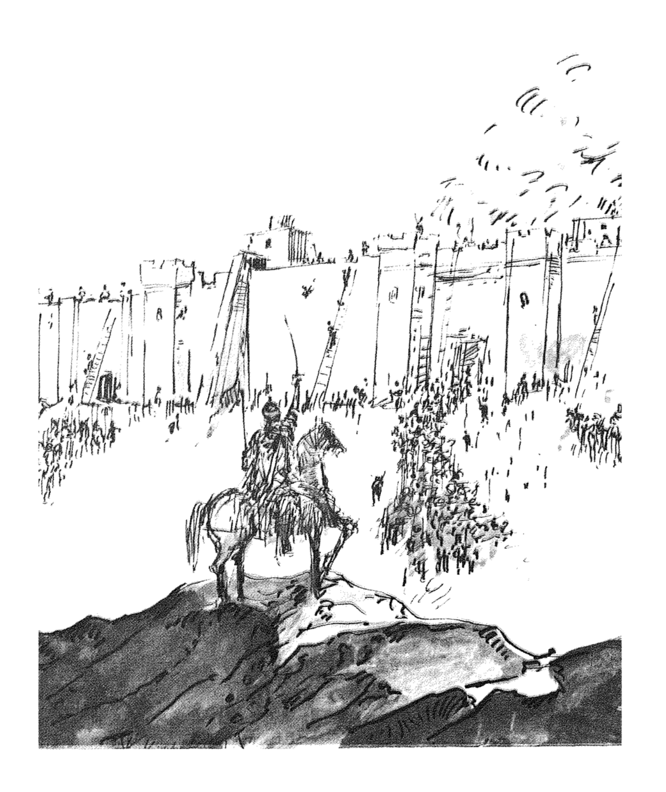
فقد غَزَا المُعْتَصِمُ هذهِ المدينَةَ عندما استَنْجَدتْ به فتاةٌ عربيةٌ وَقَعَتْ أَسيرةً في أَيْدِي الرُّومِ ، فصاحَتْ: «وامُعْتصِمَاهْ» فلَبَّى الخلِيفَةُ نِداءَ الفتاةِ الأَسيرةِ، وتوَجَّه بِجَيْشٍ عظيمٍ

الى « عَمُّورِيَّةَ »، واحْتَلَّها، وَأَعادَ الفَتاةَ الى أَهْلِها.

وفي هذهِ الحادِثةِ التاريخيَّةِ كتَبْتُ قَصيدَتي الرائعةَ التي مَطْلِعُهَا:

أَلسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْباءً من الكُتُبِ
في حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّواللَّعِبِ

وَأَعْني في هذا البَيْتِ أَنَّ ٱلكَلِمةَ الأُولَى لِلْقُوَّةِ، وأَنَّ السيفَ وَحْدَهُ هو الذي يَضَعُ الحدَّ الفاصلَ بينَ ٱلْعَمَل الجادِّ، والكلام الفارغ. وقد رمَزْتُ هُنا بِالكُتُب الى الكـلامِ الفـارغِ الـذي لا طائِلَ وراءَهُ.



وعِنْدَمـــا

تَكْبَرونقليلاً يا صِغَاري ستَدْرُسونَ هذه القصيدةَ في المَدْرَسَةِ، وتَحْفَظُونَ بَعْضَ أَبياتِها الجميلةِ.

قضَيْتُ آخِرَ أَيَّامي في مَدينَةِ المَوْصِلِ ، وفيها تُوُفِّيتُ. وما يزالُ قَبْري هُنَاكَ. وقد أَقامُوا لي مُنْذُ أَعوامٍ قليلةٍ مِهْرَجاناً كبيراً تخليداً لذِكْرايَ، اجتمَعَ فيه كثيرٌ من شُعَراءِ العُروبةِ وأُدبائِها في القَرْنِ العشرينِ، وتغَنَّوْا بما تركْتُ لكُمْ مِنْ آثارٍ. فشُكْراً لهم جميعاً.

لي ديوانُ شِعْرٍ ضَخْمٌ، فيه

قصائدُ كثيرةٌ تتَحدَّثُ عنِ البُطُولةِ والْكَرَمِ، وتَصِفُ الطَّبيعَةَ الجميلةَ، وتَتَغَنَّى بالقِيَمِ والأَخْلاقِ العَربيَّةِ.

وقَدْ جَمَعْتُ من مَحْفُوظَاتي ديواناً آخَرَ سمَّيتُهُ «الحماسَةَ»، أَرجو أَنْ تطَّلِعوا عليه، وتستَمْتِعُوا بهِ، وتَحْفَظوا منه بَعْضَ الأَشْعارِ الُمْتَازةِ.

إِنَّني أُطِلُّ عليكم بَعْدَ اكثَرَ مِنْ الفِ عامٍ مضَتْ. وسأَبْقَى صديقَكُمْ يا صِغَاري الأَعِزَّاءَ..

سأترك لكم في نهايةِ لِقائِنا هذه الهدِيَّةَ الصغيرةَ من شِعْري، أُسَجِّلُ فيها بَعْضَ مآثِرِ الأَجدادِ، وأَرسُمُ صُورةً مُشْرِقَةً لهم.

إِحْفَظُوا هذهِ الأَبياتَ الجميلةَ يا أَولاد:

أَنَا ابْنُ الَّذِينَ استُرْضِعَ الْجُودُ فِيهمو
وسُمِّيَ فِيهِمْ، وَهْوَكَهْلٌ ويافِعُ [1]

سَمَا بِي أَوْسٌ في السَّمَاحِ، وحاتِمٌ
وَزَيْدُالقَنَا، والأَثْرَمَانِ، ونافِعُ [2]

مَضَوْا وَكَأَنَّ المَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمُو
لِكَثْرَةِ ما أَوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ [3]

(١) الجود: الكرم. اليافع: الفتى في أول العمر. والكهل: الذي جاوزَ الأربعين. يشبِّه الشاعرُ الكرَم بانسانٍ نشأ وعاشَ بين قومه.

(٢)في هذا البيت يستعرض الشاعر بعض الأسماء اللامعة في تاريخ قبيلته المشهورة.

(٣)لقد كانت المكارم اصيلةً فيهم يتواصَوْنَ بها. ويحرصون عليها كانها شرائع مقدّسة.



فَأَيُّ يَدٍ في المَحْلِ مُدَّتْ فلَمْ يَكُنْ
لَهَا راحَةٌ من جُودِهِمْ وأَصَابعُ؟

بَهاليلُ، لَوْ عاينْتَ فَيْضَ أَكُفِّهِمْ
لأَيْقَنْتَ أَنَّ الرِّزْقَ في الأَرْضِ واسعُ (٥)

إذا خَفَقَتْ بالبَذْلِ أَرْوَاحُ جُودِهِمْ
حَداهَا النَّدى واسْتَنْشَقَتْها المَطَامعُ (٦)

---

(٤) يقول الشاعر: لا تمتدُّ يدٌ للكرَم في أيام القحطِ والجَدْبِ إلا كانت هذه اليدُ يَدَ آبائي.

(٥) البهاليل: جمع بُهْلُول. وهو السيد الجامعُ لكل خيرٍ. ما يزال يصف قومه بالكرم.

(٦)اذا تحركت رياح كرَمهم ساقَها العطاءُ وراحت تتنشّقُها مطامع المُحتاجين

رِيَاحٌ كَرِيحِ العَنْبَرِ الْغَضِّ في النَّدَى
ولكنَّهايَوْمَ اللِّقاءِ زَعازِعُ (٧)

---

(٧) إنها رياحٌ عاطرة أيام السلم والعطاء، ولكنها سَرْعانَ ما تتحول الى عواصفَ كاسحةٍ عند لقاء الأعداء.

سليمان العيسى

شُعَراؤُنا يُقَدِّمونَ أَنْفُسَهُم لِلْأَطفال

الجزء الثاني

١ - البُحْتُرِيُّ

٢ - المُتَنَبِّي

البُحْتُرِيُّ



أَعِزَّائي الصِّغارَ:

أَنَا أَبو عُبَادَةَ البُحْتُرِيُّ.

عِشْتُ في القَرْنِ الثالثِ الهِجْرِيِّ.

قَدِمْتُ ٱلآنَ مِنْ بَلْدَتي الحَبيبَةِ «مَنْبِجَ»، الَّتي تَقَعُ في شَمالِيِّ سُورِيَّةَ، والَّتي وُلِدْتُ فيها قَبْلَ اكثرَ من أَلْفِ عامٍ.


قَدِمْتُ ٱلآنَ مِنْ بَلْدَتي الحَبيبَةِ
« مَنْبِجَ »

أَلْفُ عامٍ مَضَتْ وأَنَا أَعيشُ بينَ أَبْناءِ قَوْمي بِكَلِماتي الجميلةِ. إِنَّهُ تاريخُنا ٱلحَيُّ المُتَّصِلُ الَّذي يَنْبِضُ ٱلآنَ حّاراً قوياً فيكُمْ أَيُّها الأَعِزَّاءُ الصِّغارُ.

جِئْتُ لِأُقَدِّمَ اليكُمْ نَفْسي في هذهِ السُّطُورِ المُوجَزَةِ.

أَنَا عَرَبِيٌّ من قَبيلةِ طَيّ.. القَبيلةِ التي يَنْتَسِبُ اليها حاتِمُ الطَّائِيُّ، المَشْهورُ بِالْكَرَمِ، والشاعِرُ الكبيرُ ابو تَمَّامٍ الَّذي تَحدَّثَ اليكُمْ في الجُزْءِ السابقِ من هذا الكِتابِ.

كانَ ابو تَمَّامٍ أُسْتاذِيَ الأَوَّلَ في الشِّعْرِ. تَعرَّفْتُ اليهِ واتَّصَلْتُ به وأَنَا فَتًى صغيرٌ، وقَدَّمَ إِليَّ نصائحَ ثمينةً جداً في الفن والحياة.

تَجوَّلْتُ في الْمُدُنِ السُّوريَّةِ، وبَدأْتُ اكتُبُ الشِّعْرَ الجميلَ، وانا لم أَتجاوزِ الرابعةَ عَشْرَةَ من عُمُرِي.

وعِنْدَما بَدأَتْ مَوْهِبَتي الشِّعْرِيَةُ تَتفَتَّحُ، شَدَدْتُ الرِّحالَ [1] الى بَغْدادَ. وكانتْ بَغْدادُ يا صِغَاري مَنَارة الأَدَبِ، وعاصِمَةَ الحَضَارةِ الإِنسانِيَّةِ في ذلِكَ الحينِ.

إِتَّصَلْتُ بالْقادَةِ والأُمَراءِ والخُلَفَاءِ، وَمَدَحْتُهُمْ عَلَى طريقةِ شُعَرائِنا في ذلِكَ العَصْرِ. فأَحَبُّوني كثيراً، وأَغْدَقُوا [2] عَلَيَّ الجوائِزَ والهِبَاتِ. ولو عِشْتُ في عَصْرِكُمْ ما مَدَحْتُ غَيْرَكُم، ولا تَغَنَّيْتُ إِلاَّ بِكُمْ... أَيُهَا الصِّغارُ الأَحِبَّاءُ.

(١) شددتُ الرحالَ: سافرتُ.
(٢) أَغدقوا: أَعطَوْا كثيراً.



كانَ شِعْري صافياً حُلْواً يَصِلُ الى القُلُوبِ.

كانَ شِعْري صافياً حُلْواً يَصِل الى القُلُوب. أَنْتَقِي أَلفاظَهُ ٱنتِقاءً، كأني صائغٌ ماهرٌ، حَتَّى سَمَّاه الأَقْدمُونَ. « سَلاسِلَ الذَّهَبِ. »

كـانَ مِنْ أَبْرَزِ الأشْخَـاصِ الـذينَ اتَّصَلْتُ بهم، وَمَدَحْتُهُمْ في تِلْكَ الفَتْرَةِ، الخليفَـةُ العَبَّاسِيُّ المتوكِّلُ، ووزيرُهُ وقائِدُ جَيْشِهِ الفَتْحُ بْنُ خاقانَ. وقد كُنْتُ حاضراً عِنْدمَا قُتِلَ الخليفَةُ المُتَوكِّلُ بِيَدِ الجُنُودِ الأَتْراكِ حينَ هاجَمُوه في قَصْرِهِ بِسَامرَّاءَ.

لقَـدْ هَزَّتْـني تِلْـكَ المأساةُ، فَرَثَيْتُ الخَليفَةَ المَقْتُولَ بِقصيدةٍ بليغَةٍ مُؤَثِّرةٍ، أقولُ فيها:

صريعٌ. تَقاضاهُ السُّيوفُ حُشَاشَةً
يجودُ بها. والمَوْتُ حُمْرٌ أظافِرُه
أُدافِعُ عنْهُ باليَدَيْنِ.. ولَمْ يكُنْ
لِيَثْنِي الأَعادي أعْزَلُ الليلِ حاسِرُه (٣)

وغادَرْتُ المكانَ بَعْدَ ذلِكَ، وزُرْتُ إيوانَ كِسْرَى، ذلكَ ٱلْبِنَاءَ الضَّخْمَ الذي يَقَعُ الى الجَنُوب من بَغْدادَ، ووصَفْتُهُ بِقَصيدَةٍ رائِعَةٍ يَحْفظهَا طُلَّابُ المدارِسِ في الصُّفُوفِ العُلْيَا. أَقُولُ في مَطْلَعِهَا:

صُنْتُ نَفْسي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي
وَتَرَفَّعْتُ عن جَدَا كُلِّ جِبْسِ (٤)

كُنْتُ بارعاً في الوَصْفِ، وَصْفِ القُصُورِ والطَّبيعةِ والحَيَوانِ. بعد قليلٍ سأتْرُكُ بَيْنَ ايديكُمْ مقْطُوعةً في وَصْفِ الرَّبيعِ تُثْبِتُ ما أقُولُ.

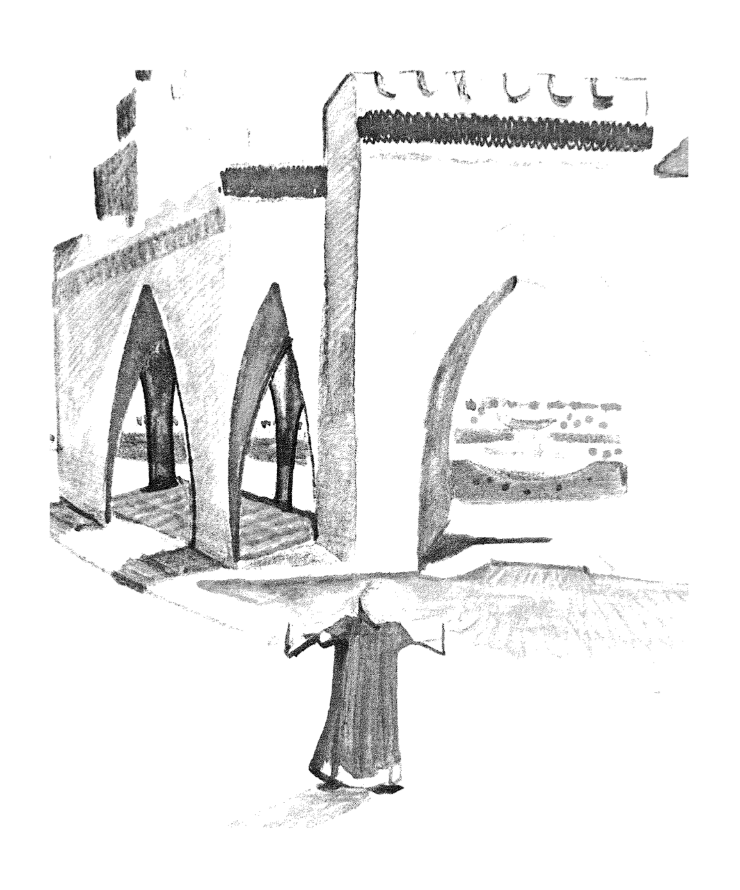
(٣) الحُشاشة: بقية الروح في الجسد. يثني: يردُّ. الأعزل والحاسرُ: الذي لا سلاح معه.
(٤) صنتُ: حفظتُ. يُدَنّس: يلوّث. جَدَا كل جبْس : عطاء كلّ لئيم.

كُنْتُ أَنْتَقِلُ بَيْنَ الْعِراقِ وسُورِيَّةَ، وأَزورُ مِنْ حينٍ الى حِينٍ بَلْدَتي العزيزةَ، وَمَسْقِطَ رَأْسي، « مَنْبِجَ »؛ وأَنْعَمُ بالراحةِ والهُدوءِ في طَبيعَتِها الجميلةِ، وبَساتينها الناضرةِ.

تركْتُ لكُمْ ديوانَ شِعْرٍ من أَضْخَمِ دَواوينِ الشِّعْرِ العَربيِّ، فيهِ الوَصْفُ والمديحُ والرِّثاءُ والغَزَلُ. ولَيْسَ فيه إلاَّ القليلُ من قَصائدِ الهجاءِ؛ لِأَنِّي لَمْ اكُنْ أُحِبُّ هذا اللَّوْنَ مِنَ الشِّعْرِ الذي يُسِيءُ الى الناسِ بِحَقٍّ، او بِغَيْرِ حَقٍّ.

كَمَا تركْتُ لكم كتاباً من مُخْتاراتي الشِّعْرِيَّةِ يُسَمَّى « حَمَاسَةَ البُحْتُرِيِّ »، جَرَيْتُ فيه على طريقةِ أُستاذِي أَبي تَمَّامٍ في « حماسَتِهِ » المَشْهورةِ. إقرَؤُوني يا صِغاري..

واحْفَظُوا أَشْعَاري.. لِكَيْ تَبْقَى لُغَتُكُم العَربيةُ نَقِيَّةً صافيةً، فإِنَّ أَشعاري ما تَزالُ « سَلاسِلَ الذَّهَبِ ».



زُرْتُ إِيوانَ كِسْرَى، ذلكَ ٱلْبِنَاءَ الضَّخْمَ الذي يَقَعُ الى الجَنُوب من بَغْدادَ.
ووصَفْتُهُ بقَصيدَةٍ رائِعَةٍ.


أَتاكَ الرّبيعُ الطّلْقُ يَخْتَالُ ضاحكاً
منَ الحُسْنِ حتّى كادَ أَنْ يَتَكَلَّما

إِقْبَلُوا هذهِ الأَبْيَاتَ الجميلةَ في وَصْفِ الرَّبيعِ هَدِيَّةً وذِكْرَى مِنِّي. وسأكونُ سعيداً إِذا سَمِعْتُكُم تَتَرَنَّمون بها في أَيِّ وقتٍ تشاؤُون يا أَزْهارَ الرَّبيعِ الدائِمِ:

أَتاكَ الرَّبيعُ الطَّلْقُ يَخْتَالُ ضاحكاً
مِنَ الحُسْنِ حَتَّى كادَ أَنْ يَتَكَلَّما [٥]
وَقَدْ نَبَّهَ النَّيْرُوزُ في غَلَسِ الدُّجَى
أَوائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بالأَمْسِ نُوَّما [٦]

(٥) الطَّلْق: الضاحك المستبشِر. يختال: يمشي في زَهْوٍ واعتزاز.
(٦) النيروز: عيدُ أول الربيع. غَلَس الدجى: ظلمةُ آخر الليل. يصف تفتّح الورد في اوائل الربيع.

يُفتِّقُهَا بَرْدُ النَّدَى.. فكأَنَّهُ
يَبُثُّ حَديثاً كانَ قَبْلُ مُكَتَّما[٧]

فَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبيعُ لِباسَهُ
عَلَيْهِ كمَا نَشَّرْتَ وَشْياً مُنَمْنَما[٨]

أَحلَّ فَأَبْدَى لِلْعُيُونِ بَشَاشَةً
وكانَ قَذًى لِلْعَيْنِ إِذْ كانَ مُحْرِمَا [٩]

ورَقَّ نَسِيمُ الرَّوْضِ حتَى حَسِبْتَهُ
يَجِيءُ بِأَنْفاسِ ٱلأَحِبَّةِ نُعَّمَا [١٠]

(٧) يُفتِّقُها: يُفتِّحُها. الندى: قطرات الماء. يَبُثُّ: يُذيع.

(٨) المنمنَم: المُزخرَف. المنقوش. يشبِّه الشاعر ألوان الشجر في الربيع بألوان الثياب الناعمة المُزَخْرفَة.

(٩) أَحَلَّ: لبسَ الثيابَ المُزَخْرفَةَ بعد أَنْ خرجَ من ثيابَ الإحْرام البيض. والمُحْرِم: الذي يرتدي الملابس البيضاءَ، والمراد بالإحْرام: لون الطبيعة العارية في الشتاء.

(١٠) يقول الشاعر: لقد اصبح النسيم رقيقاً ناعماً كأنه يحمل أنفاسَ الأحباب.

أَبو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي

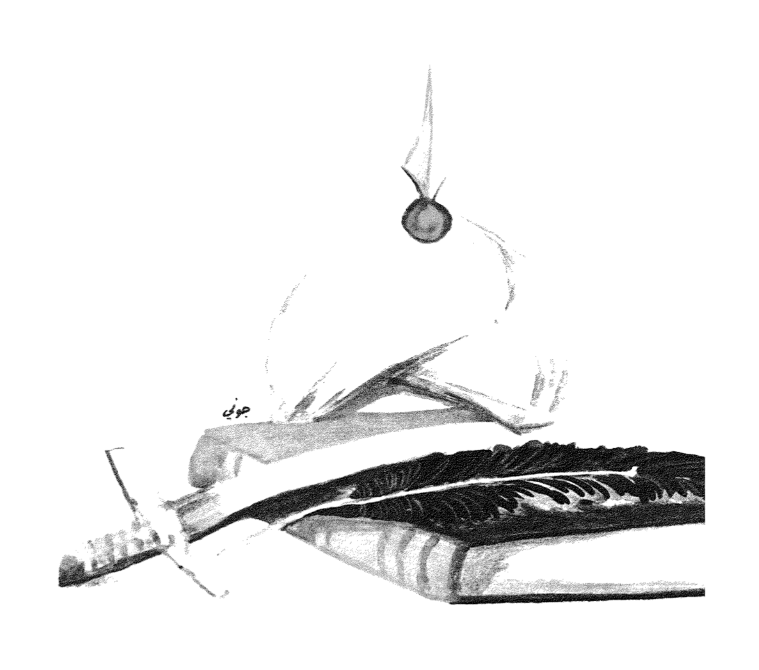


أَصْدِقائي الصِّغار:

أَنَا شاعِرُكُمْ وصَدِيقكُمْ

أَبُو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي.

سَمَّاني القُدمَاءُ: « مالِئَ الدُّنْيا وشاغِلَ الناسِ . » لأَنِّي شَغَلْتُهُمْ بِشِعْرِي، وَجَعَلْتُهُمْ يُرَدِّدونَهُ ويَحْفَظُونَهُ في كُلِّ مَكانٍ.



كُنْتُ أَحْلُمُ بالقُوَّةِ والمَجْدِ والتَّفَوُّقِ.

وُلِدْتُ فِيَ الكُوفَةِ، في مَطْلِعِ القَرْنِ الرَّابعِ الهِجْرِيِّ. وكانَتِ الكُوفَةُ مِنْ أَهَمِّ مُدُنِ ٱلْعِرَاقِ يَوْمَئِذٍ. وَأَخَذَني أَبي الى البادِيةِ، وانا صَغيرٌ. وهُناكَ.. تَلَقَّنْتُ أَسْرارَ اللُّغَةِ والفَصاحَةِ العربيَّةِ. لا تَنْسَوْا أَنَّ البادِيةَ كانَتْ ما تَزَالُ في أَيَّامي تَتَكَلَّمُ العَربيَّةَ الفَصيحةَ الجميلةَ الَّتي لا يُخالِطُها شَيْءٌ منَ اللَّحْنِ وٱلْخَطَأِ.

كُنْتُ في طُفُولَتِي أَقْرَأُ وَأَحْفَظُ كُلَّ ما تَصِلُ اليه يَدِي.

سافَرْتُ كثيراً في هذِهِ الدُّنيَا العَربيَّةِ بَيْنَ الْعِراقِ، وسُورِيَّةَ، ومِصْرَ. وَحَمَلْتُ بَيْنَ جَنْبَيَّ جَمْرَةَ الطُّموحِ.

كُنْتُ أَحْلُمُ بالقُوَّةِ والمَجْدِ والتّفَوُّقِ. وقَدْ تَأَلَمْتُ كَثيراً حينَ وَجدْتُ أُمَّتَنَا العَربيَّةَ مُعَرَّضَةً لغَزْوِ الأعاجم وَهَجَماتِهمْ. وَيَبْدُو أَنَّهَا ما تَزالُ تُعَاني هذهِ المَصائِبَ. كما كانَتْ في أَيَّامِي، قَبْلَ أَلْفِ عامٍ.

كُنْتُ عَرَبيّاً ثائراً على الذُّلِّ والخُنُوعِ، مُعْتَزاً بِعُرُوبتي، وَعَبْقَرِيَّتي الشِّعْرِيَّةِ. وقَدْ لاقَيْتُ في أَسْفاري كثيراً منَ الناسِ. وكانَ أَعْظَمَ إِنْسانٍ لاقَيْتُهُ هُو الأَميرُ البَطَلُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الحَمْدانيُّ، أَميرُ حَلَبَ.

آهِ.. ما أَجْمَلَ السَّنَواتِ التي قَضَيْتُها في حَلَبَ، عِنْدَ هذَا الأَميرِ العَظيم.

آهِ.. ما أَجْمَلَ السَّنَواتِ التي قَضَيْتُها في حَلَبَ، عِنْدَ هذَا الأَميرِ العَظيمِ.



لَقَدْ قُلْتُ فيه أَرْوَعَ قصائِدي..وشهِدْتُ مَعَهُ مُعْظَمَ حُروبِهِ الَّتي خاضَها ضِدَّ «الرُّومِ». وكانوا يُهدِّدونَ الدَّوْلَةَ العَرَبيَّةَ في الشِّمالِ.

هل تُحِبُّونَ يا أَصدِقائِي الصِّغارَ أَنْ تَسْمَعُوا بَعْضَ أَبْياتِي التي غَنَّيْتُها في تِلكَ الفَتْرةِ؟ إِني أُفَضِّلُ أَنْ أَتْرُكَ قِطْعَةً مِنْ شِعْرِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ بَعْدَ قليلٍ، لِتحْفَظُوها وتَصِلُوا بها الحاضرَ بالماضِي. ولكنْ لاَ بَأْسَ في أَنْ تَسْمَعُوا الآنَ شيئاً من أَغَاريدي وأَنَا في حَلَب. انا القائلُ مُخَاطباً الأَميرَ المُقاتِلَ، سَيْفَ الدَّوْلَةِ، وَهُوَ في قَلْبِ المَعْرَكَة:

وَقَفْتَ وما في المَوْتِ شَكٌّ لِواقِفٍ
كأَنَّكَ في جَفْنِ الرَّدَى وَهوَنائمُ (١)

تَمُرُّ بِكَ الأَبْطالُ كَلْمَى هَزِيمةً
ووَجْهُكَ وَضَّاحٌ، وثَغْرُكَ باسِمُ (٢)

ومَنْ طَلَبَ الفَتْحَ الجليلَ.. فإِنَّمَا
مَفاتِيحهُ البِيضُ الخِفافُ الصوارمُ (٣)

(١) الرَّدى: الموت والهلاك.
(٢) كَلْمَى: جريحة. وهزيمة: منهزمة. والثغر: الفم.
(٣) الفتح الجليل: النصر العظيم. البيض: السيوف اللامعة. والصوارم: القاطعة.

هل أَعْجَبَتْكُم هذه الصُّورَةُ؟ قائدٌ شُجاعٌ، يَقِفُ في قَلْبِ المَعْرِكَةِ، كأَنَّه يَقِفُ في جَفْنِ المَوْتِ، والمَوْتُ نائِمٌ، لا يَصِلُ اليه، لِأَنَّه لا يُبَالِي بِهِ. تمرُّ به فُرْسانُ العَدُوّ، جريحَةً مُنْهَزِمَةً، وهُوَ يَسْخَرُ مِنْها، مُشْرِقَ الوَجْهِ، باسِمَ الثغْرِ، هكذَا يَفْعَلُ مَنْ يَطْلُبُ ٱلْمجدَ. إِنَّ السَّيْفَ وَحْدَهُ هو مِفْتاحُ النَّصْرِ العَظيمِ.

وشاءَتِ الظُّروفُ أَنْ أُفارِقَ حَلَبَ وسَيْفَ الدَّوْلَةِ، وأَنْ أُسافِرَ بَعْدَ ذَلِكَ الى مِصْرَ، وأُلْقي رحالي عِنْدَ كافُور الإِخْشِيديِّ. حاكِمِ مِصْرَ العَرَبيَّةِ في تِلْكَ الأَيَّامِ. وقَدْ مَدَحْتُهُ أَوَّلَ الأَمْرِ، ثُمَّ هَجَوْتُهُ، وعُدْتُ الى العِراقِ. ثُمَّ رَحَلْتُ الى بلادِ فارسَ. وَلَمْ تَطِبْ لي ٱلإِقامةُ هُناكَ. فَرَجعْتُ، لِكَيْ أَسْتَقِرَّ في بَلَدي الأَوَّلِ، في العِراقِ.



وَقَفْتَ وما في المَوْتِ شَكٌّ لِواقِفٍ
كأَنَّكَ في جَفْنِ الرَّدَى وَهوَنائِمُ
تَمُرُّ بِكَ الأَبْطالُ كَلْمَى هَزِيمَةً
ووَجْهُكَ وَضَّاحٌ، وثَغْرُكَ باسِمُ

ولكنَّ خُصُومي هاجَمُوني في الطَّريقِ. ولا يَخْلُو رَجُلٌ مِثْلي مِنْ حُسَّادٍ وخُصُومٍ. ودارتْ بَيْنِي وبينَهُمْ مَعْرَكةٌ حامِيةٌ، انتَهَتْ بمَصْرَعي.

وهكذَا خُتِمَتْ حَياتي العَنِيفةُ القَلِقَةُ. المَلْأَى بالأَسْفارِ، والشِّعْرِ، والمُغامَراتِ.

كُنْتُ صَوْتَ العُرُوبَةِ، ووَتَرَ الصَّحْراءِ، وما أَزَالُ.

إحْفَظُوني يا صِغاري.

إنَّ قَصَائِدي ما تَزَالُ تَهُزُّ آباءَكُمْ، وتَمْلَؤُهُمْ حماسَةً، وَرُجُولَةً.

إنَّكُمْ بِحَاجَةٍ اليها في كُلِّ زمانٍ ومَكانٍ، ولا سِيَّما في هذهِ المَرْحَلَةِ الَّتي تَخُوضُونَ فيها أَخْطَرَ المَعَارِكِ مَعَ أَعْداءِ أُمَّتِنا العَربيَّةِ الخالِدَةِ.

سأَخْتَارُ لكم بِنَفْسي الْمُقْتَطَفاتِ مِنْ دِيوَانِي. اليكْم هَذِهِ الأَبْياتَ مِنْ قَصيدَةٍ عاتَبْتُ فيها سَيْفَ الدَّوْلَةِ، في إِثْرِ جَفْوَةٍ حَدَثَتْ بَيْنَنا. وتَحَدَّيْتُ بها الحُسَّادَ والوُشاةَ الَّذينَ كانوا يُحاوِلونَ أَنْ يُفْسِدُوا ما بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنْ صَدَاقَةٍ، وحُبٍّ عَميقٍ.

آهِ.. كأَنِّي ما أَزالُ الآنَ في مَجْلِسِ هذا الأَميرِ البَطَلِ أُنْشِدُ:

يا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلاَّ في مُعامَلَتي
فيكَ الخِصامُ وأَنْتَ الخَصْمُ والحَكَمُ (٤)

أُعِيذُها نَظَراتٍ مِنْكَ صادِقَةً
أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ (٥)

(٤) يقول له: انت اعدلُ الناس ولا تبدو ظالماً إلا في معاملتك إيايَ. انا الذي أحبُّكَ اكثر من أي إنسان. ولكنْ لمن أشكو أمري؟ انني اتخاصم مع الناس من أجلك. وأنت في الوقت نفسه خصمي وحكمي.

(٥) يقول له: ان نظراتك الصادقة لا يمكن أن تخطىء في التمييز بيني وبين غيري من التافهين الذين لا وزن لهم.

وما ٱنْتِفَاعُ أَخي الدُّنْيَا بِناظِرِهِ
إذا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأَنْوارُ والظُّلَمُ؟ (٦)

سَيَعْلَمُ الجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنا
بأَنَّني خَيْرُ مَنْ تَسْعَى به قَدَمُ

أَنَا الَّذي نَظَرَ الأَعْمَى الى أَدَبي
وأَسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بهِ صَمَمُ

أَنامُ مِلْءَ جُفُوني عَنْ شوارِدِها
وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّاهَاويَخْتَصِمُ (٧)

أَلْخَيْلُ واللَّيْلُ والْبَيْداءُ تَعْرِفُني
والسَّيْفُ والرُّمْحُ والقِرطاسُ والقَلَمُ

...

(٦) وما الفائدة من العين اذا لم تستطع أن تميز بين النور والظلام؟

(٧) يقول الشاعر: لقد حملتُ اسرار اللغة وعرفت خفاياها فأنا أنام ملء جفوني مرتاحاً. واثقاً من نفسي، ومن معرفتي الواسعة العميقة. بينما يسهر الناس طويلاً وهم يختصمون حول كلمةٍ من الكلمات او معنى من المعاني الصعبة.

الخَيْلُ واللّيْلُ والْبَيْداءُ تَعْرِفُني
والسَّيْفُ والرُّمْحُ والقِرطاسُ والقَلَمُ

يُخَيَّلُ اليَّ يا أصْدِقائي الصِّغارَ أَنَّكم لن تَكْتَفوا مِنِّي بهذهِ الأَبْيَاتِ. اليكُم مقطعاً آخَرَ من قصيدةٍ رثَيْتُ بها جَدَّتي. وكانَتْ تُحِبُّني، وكنتُ أُحِبُّها كثيراً. لقد تَغَرَّبْتُ عنها منذُ غادَرْتُ الكوفةَ، كما تَعْلَمون. ثُمَّ بعثتُ اليها ذاتَ يومٍ برسالةٍ أُخْبِرُها فيها أَنَّ لِقاءَنا قريبٌ. فقبَّلَتْ كتَابِي، ثُمَّ حُمَّتْ لِوَقْتِها [٨]، من شدَّةِ الفَرَحِ، وماتَتْ وهي تَحْلُمُ بهذا اللقاءِ:

(٨) حُمَّتْ لوقتها: أصابتها الحمَّى على الفور.

أَتاها كِتابي بَعْدَ يَأْسٍ وتَرْحَةٍ
فماتَتْ سُروراً بي، فَمُتُّ بهاغَمَّا [٩]

حَرامٌ على قَلبي السُرورُ.. فإنَّني
أَعُدُّ الذي ماتَتْ به بَعْدَها سُمَّا [١٠]

رَقَا دَمْعُها الجارِي، وجَفّتْ جُفونُها
وفارقَ حبِّي قَلْبَها بَعْدَما أَدْمى [١١]

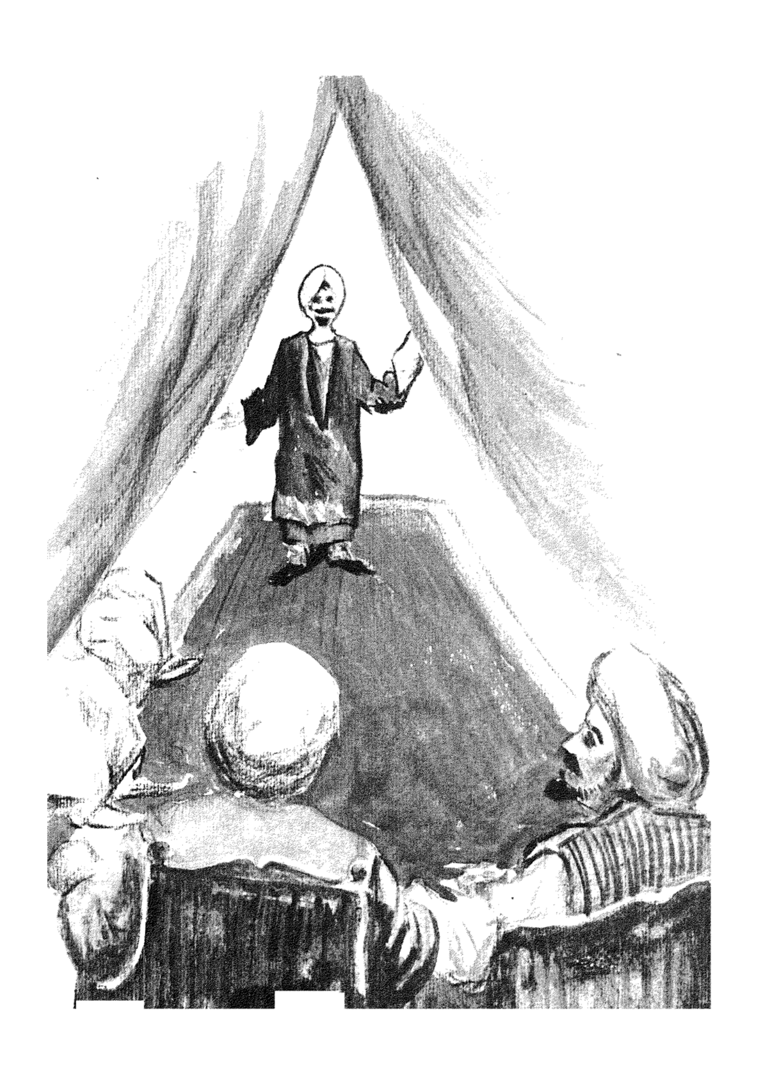
(٩) التّرحة: الحزن والغم.
(١٠) الذي ماتت به: أي السرور
(١١) رقا الدمع: انقطع. أدمى: جَرَح وأسالَ الدم.

هَبِيني أَخَذْتُ الثَّأْرَ فيكِ منَ ٱلْعِدَى
فكيفَ بِأَخْذِ الثَّأْرِفيكِ من الحُمَّى؟ [١٢]

وما انْسَدَّتِ الدُّنيا عَلَيِّ لِضيقِها
ولكنَّ طَرْفاً لا أَراكِ به أَعْمَى [١٣]

ولو لَمْ تكُوني بِنْتَ اكرم والدٍ
لكانَ أَباكِ الضَّخْمَ كَوْنُكِ لي أُمَّا [١٤]

(١٢) هبيني : احسبيني .
(١٣) الطّرْف: النظر .
(١٤) الضخم: العظيم . أي يكفيك فخراً أن تكوني جدتي . ولو لم يكن ابوك اكرم الآباء .





سلاسل

دار الآداب للصغار

❁ غنّوا يا أطفال	(١٠ اجزاء)	للاستاذ سليمان العيسى
❁ شعراؤنا يقدّمون أنفسهم للاطفال	(١٠ اجزاء)	« « «
❁ سلسلة « صيّاح »		للاستاذ زكريا تامر
❁ قصص مختلفة		« « «
❁ تراثنا بعيون جديدة		لمجموعة من الادباء
❁ اجمل قصص الاطفال في العالم		

سليمان العيسى

شعراؤنا
يقدِّمون أَنْفُسَهم
لِلأَطْفال

الجزء الثالث

١ - ابو فِرَاس الحَمْداني

٢ - الشَّريفُ الرَّضِي

أبو فِرَاس الحَمْدانيُّ

أَيُّها الصِّغارُ الأَعِزَّاءُ.

يا أَشْبالَ الْعَرَبِ، وطلائِعَ الكِفاحِ!

أنَـا قـادِمٌ اليكُمْ مِنْ حَلَبَ، من مَدِينَـةِ الصَّخْرِ والرُّجُولَةِ. كُنْتُ قائداً وشاعراً في وَقْتٍ واحدٍ. ولا تَسْتَغْرِبوا ذلِكَ،



فكثيرٌ مِنْ شُعَرائِنَا القُدَمَاءِ كانُوا فُرْساناً،وشُعَراءً، يخوضون المعارِكَ، ويَنْظِمونَ الشِّعْرَ الجميلَ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ السِّلاحَ.

إسْمي الحارِثُ بْنُ سَعيدٍ.

ولكِنِّي اشْتُهِرْتُ بِكُنْيَـــتي الجميلـةِ: «أَبي فِراس الحَمْداني» - بسكون الميم لا فَتْحِها - كما يُخْطِىءُ الكثيرون عندما يَلْفظون اسْمي.

وُلِدْتُ في المَوْصِلِ في عام ٣٢٠ للهجرة، وعِشْتُ في بَلاطِ ابْنِ عَمِّي سَيْفِ الدَّولةِ، أميرِ حلَبَ، وقائدِها المشهورِ. وهُنـــاكَ.. تأَدَّبْتُ، وتَثَقَّفْتُ، وتَدرَّبْتُ على الفُروسيَّةِ والقتالِ.

كانَتْ أُمَّتنا العَربيَّةُ مُهدَّدةً بالغَزْوِ الأَجْنَبِيِّ،

كما هِيَ

مُهدَّدةٌ الْآنَ. ولذلِكَ كانَ علينا أَنْ نُدافِعَ عَنْها، ونَحْمِيَ حُدودَها، ونكونَ أَبَداً تَحْتَ السِّلاحِ اسْتِعداداً لِرَدِّ الأَخْطارِ، ودَحْرِ الغُزَاةِ المُعْتَدينَ.

أَصْبحتُ بعدَ ذلكَ والياً على مَنْبجَ. ومن هُناكَ.. كنتُ أنطلِقُ مَعَ كتائبِ الفُرسانِ إلى الشَّمالِ، نَحْمي حُدودَ الدَّولةِ العربيَّةِ، ونَرُدُّ غَزَواتِ الرُّومِ، ونخوضُ مَعَهمُ المعارِكَ العنيفةَ.

وقَدْ وقَعْتُ في الأَسْرِ مَرَّتَيْنِ.

وفي المرَّةِ الثانيةِ.. قادَني الأعداءُ الى القُسْطَنْطِينيَّةِ، وسَجَنُوني فيها،

حيثُ بَقيتُ أَعْواماً طويلةً أنْظِمُ الشِّعْرَ العاطِفيَّ المُؤَثِّرَ، وأَشْتاقُ الى بَلَدي وأَهْلِي.

وقد سُمِّيَتِ القَصائدُ المُؤَثِّرَةُ التي نَظَمْتُها في السِّجْنِ «الروميَّاتِ»، لأَنِّي قُلْتُها وأنا في أَسْرِ الرُّومِ.

لَمْ تَهِنْ [١] عَزِيمَتي، ولا تنازَلْتُ عَنْ شَيْءٍ من كَرَامَتي، وعُنْفُواني العَرَبِيِّ بالرَّغْمِ من طُولِ الأَسْرِ والعَذَابِ.

لقد كُنْتُ أَتحمَّلُ الآلامَ كُلَّها بِرُجولَةٍ وكِبْرِياءٍ، وأَتَحَدَّى الأَعْداءَ وأنا في ظُلُماتِ سِجْنِهِمْ.

اقْرَؤُوا قَصائِدي «الرُّوميَّاتِ» لِتَعْرِفُوا ذلِكَ بِأَنْفُسِكُمْ.

---

(١) لم تهِنْ: لم تضعُفْ. من فعل: وَهَنَ.



صحيحٌ أَني كُنتُ أَحِنُّ الى أَهْلِي وبَلَدِي، ولا سِيَّما الى والِدَتي التي تَرَكْتُها في رُبُوعِ الْوَطَنِ تَبْكِيني، وتَتَمنَّى عَوْدَتي .

ولكنِّي كُنْتُ في الوَقْتِ نَفْسِهِ أَتَحَرَّقُ شَوْقاً الى ساحاتِ المَعْركَةِ، الى الواجِبِ المُقَدَّسِ .

وأخيراً افْتَداني سَيْفُ الدَّوْلة، وعُدْتُ الى حلَبَ. ولكنَّ أَميرَها الشُّجَاعَ العظيمَ ماتَ بعد ذلِكَ بِقليلٍ .

وخِفْتُ على الدَّوْلةِ العَربيَّةِ الفَتِيَّةِ أَنْ تَتَضَعْضَعَ وتَتَفَكَّكَ مِنْ بَعْدِهِ، فحاوَلْتُ أَنْ أَتولَّى زِمامَ الأُمورِ.

ودارَتْ مَعْرِكَــةٌ بيـــني وبَيْنَ القــادَةِ الطامعــينَ في الحُكْمِ - وكانَ بَعْضُهُمْ منَ الغُرَباءِ عنِ العَرَبِ - ، فكان أَنْ خَسِرْتُ المَعْرَكَةَ مع الأَسَفِ، وقُتِلْتُ بالقُرْبِ من حِمْصَ، وانا في السادسةِ والثلاثينَ منْ عُمُرِي، في عِزِّ الشبابِ، كما يَقُولون.

أَيُّها الصِّغارُ الأحِبَّاءُ.

ستَبْقَى أُمَّتُنا تَتَجدَّدُ بِكُمْ أَنْتُمْ.

ويَكْفينا نَحْنُ أَنْ نَتْرُكَ لَكُمْ سِيرَةً طيِّبَةً، وصَفَحاتٍ مُشْرِقَةً في التاريخِ.

هَلْ تُحِبُّونَ أَنْ تَسْمَعوا شيئاً مِنْ شِعْرِي؟

اسْمَعوا هذه المَقْطوعَةَ العاطِفيَّةَ التي قُلْتُها وانا في الأَسْرِ، أُخاطِبُ فيها حَمامةً رأَيْتُها تنوحُ عَلَى غُصْنِ شَجَرةٍ.

لَشَدَّ ما يُسْعِدُني أَنْ أَسْمَع هذه الأبيات تُغَنَّى، وتُذَاعُ في هذِه الأَيَّامِ، ويَطْرَبُ لها، ويتأثَّرُ بها الناسُ في كل مكانٍ:

أَقولُ، وَقَدْ ناحَتْ بِقُرْبي حَمامةٌ
أَيا جارَتا.. هَلْ تَشْعُرينَ بِحَالي؟
مَعاذَ الهوَى.. ما ذُقْتِ طارِقَةَ النَّوىَ
وَلاَ خَطَرَتْ مِنْكِ الهُمومُ بِبَالِ (٢)

(٢) المَعَاذُ: المَلْجأ. والهَوى: الحب. وطارقة النوى: عذاب البعد والفراق. يقول الشاعر: انتِ أيتها الحمامة لم تعرفي آلام الحب ولا عذابَ البعد والفراق مثلي.. فلماذا تنوحين؟



أَتَحْمِلُ مَحْزونَ الفُؤادِ قَوَادِمٌ
عَلى غُصُنٍ، نائي المَسافَةِ، عالِ ؟ (٣)

أَيا جَارَتا.. ما أَنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنا
تَعالَيْ أُقَاسِمْكِ الْهمومَ، تَعالِي!

تَعالَيْ.. تَرَيْ رُوحاً لَدَيَّ ضَعيفةً
تَرَدَّدُ في جِسْمٍ يُعَذَّبُ، بَالِ (٤)

---

(٣) القوادم: مفردها قادمة. وهي كبار الريش في جناح الطائر. يقول الشاعر: لو كنت حزينةً مُعَذَّبَةً مثلي لما استطاعت قوادِمك أن تحملك على هذا الغصن العالي البعيد.

(٤) تردَّدُ: أصلها تَتَرَدَّدُ. (حذفت التاء الأولى للتخفيف). والبالي: المتهدِّم الضعيف.

أَيَضْحَكُ مأْسُورٌ، وتَبْكي طَلِيقَةٌ
ويسْكُتُ مَحْزونٌ، ويَنْدُبُ سَالِ ؟ (٥)

لَقدْ كُنْتُ أَوْلى مِنْكِ بِالدَّمْعِ مُقْلَةً
ولكِنَّ دَمْعي في الْحوادِثِ غالِ

(٥) المأسور هو الشاعر. والطلبقة هي الحمامة. والسالي: الخالي من الهم. ويقصد جارته الحمامة. ويندُبُ: ينوح ويبكي.

ما كادَ الشاعرُ القائدُ أبو فِرَاس يَنْتَهي من قَصيدتِه السابقةِ حَتَّى ٱلتَفَّ حَوْلَه الأَطْفَالُ، وصاحوا:

نُريدُ أَنْ تُسْمِعَنا مَقْطَعاً آخَرَ مِنْ قَصيدتِكَ الرائعةِ التي لَحَّنَها المُلَحِّنون، وغَنَّاها المُغَنُّون في أَيَّامِنا. وما زِلْنا نَسْمَعُها أَحْياناً بِصَوْتِ مُطْرِبَتِنا الراحلةِ الشهيرةِ «أُمِّ كُلْثُوم». لقدْ حَدَّثَنا عَنْها وعَنْك أساتِذَتُنا، وقالوا لنا: إِنَّكَ نَظَمْتَها أيضاً وأنْتَ في الأَسْرِ، في سِجْن الرُّومِ.



ويتوقَّفُ أبو فراسٍ قليلاً، ويُداعِبُ الأطفالَ الذين تَحدَّثَ إليهم مُنْذُ قليلٍ، ويقولُ لهم:

نَعَمْ.. يا صِغَاري الأَعزَّاء.

لَقدْ حَزَرْتُ ما تُريدون. إِنكم تُطالِبونني بِأبياتٍ من قصيدتي الرائيَّة الجميلة التي أقولُ في مَطْلعِها مُخاطِباً نَفْسي:

أَراكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شيمَتُك الصَّبْرُ
أَمَا لِلْهوى نَهْيٌ عَلَيْكَ ولا أَمْرُ؟ (٦)

---

(٦) عصيّ الدمع: لا ينسكب دمعه بسهولة لأنه لا يبكي عندما تنزل به مصيبة. بل يستعين عليها بالصبر والصبر من شيمته وطباعه في الشدائد. ثم يسأل الشاعر نفسه: ألبس للحب سلطان عليك؟ ألست الشاعر العاطفي الرقيق؟ فمن يلومك إذا بكيت؟

وهتَفَ الصِّغارُ في صوتٍ واحدٍ:

نَعَمْ.. يا عمَّاه! هذا ما نُريد. أَسْمِعْنا بَعْض نَفَحاتِكَ الحُلوةِ. ثم نستمِعُ اليها معاً من الشَّريطِ المُسجَّل مع المُوسيقا والغِناءِ.

ويبْتَسِمُ الشاعِرُ الفارسُ، ويقولُ للأَطْفالِ:

اسْمَعوا إذاً هذه الأبيات واحْفَظُوها:

أَراكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شيمَتُكَ الصَّبْرُ
أَمَا لِلْهَوى نَهْيٌ عَلَيْكَ ولا أَمْرُ؟

بَلَى.. أَنا مُشْتاقٌ وعِنْديَ لَوْعَةٌ
ولكنَّ مِثْلِي لا يُذَاعُ لَهُ سِرُّ

إِذا الليْلُ أَضْواني بَسَطْتُ يَدَ الْهَوى
وأَذْلَلْتُ دمْعاً من خلائِقِهِ الكِبْرُ (٧)
تَكادُ تُضيءُ النَّارُ بَيْنَ جَوانِحي
إِذا هيَ أَذْكتْها الصَّبابةُ والفِكْرُ (٨)

---

(٧) أضواني: أضْعَفني. بسطتُ: مددْتُ.
أذْللتُ دمعاً: هنا سكبتُ الدمع. من خلائقه الكِبْرُ: من طبعه ألاَّ ينسكب بسهولة.
(٨) جوانحي: ضلوعي. أذكتْها: أشعلتْها.
الصبابة: رقة الشوق. يقول الشاعر: كلما تذكرت أهلي وبلدي شعرت بالنار تشتعل في ضلوعي.



مُعلِّلَتي بالوَصْلِ .. والمَوْتُ دُونَه
إذا مُتُّ ظمْآناً فلا نَزَلَ القَطْرُ [(٩)]

سَيَذْكُرُني قَوْمي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ
وفي اللَّيْلةِ الظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ [(١٠)]

ونَحْنُ أُناسٌ لا تَوَسُّطَ بَيْنَنا
لنا الصَّدْرُ دون العالَمينَ او القَبْرُ

---

(٩) عَلّلَه بالشيء: سلاّه عن همومه به. القَطْر: المطر. يصف الشاعر لحظة من لحظات الألم واليأس مرت به وهى نادرة في حياة هذا الفارس العربي.

(١٠) جدَّ جدُّهم: هبوا للحرب والقتال دفاعاً عن أنفسهم. يُفتقد البدر: يبحث الناس عنه لحاجتهم إليه.

تَهونُ علينا في المَعالي نُفُوسُنا
ومَنْ يَخْطُبِ الحَسْناءَ لم يُغلِها المَهْرُ [11]

أَعَزُّ بَني الدُّنْيا وأَعْلى ذَوي العُلَى
وأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ التُّرابِ.. ولا فَخْرُ

---

(11) تهونُ: تسهُلُ وترْخُصُ. لم يُغْلها: لم يكن غالباً عليها. المَهْر: المال الذي يُعْطى للفتاة عند الزواج.
يقول الشاعر: نفوسنا عزيزة علينا ولكننا نبذلها رخيصة في سبيل المجد والمُثُل العليا. فهي أشبه بالمهر الغالي الذي يقدّم للحسناء.





الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ

أَصْدِقائي الصِّغار...

تُريدونَ أَنْ تَعْرِفوا شَيْئاً عَنْ شُعَرائِكُمُ البارزينَ في التاريخ العَرَبِيِّ. فِكْرَةٌ جَيِّدَةٌ. أَنْتُمْ أَغْصانُ الشَّجرةِ العَرَبِيَّةِ، وفُرُوعُها الغَضَّةُ، ونَحْنُ جُذورُها، وعِيدانُها الصُّلْبَةُ.

وهكذَا.. فإنِّي أَرَى نَفْسي سَعيداً بِلِقائِكُم في هذَا المُسلْسَلِ الشِّعْرِيِّ الجَميلِ.

أنا شاعِرٌ معْروفٌ منْ شُعراءِ العَصْرِ العبَّاسيِّ. لا أَقُولُ هذا مُباهِياً، ولا مُفاخِراً، ولكِنَّها حَقيقةٌ لا أَرى بَأْساً في أَنْ أَقُولَها لَكُمْ.

وُلِدْتُ في بَغْدادَ، وتَثَقَّفْتُ فيها.

بَدَأْتُ أَنْظمُ الشِّعْرَ وأنا ما أَكادُ أَتَجاوزُ العاشِرَةَ مِنْ عُمُري.

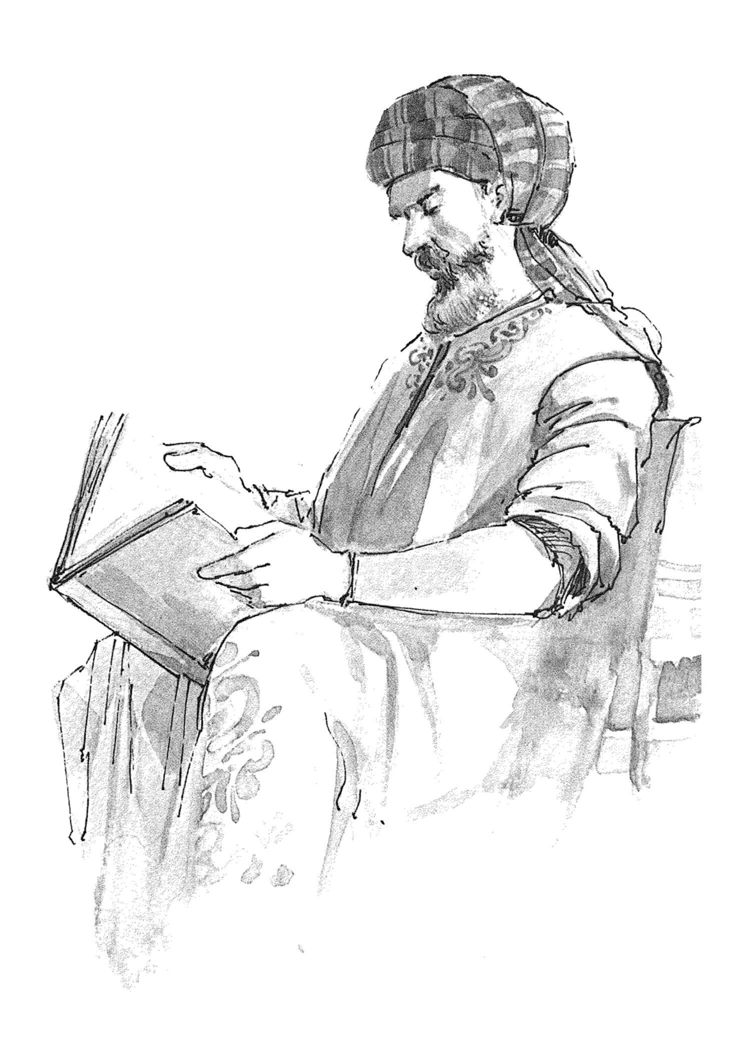
كُنْتُ ضَليعاً في عُلُوم اللُّغَةِ والنَّحْوِ والأَدَب. تَجِدُونَ آثارَ ذلِكَ واضِحةً في شِعْري المَتينِ، حينَ تَدْرسُونَهُ وأَنْتم شَبابٌ.

كانَ طُلاَّبُ العِلْمِ والْأَدَبِ يأْتُونَ الى دَارِي، وقَدْ سَمَّيْتُها « دارَ العُلُومِ ». وكُنْتُ أُنْفِقُ من مالي الخاصِّ على الطُّلاَّبِ المُحْتاجينَ، وأُساعِدُهم بكُلِّ ما أَسْتَطيعُ.

تولَّيْتُ وظيفةً كبيرةً كانَتْ تُسَمَّى « نِقابَةَ الأَشْرافِ ». وهيَ مَنْصِبٌ ذُو طَابَعٍ دِينيٍّ لا يَنالُه إلاَّ الذين يُحَصِّلون ثقافَةً رفيعَةً، ويتَحلَّوْنَ بالأَخْلاقِ والفضائلِ العاليةِ.

كُنْتُ أُحِبُّ أَبْناءَ قَوْمي وعَشيرتي، وأَتَغَنَّى بالعُروبةِ، وأُدافِعُ عن العَرَبِ في شِعْري.

وقد حافَظْتُ على تُراثِنا الأَدَبيِّ القديم وتمسَّكْتُ به لِأَنَّه سِجِلُّ أَمْجادِنا، وديوانُ مَفاخِرِنا.



نَظَمْتُ قَصائِدَ كثيرةً في مَوْضوعاتٍ مُخْتَلِفةٍ، كانَ أَبْرَزها الفَخْرُ والاعْتِزازُ بالنَّفْس، والطُّموحُ الى المَجْدِ. ولم يكُنْ هذا المَجْدُ الذي أَطْمَحُ اليه إلاَّ رُؤْيَةَ الدَّوْلة العربيَّةِ تَعودُ الى وَحْدَتِها وقُوَّتِها، وتكُفُّ عنها غارات المُغِيرينَ، وسيْطرةَ الطامعين منَ الغُرباءِ.

لي ديوانُ شِعْرٍ مطْبوعٌ يعْرِفُهُ أَساتِذَتُكُم وَيدرُسونَهُ. وسوفَ تَحْفَظونَ بَعْضَ قصائِدي حينَ تَكْبَرونَ.

وكَمْ أَتمَنَّى أَن تحْفظوا لي تِلْكَ القصيدة الحماسيَّةَ التي عَبَّرْتُ فيها عنْ طُموح الفتى العَربيِّ وإِبائِه، وتمَرُّدِه على الظُّلْم والعُبُوديَّةِ، وامْتِشاقِهِ السَّيْفَ طَلَباً لحُريَّته، وصَوْناً لكَرامتِهِ.

هَلْ تُريدونَ أَنْ أَذْكُرَ لَكُمْ مقْطعاً منْ تلْكَ القصيدةِ التي كُنْتُ أَعْتزُّ بها. وأُرَدِّدُها على مَسامع الناس في عَصْرِنا؟

اليكُمْ هذه الأَبْياتَ أَتحدَّثُ فيها عنْ رفاقي الفتْيان الأبْطالِ، المُسْتعدِّينَ أَبَداً لخوْضِ المَعْركةِ، دفاعاً عن كَرامَتِهِمْ، ومُثُلُهم العُلْيا، وأنا في مُقدِّمتِهِمْ بالطَّبْع.

لقدْ بَلَغني أَنَّ أحَدَ الموسيقيِّينَ العَربِ المُعاصِرين لحَّنَ هذا النَّشيد القوْميَّ، وجعَلَه واحداً من أناشيدِ شبيبة الثوْرة.

وكَمْ يُسْعدني أَنْ أَسْتَمع قريباً الى نشيدي تُرَدِّدُهُ حناجِرُ الشبابِ القويَّةُ وهيَ تبْني وحْدَتَها المنْشودة، ووَطَنها العربيّ الكبيرَ.

هذه أَبْياتي أَيُّها الأَحبَّاءُ الصِّغارُ:

نَبَّهْتُهُمْ مِثْلَ عَوالي الرِّماحْ
الَى الْوغَى.. قَبْلَ نُمومِ الصَّباحْ [1]

فَوارِسٌ نالُوا الْمُنَى بالقَنَا
وَصافَحوا أَغْراضَهُمْ بالصِّفَاحْ [2]

لِغَارَةٍ.. سامِعُ أَنْبائِها
يَغَصُّ مِنْها بِالزُّلالِ القَرَاحْ [3]

---

(١) عوالي الرماح: رؤوس الرماح الطويلة. والمراد: الفرسان الذين يدعوهم الشاعر الى المعركة. الوغى: الحرب. نموم الصباح: شروقه الأول.

(٢) القنا: الرماح. الصفاح: السيوف.

(٣) الزُّلال القرَّاح: الماء الصافي. يصف شده الغارة وهولها في هذا البيت.

يا نَفْسُ مِنْ هَمٍّ الَى هِمَّةٍ
فَلَيْسَ مِنْ عِبْءِ الْأَذَى مُسْتَراحْ [(٤)]

في حَيْثُ لا حُكْمَ لِغَيْرِ الْقَنَا
ولا مُطاعٌ غَيْرُ داعي الكِفَاحْ

إِمَّا فَتىً نالَ الْعُلى فاشْتَفَى
أو بَطَلٌ ذاقَ الرَّدَى.. فاسْتَراحْ

---

(٤) عبْء الأذى: المراد هنا طريق الكفاح الشاقّ.



سليمان العيسى

شعراؤنا
يُقَدِّمون أَنْفسهم
لِلْأَطْفال

الجزء الرابع

١ - أبو العَلاَء المَعرِّي
٢ - ابْنُ زَيْدُون

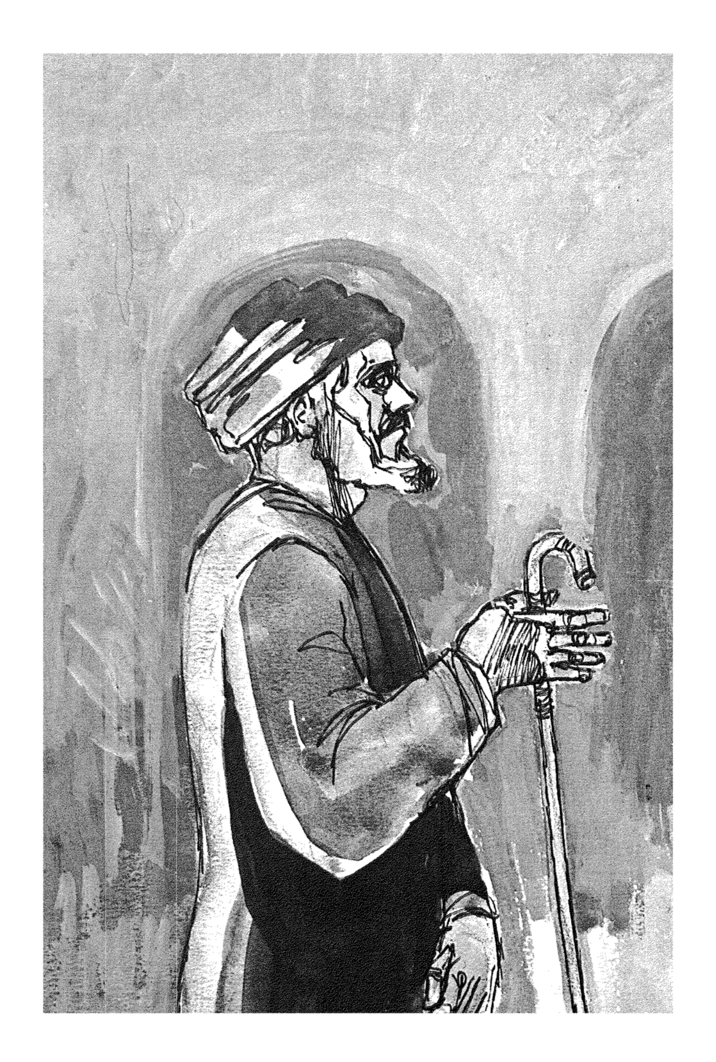
أبو ٱلْعَلاَءِ المعَرِّي

أَحِبَّائي الأَطْفالَ:

قدَّمَ اليكُمْ عَددٌ مِنْ شُعرائِنا الْعَرَبِ القُدماءِ أَنْفُسَهمْ.

وأنا يا أَحبَّائي واحدٌ منْهُم.

يقولُون: إِني مِنْ أَشْهَرِهمْ.



فَقَدْ سَمَّوْني:

« شاعِرَ الفَلاسِفَة، وفيْلسُوفَ الشُّعَراءِ . »

كما تفضَّل بَعْضُهمْ فَخَلع عَليَّ لَقَبَ: « حَكيم ٱلمعَرَّةِ ». ولكنِّي كُنْتُ زاهِداً بِالدُّنيا وبِالأَلْقابِ.

قَضَيْتُ حياتي كُلَّها في طَلَبِ العِلْمِ والتَّعْليم والتَّأْليفِ. أَلْبَسُ أَبْسَطَ الثِّيابِ، وأَتنَاولُ أَيْسَرَ الطَّعامِ .

وحينَ تَمُرُّون في بَلْدَتي الَّتي أَحْبَبْتُها كثيراً، أَعْني مدينَة المَعرَّةِ الصَّغيرةَ، القريبةَ من حَلَبَ، سَتُشاهِدونَ قَبْري ما يَزَالُ ماثلاً فيها، وقد ارْتَفَعَتْ عليه هذهِ « الشاهِدةُ » التي تَحْملُ بيْتَ الشِّعْرِ المَشْهورَ الذي أوصَيْتُ أَن يُنْقَشَ على قَبْري، وهو:

هذا جناهُ أَبي عَليَّ
وما جَنَيْتُ على أَحَدْ

سَمِعْتُ مؤَخَّراً أَنَّهم جَدَّدوا بناءَ ضَرِيحي [1]، وجعلُوا الى جانبهِ مكْتَبةً يُطالِعُ فيها الناسُ. ولقدْ أَثْلَجَ هذا النَّبأُ صَدْري، لِأَني لا أَعْرِفُ شيْئاً أَثْمنَ من الكتابِ.

وُلِدْتُ في هذهِ البَلْدَة الخَضْراءِ: المَعرَّة. مِن أُسْرةٍ عُرِفَتْ بالثقافَةِ والأَدَبِ. وكانَتْ ولاَدتي في عام ٣٦٣ للهجْرةِ.

تَلَقَّيْتُ تَحْصيلي الأَوَّل على يَدَيْ والدي - رحِمَه الله -. ولكنّي أُصِبْتُ مُنْذُ طفولَتي بهذا المَرَضِ اللَّعينِ «الجُدَرِي»، فَفَقدْتُ بَصَرِي، وأنا ما أَكادُ أَبْلُغُ الرابعة

(١) ضريحي: قبري.

من عُمُري. وهكذا قُدِّرَ لي أَنْ أَعيشَ مَكفُوفَ الْبَصَرِ طَوالَ حَياتي. ولذلك سَمَّوني أَيْضاً: الشاعِرَ الضَّرِيرَ.

اسْتَعَضْتُ بِبَصِيرَتي عن البَصَرِ، ورأَيْتُ بِفِكْري الكثير مِمَّا لا يراهُ الذينَ يُبْصِرون بِأَعْيُنِهِمْ فقَطْ.

زُرْتُ في مَطْلعِ شَبابي عَدداً من المُدنِ السُّوريَّةِ الَّتي كانَتْ عامِرَةً بالمكْتَباتِ الضَّخْمةِ، مِثْلَ طَرابُلُسَ، واللاذقيَّةِ، وأَنطاكية. وهناك.. كنتُ أَلْتَهِمُ كلَّ ما تَصِلُ اليه يَدي من أَدَبٍ وفِكْرٍ وفَلْسَفةٍ.

نَظَمْتُ الشِّعْرَ وأنا صَغيرٌ. وكانَ مَثَلي الأَعْلى في ذلِكَ الشاعِرَ العَظيمَ المُتنَبِّي الَّذي تُوُفِّي قَبْلَ أَنْ أُولَدَ بقليلٍ.



وبعْدَ أَنْ تمكَّنْتُ منْ تَثْقيفِ نَفْسي رُحْتُ أَتطَلَّعُ الى آفاقٍ أَوْسَع، وعالَمٍ أَرْحَبَ. فَرحَلْتُ الى بَغْدادَ. وكانتْ عاصمةَ الأَدَبِ والفِكْرِ والحَضَارةِ.

ولكنَّ الإقامةَ لمْ تَطِبْ لي هُناكَ.

لقدْ تملَّكَني الحنينُ الى بَلْدَتي الصَّغيرةِ «المعرَّةِ»، فَعُدْتُ إليها مُسْرِعاً، ولَزِمْتُ داري، لا أُفارِقُها أَبداً، مُنْقطِعاً الى التدريسِ والتأليفِ. وكانَ طُلاَّبُ العِلْمِ يأْتونَ اليَّ من سائِرِ أَنْحاءِ البلادِ العربيَّة والإسلاميَّةِ يتحلَّقون حَوْلي، في داري المُتواضِعَةِ، وأنا أُمْلي عليهمُ الدُّروسَ، وأَشْرَح لَهمُ الكتُبَ. أَنفقْتُ حياتي كُلَّها

هكذا.. وسَمَّيْتُ نَفْسي «رَهينَ المَحْبِسَيْنِ»، أَعْني: مَحْبِسَ الْعَمَى، ومحْبِسَ المَنْزِلِ. وكانَ هذا هو اللَّقَبَ الوحيدَ الَّذي اخْتَرْتُه أنا لِنَفْسي.

تَرَكْتُ لِلأَجْيالِ العربيَّة كُتُباً كثيرةً في الشِّعْرِ والنَّثْرِ.

مِنْ أَهمِّ دَواويني الشِّعْرِيَّةِ: «اللزوميَّاتُ».

ومِنْ أَهمِّ كُتُبي النَّثريةِ: «رسَالةُ الغُفْرانِ».

أَعزَّائي الصِّغارَ:

بعد أَنْ عَرَفْتُم لمحةً عن حياتي هَلْ تُحبُّون أَنْ تَحْفَظوا شيئاً مِن شِعْري؟

سأَتْرُك لكْم هذه الأبياتَ مِنْ قصيدةٍ قُلْتُها في أَيامِ الشَّبابِ، وأَرْجو أَنْ تَظْفَرَ بإِعجابِكُمْ، أَيُّها الإِحبَّاءُ

الصِّغار الذين لم نَلْتفتْ اليهمْ نحنُ الأَقْدَمينَ، ولمْ نعْطِهم من اهْتمامِنا وحُبِّنا ما يَسْتحقُّون.
أَعْترِفُ بِهذا وأنا شَديدُ الْأَسَفِ لِهذا التَّقْصيرِ.
والْآنَ.. اليْكم الأَبْياتَ التي وعَدْتكُم بها:

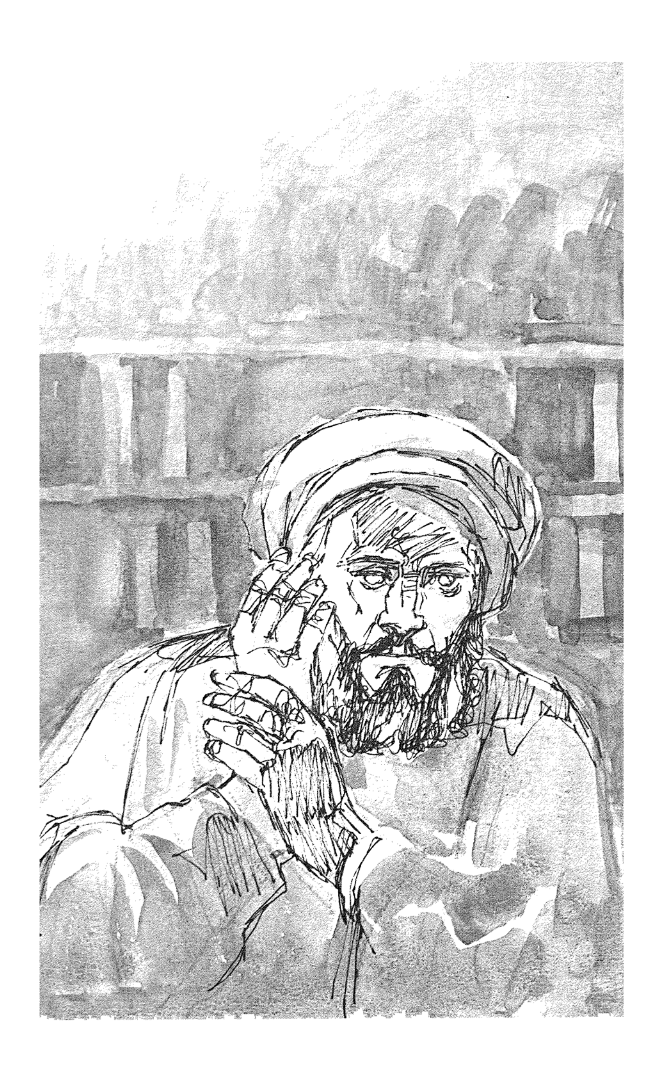
أَرَى ٱلعنْقاءَ تكْبُرُ أَنْ تُصَادَا
فَعانِدْ مَنْ تُطيقُ لَهُ عِنادَا [٢]

ولَمَّا أَنْ تجَهَّمني مُرَادي
جَرَيْتُ معَ الزَّمانِ كما أَرادَا [٣]

---

(٢) شبه الشاعر نفسه في هذا البيت بالعنقاء. وهي طائر خيالي يستحيل أن يقدر أحد على صيده.

(٣) تجهَّمني: عبس في وجهي. ومرادي: الشيء الذي أريده.



وَهوَّنْتُ ٱلخُطُوبَ عَلَيَّ حتَّى
كأنِّي صِرْتُ أَمْنَحُها ٱلوِدَادَا [٤]

كأنِّي في لِسان الدَّهْرِ لَفْظٌ
تَضَمَّن منْهُ أَغْراضاً بِعادَا

يُكَرِّرُني.. ليَفْهَمَني رِجالٌ
كما كرَّرْتَ معْنىً مُسْتَعادا

ولَوْ أَني حُبيتُ الخُلْدَ فَرْداً
لما أَحْبَبْتُ بِالخُلْدِ انْفرادَا [٥]

---

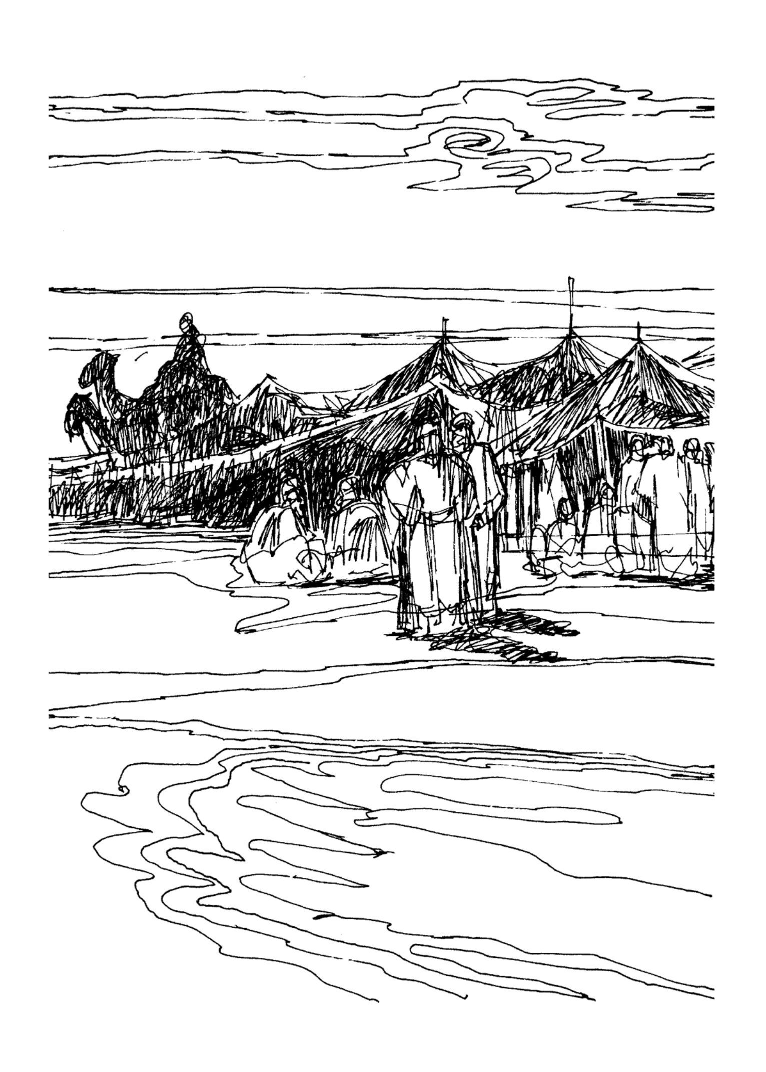
(٤) هوّنت: سهّلت. الخطوب: الشدائد.

(٥) يقول الشاعر: لو أعطوني جنة الخلد بكل نعيمها لأعيش فيها وحدي. لرفضتها. لأنني أريد أن يشاركني الناس هذا النعيم.

فلاَ هَطَلَتْ عَلَيَّ ولا بِأَرْضي
سحائِبُ ليْسَ تنْتظِمُ البِلادَا [٦]

---

(٦) يقول الشاعر: إنني لا أريد المطر الذي ينزل على أرضي. إذا لم يسْق البلاد كلَّها. ونلاحظ في مثل هذه الأبيات الرائعة بذور الفكرة الاشتراكية عند شاعرنا وفيلسوفنا العظيم.



اِبْنُ زَيْدُون

صديقتي الصَّغيرة: رَشَا..

أنا قادمٌ منَ الأَنْدَلُسِ.. أَرْضِ الفِتْنةِ، والشِّعْرِ، والْجَمالِ. أَرْضِ الحَضارةِ العَربيَّة التي ما تَزالُ حتى الساعة تَمْلأُ العُيونَ، وتَسْتَهوي القُلوبَ.

تُريدينَ يا صَغيرتي أَنْ أُحدِّثَكِ قليلاً عنْ حياتي.. وعَنْ شِعْري.

حَسَناً.. سَأَكونُ عنْدَ رَغْبَتِكِ، ورَغْبَة أَطْفالِنا الحُلْوين.

أَنا الشاعرُ الأَنْدلُسيُّ المَعْروفُ: ابْنُ زَيْدون. أنتسِبُ الى القبيلة العربيَّةِ المَشْهورةِ «مَخْزوم».. التي يَنْتسب إليها القائد العَظيمُ خالدُ بْنُ الوليدِ، والشاعِرُ الكبيرُعُمَرُ بْنُ أَبي ربيعةَ وهي فَرْعٌ من قبيلة قُرَيْشٍ. شَجَرةٌ واحدةٌ يا صَغيرتي، فُروعُها في المَغْرِب، وأُصولُها في المَشْرِقِ.. ما نَزالُ جميعاً نتَفيَّأُ ظِلالَها، ونسْتمِدُّ منها الحياةَ.

اسْمي احمدُ بْنُ عَبْد اللهِ، وكُنْيَتي ابو الوليدِ. ولكنّي مَعْروفٌ بِلَقبي هذا: ابْنِ زيدون. كانت وِلادتي في عام ٣٩٤ للهجرة، في قُرْطُبةَ.. مَدينةِ الفَنِّ والعِلْمِ

والحَضارة في زمَني. كانتْ تُنَافِسُ بَغْدادَ، وتُشِعُّ بأنوارها في الغَرْبِ، كما كانتْ بَغْدادُ تُشِعُّ بأنوارِها في الشَرْقِ. في هذه المدينة العَظيمة نَشَأْتُ وتَثَقَّفْتُ. وكانَ والدي من كبار الفُقَهاءِ فيها. فأتاح ذلك ليَ فُرْصَةَ الحياة في جوٍّ تتوافَر فيه كلُّ شُرُوط التَّفَتُّحِ والانْطلاقِ.

حَمَلْتُ مُنْذُ الصِّغرِ شُعْلَةَ الطُّموحِ في صَدْري. ولما بَلَغْتُ العِشْرينَ من عُمُري كُنتُ قد مَلَكْتُ قيادَ الشِّعْرِ، وأَصْبَحْتُ أُجيدُ نَظْمَهُ، ولكنِّي كُنْتُ أُحبُّ المُغامَرةَ في



السِّياسَةِ. وكانتْ قُرْطُبَة مَيْداناً لِلصِّراعِ السياسيِّ بين المُتنافِسينَ على الحُكْمِ، والطامعين فيهِ.

فما كادَتِ الثورةُ في مدينتي تَذْهبُ بمُلْكِ الأُمويِّينَ حتى حَلَّتْ مَحلَّها الدَّوْلةُ الجَهْوَرِيَّةُ. وكنتُ من أَقْربِ المُقَرَّبينَ الى رئيسِها الجديدِ: الحَزْم بْنِ جَهْورٍ، حتَّى أَنَّه مَنَحني لَقَبَ: ذي الوزارَتيْنِ.

وما لَبِثَ خُصُومي وحُسَّادي أَنْ بَدأُوا يَكيدُون لي عِنْدَ صديقي ابْنِ جَهْور ويُفْسِدون بيْني وبَيْنه، حتَّى غَضِبَ عَليَّ، وأَلْقاني في السِّجْنِ.

مَصاعِبُ وأَزماتٌ لا بُدَّ أَن يَتعرَّضَ لها كُلُّ مُغامرٍ طَموحٍ. أَليسَ كذلكَ يا رَشَا؟

رُبَّما خَطَرَ لصَديقَتي الصَّغيرةِ أَنْ تسْأَلَ: وماذا حَدَثَ لكَ بعدَ أَنْ أُلْقيتَ في السِّجْنِ؟

والجوابُ يا صَغيرتي أَنِّي لَجأْتُ الى الفِرارِ منْهُ، حينَ لم يَلْتَفِت أَحدٌ الى شكْوايَ. وغادرْتُ مَدينَتي الجميلةَ قُرْطبةَ، ولم أَعُد إليها إلاَّ بَعْدَ وَفاةِ حاكِمِها أَبي الحَزْم، وتولِّي ابْنِه زمامَ الأُمور.

وقد أَعادني ابْنُه الى سابِق منْزِلَتي وجَعلني سفيراً بينَه وبَيْنَ مُلوك الأَنْدَلُسِ ورُؤَسائِها.

ولم يَلْبَثِ الحُسَّادُ أَنْ عادوا الى مَكْرِهم ودسائِسهِمْ ضِدِّي، فأَفْسَدوا ما بيني وبَيْنَ الابْنِ، كما أَفسدوا منْ قبْلُ بيْني وبيْنَ والِده. فاضْطُرِرْتُ الى الفِرار من قُرْطبةَ، والابْتِعاد مرَّةً أُخْرى عن ملاعبِ الطُّفولةِ، ومَرابعِ الشبابِ والذِّكْرياتِ.

ورُحْتُ أتنقَّلُ في رِحابِ الأَنْدلُسِ ، حتَّى استَقَرَّ بي المُقامُ في مَدينةِ إشْبيليةَ، واتَّصَلْتُ بمَلِكها، فألْقى بينَ يَديَّ مقاليدَ المُلْكِ، وجَعَلَني وزيرَهُ الأَوَّلَ، وبَلَغْتُ عنْده مَنْزِلةً عاليةً لم أَبْلُغْها منْ قَبْلُ.

وبقيتُ كذلِكَ أُوزِّعُ حياتي بين الشِّعْر والسِّياسَةِ.. مُتنقِّلاً بين إشْبيليةَ وقُرْطُبة حتَّى أَدْركَتْني الوفاةُ، وأنا شيخٌ كبيرٌ، أُحاولُ تَهْدئَةَ ثَوْرةٍ نَشبَتْ في إشْبيليةَ. وكانتْ وفاتي في عام ٤٦٣ هِجريَّة.

حياةٌ صاخبَةٌ قَضَيْتُها في غِمارِ الأَحْداثِ لا أَهْدأُ ولا أَسْتريحُ. ولكنَّ الحادِثة الخاصَّةَ التي رَواها الناسُ عنِّي، وأَلْهمتْني الكثيرَ من أَشْعاري كانتْ حادِثةً عاطِفيَّةً.

هلْ يَحقُّ لي أُنْ أَرْوِيَها للصِّغارِ؟ لا أَدْري.

سأمُرُّ بها مُروراً خاطِفاً يا رشا. وحين تكْبَرين ستقْرَئينها مُفَصَّلَةً في أَخْباري وفي شعْري.

لقدْ أَحْبَبْتُ في شَبابي فَتاةً رائعةَ الجمالِ، عاليةَ الثقافةِ، هيَ وَلاَّدةُ بِنْتُ الخليفة المُسْتكْفي التي أقامَت في قُرْطبة بَعدَ أَنْ زال مُلْكُ أَبيها. وكانتْ شاعرةً مثْلي. ولي مع هذه الفتاةِ قِصَّةٌ طويلةٌ مَلْأَى بالحُبِّ، والأَلَمِ، والشِّعْرِ، نتْرُكها الآن حَتَّى يَجيءَ وَقْتُها المناسب.

تركتُ لتاريخ الأدب ديوان شعر يمتلىءُ بقصائد الحبّ، ووصفِ الطبيعةِ الساحرة، وما أروعَ الطبيعةَ في الأندلس، وما أحلاها! وفي ديواني أشعارٌ وموضوعاتٌ أخرى تنسابُ كلُّها في لغةٍ رشيقةٍ ناعمةٍ تُشبه لغةَ البحتري شاعرِ المشرق العربي المشهور، ولذلك سمّوني بحتري المغرب.

سَأُوَدِّعُكِ ٱلآن يا صديقتي الصَّغيرةَ لِأُتابع رِحْلَتي في أَقْطار العُرُوبةِ، وأَتحدَّث الى أَبْنائِنا الصِّغارِ في كُلِّ مكانٍ.

لقَدْ سَحَرَتْني دِمشْقُ بِجمالِها، وأَصالَتِها العربيَّةِ الَّتي ما تزالُ تُصِرُّ عليْها. ولا بُدَّ أَنْ أَعودَ إليها في وقْتٍ

قَريبٍ. أُنقلي تحيَّاتي الى رفاقِكِ ورفيقاتِكِ الصِّغارِ جميعاً. والى المُلْتقى.. أَيَّتُها الحُلوةُ الغاليةُ.

إذا خَطَرَ لكِ أَنْ تحْفَظي شيْئاً من شِعْري فالَيْكِ هذه الأَبْياتَ الرقيقةَ التي أُناجي فيها وَلاَّدةَ، وأَتحدَّثُ عن جمالِ الطبيعةِ في (الزَّهْراء) بالقُرْبِ من قُرْطُبةَ:

إنِّي ذَكَرْتُكِ بالزَّهْراءِ مُشْتاقا
وَالأُفْقُ طَلْقٌ، ووجْهُ الأَرْضِ قدْ راقا

وَالرَّوْضُ عَنْ مائه الفِضِّيِّ مُبْتَسِمٌ
كما شَقَقْتَ عنِ اللَّبَّاتِ أَطْواقَا [1]

يومٌ كأَيَّامِ لَذَّاتٍ لَنا ٱنصَرَمتْ
بِتْنا لها حينَ نامَ الدَّهرُ سُرَّاقَا [2]

نَلْهو بما يَسْتميلُ العَيْنَ منْ زَهَرٍ
جالَ النَّدَى فيه حتَّى مالَ أَعْناقَا [3]

---

(١) اللبَّات: مفردها لبَّة. وهي موضع القلادة من الصَّدر. يريد الشاعر انَّ الماء الفضيَ يتألق في تلك الحدائق كما يتألق صدر الحسناءِ إذا كشفت عنه الأطواق.

(٢) انصرمتْ: ذهبتْ.

(٣) الندى: قطرات الماء.

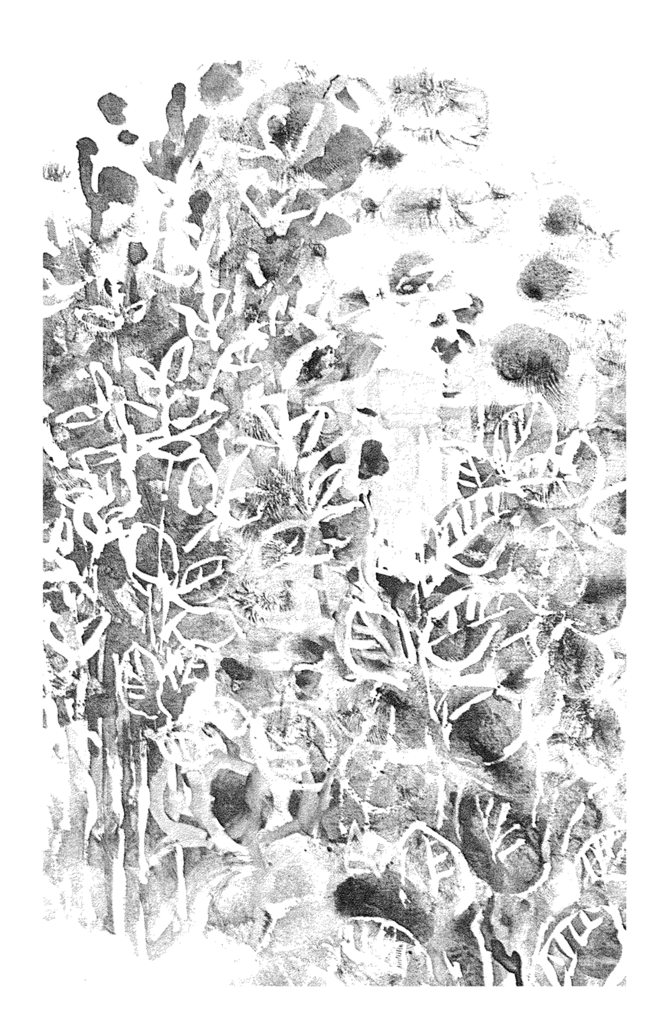
كأنَّ أَعْيُنَه إذْ عايَنَتْ أَرَقي
بكَتْ لما بي فجالَ الدَّمْعُ رَقْراقَا [٤]

وَرْدٌ تألَّقَ في ضَاحي مَنابِتِهِ
فازْدادَ منْهُ الضُّحَى في العينِ إشْراقَا [٥]

كُلٌّ يَهيجُ لَنا ذِكْرى تُشَوِّقُنَا
إلَيْكِ.. لمْ يَعْدُ عنها الصَّدْرُ أَنْ ضاقا [٦]

---

(٤) يريد أن يقول هنا: إنّ الزهر يشارك الشاعر سَهَره وآلامه فيبكي من أجله حين يُعاين حالته. وقطرات الندى هي دموع الأزهار.
(٥) إشراق الورد في الحديقة يزيد النهار جمالاً على جمال.
(٦) لم يعْدُ: لم يتجاوز. أي أن صدر الشاعر يضيق بآلام الذكريات الحلوة التي زالت وانقضت.



كانَتْ رَشا الصغيرةُ تستمِعُ الى الشاعرِ الكبير ابْنِ زيْدون وهو يُحدِّثُها عن حياتِه، وعنْ شِعْرِه الجميلِ، دونَ أَنْ تُقاطِعَه، او تَسْأَلَه عن شيْءٍ. كانتْ مسْرورةً جداً بهذا الحديث الشائِق الذي يَفْتحُ أَمامَها صَفْحةً من صَفَحاتِ أَدَبِنا القديم المُشْرِقِ الزَّاخرِ بٱلعطَاءِ والإبْداعِ.

ولكنَّ الصغيرةَ قَطَعتِ الصَّمْتَ فَجْأَةً حينَ توقَّفَ الشاعِرُ عنِ الحديثِ. وقالتْ لهُ:

سَيِّدي.. هلْ أَسْتطيعُ أَنْ أَطْلُبَ اليكَ طَلباً باسْمي، وباسْم رفاقي الصِّغارِ جميعاً؟

وَٱبْتَسَمَ ابْنُ زيْدونَ وقالَ:

اطْلُبي ما تشائينَ. وسأكونُ عنْد رَغْبَتِكِ، ورَغْبَةِ رفاقِكِ الأَحبَّاءِ.

قالتْ رَشَا:

سمعْتُ أخي الكبيرَ يَحْفظُ منذُ أيامٍ قصيدةً جميلةً من قصائدِكَ، وقد أَثَّرَتْ فيَّ كثيراً بالرَّغمِ من أَني لم أَفْهم معانيها جيداً. كانت القصيدة تحْكي عن الفِراقِ والبُعْدِ، والآلام التي يُحسُّها الشاعرُ حينَ يفارِقُ مَنْ يُحبُّهم، ويبتعدُ عنهم.

أليسَ هذا هو الموضوعَ الذي تكلَّمْتَ عنه في تلك الأَبْياتِ؟

قال ابْنُ زيْدون:

نَعمْ يا صَغيرتي. انكِ تُريدينَ قصيدتي التي مَطْلِعُها:

أضحى التنائي بَديلاً من تَدانينا
ونابَ عن طِيبِ لُقيانا تَجافينا

ولقد تَجنَّبْتها عامداً، لأَني لا أُحبُّ أَنْ أَنقُلَ نَبْرةَ الحُزْنِ والألمِ الى أَطْفالِنا الغالين.

واليكِ بَعْضَ أَبْياتِها ما دُمْتِ تُصِرِّينَ عليها:

بِنْتُم وَبِنَّا.. فما ٱبْتَلَّتْ جوانِحُنَا
شَوْقاً إليْكُمْ ولا جَفَّتْ مآقينا (٧)

نكادُ حينَ تُناجِيكُمْ ضمائِرُنا
يَقْضي علينـا ٱلأَسَى لولا تأَسِّينا(٨)

---

(٧) بنتم وبنّا: بعدتُم وبعُدنا. مآقينا: عيوننا الدامعة.
(٨) الأسى: الحزن. تأسِّينا: تصبرنا وتعزِّينا.

لا تَحْسَبوا نأْيَكُم عنا يُغيِّرُنا
إنْ طالَما غَيَّرَ النَّأْيُ المحَبِّينا [9]

والله ما طَلَبَتْ أَهْواؤُنا بَدَلاً
منكُمْ ولا ٱنصَرَفتْ عنكُمْ أَمانينا

يا ساريَ البَرْقِ غادِ القَصْرَ واسْقِ بهِ
مَنْ كانَ صِرْفَ الهَوى والوُدِّ يَسْقينا [10]

ويا نسيمَ الصَّبا.. بَلِّغْ تَحِيَّتَنا
مَنْ لوْ على البُعْدِ حَيًّا كانَ يُحْيينا

---

(9) نأيكم: بُعدكم.
(10) غاد القصر: مُرَّ بالقصر غدوةً. صرْف الهوى: الحب الصافي.

سليمان العيسى

شعراؤنا
يُقدِّمون أَنْفسهم
للأطفال

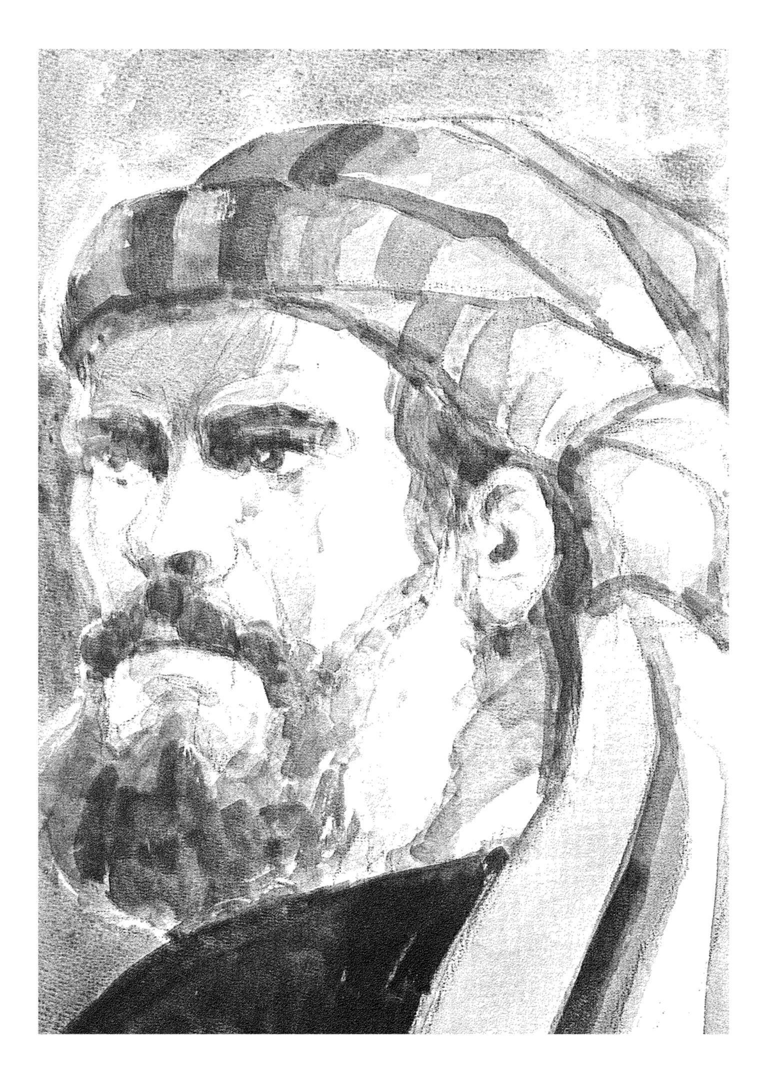
الجزء الخامس

١ - الفَرَزْدَق
٢ - جَرير

الفَرَزْدَق

أصْدِقائي الصِّغار:

أنا ابْنُ البادية.. وما أكْثر الشُّعراءَ الذينَ أَنْجبَتْهُمُ البادِيَةُ! بَعْضُهُمْ كان رقيقاً ناعِماً عاشَ لِلحُبِّ والَجمالِ. وبَعْضُهُم كان حادَّ المِزَاجِ، جافِيَ الطِّباعِ قليلاً. ومنهمْ أَنا الشاعِرُ العربيُّ الذي يتَحدَّثُ إليكم الآنَ.



وليْسَت الخُشونَةُ عَيْباً في حَدِّ ذاتِها، فإنَّها في كثيرٍ من الأحيانِ تُرادِفُ القُوَّة والرُّجولةَ، وتكونُ تعبيراً عن الأصالةِ الحقيقيةِ.

وأنا مُضْطَرٌّ للدِّفاع عن نفْسي بهذه الكلمات لأَنَّ المُؤَرِّخينَ بالَغوا قليلاً في الحديثِ عنْ خُشونَتي، وجفَاءِ طِبَاعي.

كِدْتُ أَنْسى تقديمَ نَفْسي إليكمْ يا صِغار.

اسْمي هَمَّامُ بْنُ غالبٍ.

ولَقَبي: الفَرَزْدَقُ.

ورُبَّما ضَحِكَ صِغاري الأَعِزَّاءُ إذا شرحْتُ لهم معْنى كلمة: فَرَزْدَق.

يقولون: إنها تعْني الرغيفَ الضَّخْمَ، أو القطْعة من العجينِ التي تُبْسَطُ وتُرَقَّقُ فيُنْجزُ منها الرَّغيفُ. ولا

أَدْري مَنِ الذي أَطْلَقَ عَلَيَّ هذهِ التَّسْميةَ حتَّى اشتُهِرْتُ بها، وصارَتْ لَقَبي.

إِنَّني انتسِبُ إلى قبيلةِ تميمٍ. وهي من أَشْهرِ القبائل العربيَّة، وأكثرها عَدَداً. وقد ولدْتُ في مدينةِ البصرةِ، ونشأْتُ في باديَتها في صدر الإِسلام.

كان أبي غالبٌ من أجوادِ العَربِ المشْهورين في الكرَمِ والضِّيافَةِ. وكذلكَ أَجْدادي منْذُ أَيَّامِ الجاهليَّةِ. فلا عجَبَ إذا رأَيْتموني أفتَخرُ بهم في شِعْري، وأُعَدِّدُ مناقِبَهم وخصالَهُمُ الحميدةَ، وأُباهي الناسَ بِهؤلاءِ الآباءِ الشُّجْعانِ الأَجْوادِ.

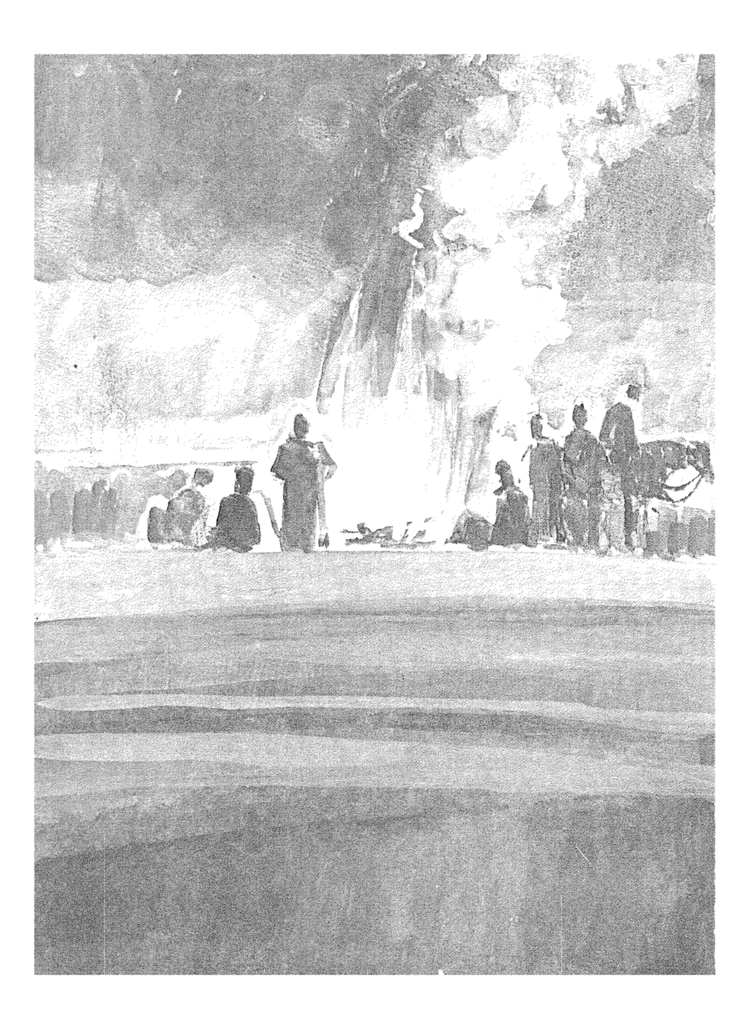
ولا بأْسَ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ عن نارِ الضيافةِ التي كان أبي يُوقدُها.

تعرفون يا صغارُ أَنَّ المسافرينَ في الصحراءِ كثيراً ما كانوا يتعرَّضون للتِّيهِ والضَّياعِ في مجاهلِ القِفارِ. وكثيراً ما كانوا يَجوعون ويعْطشون في تلكَ الفَلَواتِ الواسعة

الموحشَةِ. فكانَ أبي غالبٌ يُوقدُ ناراً عظيمةً في الليل لكي يهْتديَ بها المسافرونَ. ويَتوجَّهوا نحوها. فإذا ما وصلوا إليها وَجَدوا عندنا الدِّفْءَ والراحةَ والطَّعامَ الوفيرَ، وكان كثيرٌ من سادات العَرَبِ يفعلُ ما يَفْعلُ أبي، فيتغَنَّى الشُّعراءُ بكرمِهم، ويلْهَجُ النـاسُ بأَخْبارِهمُ الطيِّبةِ، ويتناقَلونها من مكانٍ إلى مكانٍ، وكانت تلكَ النارُ تُسمَّى « نارَ ٱلقِرَى »، أَيْ إِطْعامِ الضَّيْفِ.

عادةٌ جميلةٌ، أليسَ كذلك؟ تدُلُّ على روحِ النُّبْلِ والشَّهامةِ التي كان أجدادكُمُ العَرَبُ يتحلَّوْنَ بها.

بقيَ أَنْ أَقولَ لكُمْ أَنِّي نَظَمْتُ الشعرَ وأنا صغيرٌ. وحينَ عَرَفَ أبي ذلكَ فرِحَ بمَوْهبتي المُبكِّرةِ، وأَخذني إلى الإمام



عليِّ بْن أبي طالبٍ، وقال له: «إنَّ ٱبني هذا مِنْ شُعراءِ مُضَرَ [1]، فاسمَعْ منه. فأجابَه الإمامُ: «علِّمْهُ القُرْآنَ».

وقد أثَّرتْ فيَّ هذه النصيحةُ تأثيراً عميقاً. فلما كبِرْتُ قيَّدْتُ نفْسي وحلفْتُ أَلاَّ أَفُكَّ قيْدي حتَّى أحفظَ القُرآنَ لكي لا أتَلهَّى بشيءٍ عنْ هذا الحِفْظِ.

لا تنْسوا أني كنتُ أُحبُّ هذا الرَّجُلَ العظيمَ، وأُقدِّرُهُ كثيراً منذُ طُفولَتي.

ولَمَّا كبِرْتُ نظمتُ القصائد الكثيرةَ في الفَخْرِ والمديح. كنتُ أَفْخَرُ بقومي، وأُسجِّلُ آثارَهُمْ ومكارِمَهُم في شِعْري، وكنتُ أَمْدحُ الوُلاةَ والخُلفاءَ الأُمويِّين كما كان يفْعَلُ سائرُ الشُّعراءِ طَمَعاً بجوائزِهِمْ، وهباتِهمُ السَّخِيَّةِ [2].

هل تُريدونَ أَنْ أُحدِّثَكُم قليلاً عنْ مَعارِكِ الهجاءِ التي

---

(١) مُضر: تعني هنا عرب الشمال

(٢)هباتهم السخية:عاطاياهم العزيزة.

دارَتْ بَيْني وبَيْنَ جَريرٍ الشاعرِ الذي يقْتَرِنُ ٱسمُهُ باسمي في تاريخ ٱلأَدَبِ دائماً؟

الحقُّ أَنِّي لا أُحبُّ أن تقرَؤُوا هذا ٱلهِجاءَ أيها الصِّغارُ، ولا تحْفظوه.

سامَحَ الله أخي جريراً وسامَحَني! لقد بَقينَا نحْواً من أَرْبعينَ سنةً نتبادلُ الشتائمَ شِعْراً، والناسُ يتناقَلُون هذه القصائد، ويتسلَّوْنَ بها، ويُحَرِّضوننا عليها، وحبَّذا لو صرَفْنا عَبْقرِيَّتَنا الشعرية إلى موْضوعاتٍ أَجْدى وأَنْفَعَ.

كنتُ أُحبُّ زوْجَتي وأَولادي. وكان ٱسمُ زوْجتي التي أَحْببتُها «النَّوارَ». ولم تخْلُ حياتي معَها من بَعْضِ المُشاحَناتِ والصِّعابِ. ورُبَّما كنتُ أنا السَّبَبَ في ذلكَ. أَلَمْ

أَقُلْ لكم منذُ البدايةِ أَنِّي كنتُ جافاً، خشِناً، بَعْضَ الشَّيْءِ. ولكني كنتُ أُخْفي وراء هذا ٱلجفافِ عاطفةً رقيقةً، وقلباً مُفْعماً بالحُبِّ والمشاعرِ الإنسانيَّةِ.

عُمِّرْتُ طويلاً. وطُفْتُ في حياتي كثيراً من البلادِ. عَرفْتُ العراقَ والشامَ والحجازَ، وكانتْ وفاتي في خلافةِ هشام بْنِ عبْدِ الملكِ وقد قاربْتُ التسعينَ من عُمْري.

وٱلآنَ.. هل تُحبُّونَ يا صغاري أَنْ تحْفظوا شيئاً من شِعْري؟ ماذا سأَختارُ لكم؟

لا شكَّ أنني لن اختار شيئاً من قصائدِ الهجاءِ. لأَنِّي لا أريدُ أَنْ يسْمعَها الكبارُ، فكيفَ بالصِّغارِ؟

ولكنِّي سأَتْرُكُ لكم هذه الأبياتَ الجميلةَ التي أتحدَّثُ



فيها عن رحْلةٍ قُمْتُ بها إلى الشام ، قاصداً الخليفةَ الأُمويَّ هشامَ بْنَ عبدِ الملكِ، وفي جيْبي قصيدةٌ جيِّدةٌ من قصائدِ المديحِ . لقد كنتُ يوْمَئذٍ شيخاً طاعناً في السنِّ، أُناهِزُ الثمانينَ من العُمُرِ، كما تُشيرُ إلى ذلكَ أَبْياتي التاليةُ. ولقد آثرْتُ هذهِ الأبياتَ لأنَّها تُصوِّر بَعْضَ ما كنا نُعانيه من أسْفارٍ ومتاعبَ لكي ننْقُلَ كلمَتنا العربيَّةَ الجميلةَ، التي يُسمُّونها الشعرَ، منْ مكانٍ إلى مكانٍ.

إليكُمْ أَيُّها الأعزَّاءُ أَبْياتي التي تقولُ:

رَمَتْني بالثمانينَ اللّيَالي
وسَهْمُ الدَّهْرِ أصْوَبُ سَهْمِ رامي

وغَيَّرَ لَوْنَ راحِلَتي ولَوْني
تَرَدِّيَّ الهواجِرَ واعْتِمامي [(٣)]

أَقُولُ لِنَاقتي لما تَرَامَتْ
بِنا بِيدٌ مُسَرْبَلَةُ القَتَامِ : [(٤)]

---

(٣) راحلتي : ناقتي التي استخدمها في الأسفار . تردي الهواجر : السمر في الحر الشديد عند منتصف النهار . والاعتام : لبس العمامة على الرأس . يشير الشاعر في هذا البيت الى شدة ما يلاقيه من أهوال في اسفاره .

(٤)البيد : الصحاري . مسربلة : لابسة . القتام : الغبار . كأن هذه الفلوات قد لبست الغبار ثياباً فأصبحنا لا نرى فبها شيئاً واضحاً .

أَغِيثي مَنْ وَراءَكِ مِنْ رَبيعٍ
أَمامَكِ، مُرْسَلٍ بِيدَيْ هِشامِ [٥]

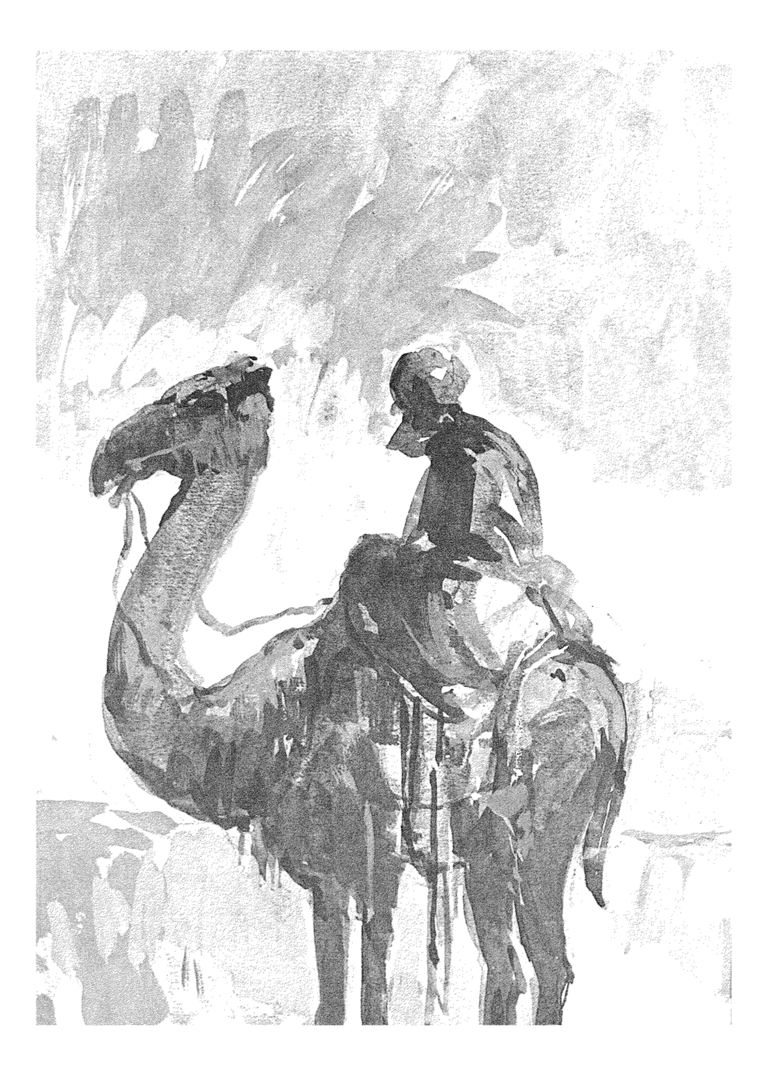
إِلامَ تَلَفَّتِينَ.. وأَنْتِ تَحْتي
وخَيْرُ الناسِ كُلِّهِمو أمامي؟

مَتَى تَرِدي الرُّصافَةَ تَسْتَريحي
مِنَ التَّهْجيرِ والدَّبَرِ الدَّوامي [٦]

ويُلْقَى الرَّحْلُ عنكِ وتَسْتَغيثي
بِمِلْءِ الأَرْضِ.. والمَلِكِ الهُمَامِ

---

(٥) الربيع: يعني هنا كرم الخليفة الذي يشبه المطر وبالمطر يخضرُّ الربيع.
(٦)تردُ الرُّصافة: تأتي مدينة الرُّصافة مقر الخليفة هشام في شمالي سورية.
والتهجير: السير في الحر الشديد. والدَّبَر الدوامي: القروح الدامية من الرَّحْل في ظهر الناقة.



جَرِير

أَصْدِقَائي الصِّغار..

ولا بُدَّ أَنْ أَعْتَرِفَ، قَبْلَ كلِّ شيْءٍ، أنَّنا أَغْفَلْناكم كثيراً، وقَصَّرْنَا بِحَقِّكُم أيُّها الأَعِزَّاءُ، فلم نَلْتَفِتْ اليكُمْ إلاَّ فيما نَدَرَ، ولَمْ نَقُلْ لَكُمْ شَيْئاً من شِعْرِنا القَدِيمِ.

أعودُ اليكم من أَعْماقِ الجزيرةِ العربيَّةِ، منَ ٱليَمامَةِ، بَعْدَ ٱثنَيْ عشَرَ قَرْناً ونَيِّفٍ من الزَّمَنِ، لِأُقَدِّمَ اليكم نَفْسي، وأتحدَّثَ قليلاً الى أَحِبَّائِنا الصِّغار.

إِسْمي جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةَ بْنُ ٱلخَطَفَى. ولا تخافوا من هذه الكلمةِ الصَّعْبَةِ: «الْخَطَفَى».. فإِنَّها لَقَبُ جَدِّي. أَمَّا إِسْمي جَرِيرٌ فمعناه الحَبْلُ الَّذي تُجَرُّ بهِ الدَّابَّةُ. وقد بَنَى الرُّواةُ أسْطُورةً على هذا الاسْمِ، لا بَأْسَ في أَنْ أَعْرِضَها عليْكُمْ لِلتَّسْلِيَةِ.

زَعَمُوا أنَّ أُمِّي رَأَتْ في نَوْمِها، وهي حامِلٌ بي، أَنَّها قد وَلَدت حَبْلاً مِنْ شَعْرٍ أسْودَ، فصار هذا الحَبْلُ يثِبُ منْ تِلْقاءِ نفسِهِ على الناسِ، فيقَعُ في عُنُقِ هذا فيَجُرُّه، ويَلْتَفُّ على عُنُقِ ذاكَ فيُؤْذِيهِ أشَدَّ الأَذَى، حَتَّى فَعَلَ ذلِكَ بِرِجَالٍ كثيرينَ. فانتبهَتْ مَرْعوبةً. وقَصَّتْ مَنامَها على الناسِ. فقالوا لَهَا: تَلِدينَ غُلاماً



شاعِراً، يكونُ شَرّاً وبلاءً على الناسِ. يَهْجوهم ويُخاصِمُهم طُولَ حياتِه. فلَّما وُلِدْتُ سَمَّتْني جريراً. وانتم تَرَوْنَ بوضوحٍ كيف اخْتَرعوا هذه القِصَّةَ اخْتراعاً، ولكنَّها في الواقعِ تَنْطَبِقُ على كثيرٍ من وَقَائِع حياتي كما ستَعْرِفون بعد قليلٍ.

انا يا أَطْفالي من أسْرَةٍ فقيرةٍ كادِحَةٍ، كما تَقولون ٱلآنَ. أنتسِبُ الى قبيلة تميم وهي القبيلةُ نَفْسُها التي ينتسبُ اليها ابْنُ عمِّي الفَرَزْدَقُ، الشاعرُ الذي يَقْتَرِنُ اسْمُهُ بِاسْمِي دائماً.

نشأْتُ في باديةِ اليَمامَةِ، ونظَمْتُ الشعرَ وانا صغيرٌ. وكان قَوْمُنا العَرَبُ وما يزالون يعْتَزُّون بِمَوْهِبَةِ الشِّعْرِ، ويَضَعُون الشعراءَ في أَعْلَى المَراتِبِ، لِأَنَّهمُ لِسَانُ الأُمَّةِ، وسِجِلُّ مَفَاخِرِها وأَمْجَادِها. وقد

سافرتُ الى الشام في مَطْلعِ شبابي، واتَّصَلْتُ بالخليفةِ الأُمويِّ يَزِيدَ بْنِ مُعاويةَ، فلم يَأْذَنْ لي بالدُّخُولِ عليه إلاَّ بَعْدَ أنْ ذَكَّرْتُهُ بأني انا الشاعرُ الذي يَقُولُ هذا البَيْتَ الجميلَ:

وإنّي لعَفُّ الفَقْرِ مُشْتَرِكُ الغنى
سريعٌ إذا لم أَرْضَ دَاري انتقاليا

وكان الخليفةُ يزيدُ يَدَّعي أَنَّهُ هُوَ الذي قالَ هذا البَيْتَ، ويَرْويهِ لأَبيه مُعاوِيَةَ، مَعَ بِضْعَةِ أَبْياتٍ أُخْرَى.

ولم أُعْرَفْ في الشام إلاَّ بَعْدَ أَنْ طارَتْ شُهْرَتي في العِراقِ. فقد اتَّصَلْتُ بوالي العراق الشهيرِ الحجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ، وَمَدَحْتُه، وكَسَبْتُ صَدَاقَتَهُ، وجَوائِزَه. وكان هذا الرَّجُلُ مِنْ أَفْصَحِ الناسِ،

---

(١) عف الفقر: عزيز النفس لا أطلب شيئاً ولو كنت فقيراً. مشترك الغِنى: اشارك غيري بمالي حين اكون ميسوراً.

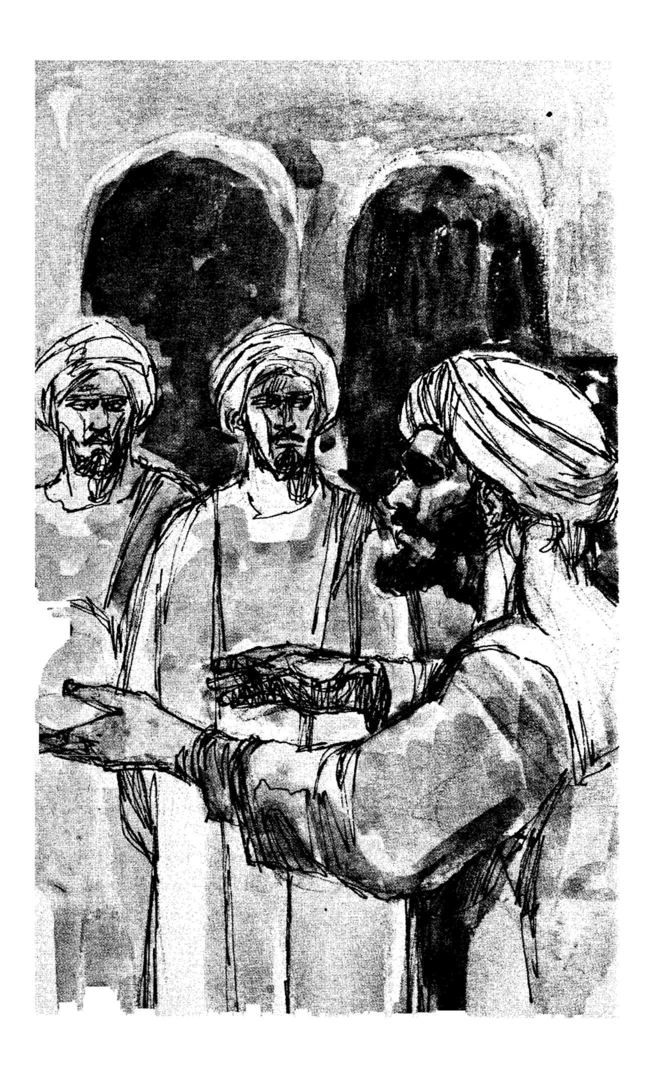
وأَشَدِّهم تَذَوُّقاً للفنِّ والأدبِ. والواقعُ أَنَّهُ هو الذي أَرْسَلَني الى الخليفةِ عَبْدِ الملكِ بْنِ مَرْوانَ في الشَّامِ، فَمَدَحْتُه بقصيدتي المَشْهُورة التي أَقُولُ فيها:

أَلَسْتُم خَيْرَ من ركِبَ المطايا
وأندى العالمينَ بطونَ راحِ ؟[٢]

وكانت جائزتي كبيرةً على هذه القصيدةِ. وقدْ يخطُرُ لكُمْ أَنْ تَقُولوا: ولكنَّ الشاعرَ العظيمَ يَنْبَغي أَنْ يكون فوقَ المديحِ والاسْتِجداءِ، هذا صحيحٌ يا أَعِزَّائي. ولكنَّ النظرةَ تَغَيَّرَتْ، والمقاييسَ اختلَفَتْ مَعَ الزَّمَنِ. لقد أصبحْتُم تَعْتَزُّون الآنَ بِشُعَراءِ الثورةِ، والجماهيرِ المُتَطَلِّعةِ الى حياةٍ أَفْضَلَ وأَجْمَلَ. عَصْرُكُمْ غَيْرُ عَصْرِنا.. يا أطْفال. وأَنَا مَعَكُمْ. ألم أَقُلْ لكم: إِنني مِنْ أُسْرَةٍ فقيرةٍ كادِحَةٍ؟ لا بُدَّ أَنْ

---

(٢) المطايا: الدواب التي تستخدم للسفر. أندى: أسخى واكرم. الراح: جمع الراحة وهي الكف. أي انكم اكرم الناس وأعلاهم مرتبةً.



أُحَدِّثَكُم عن الخُصُوماتِ التي نَشبَتْ بَيْني وبَيْنَ الشُّعَراءِ. فقد دارَتْ مَعْرَكَةُ الهجاءِ بَيْني وبَيْنَ أَرْبعينَ شاعراً او اكثرَ، فتَغَلَّبْتُ عليهم، وأَخْرَسْتُهُم جميعاً. ولَمْ يَثْبُتْ لي في هذه المعركةِ إلاَّ الفَرَزْدَقُ والأَخْطَلُ. وأَعْتَرِفُ أَنَّهُما مِنْ فُحولِ الشُّعراء

وأَظُنُّ أَنَّ ابْنَ عَمِّي الفَرَزْدَقَ قد حَدَّثَكُم عن هذِه الخُصُومةِ الشِّعْريةِ التي شَغَلَتِ الناسَ في زمانِنا، ولا أُحِبُّ أنْ أَشْغَلَكُم بها، لِأَنَّها أصبحتْ لِلذِّكْرى والتارِيخِ ، يَهْتَمُّ بها الباحثونَ المُخْتَصُّونَ.

لا بُدَّ أَنْ أَذْكُرَ لكم يا صِغارِي اسْمَ المكانِ الذي كنا نجتمِعُ فيهِ، ونُلْقي على الناسِ قصائِدَنا،

فَيُسَجِّلُونَها عنا، ويَحْفَظُونها، وتنتشِرُ في الأرضِ العربيةِ كُلِّها. هذا المكانُ يُسَمَّى «المِرْبَدَ» وهو سُوقٌ في البَصْرَة كانَ مُجْتمعاً للشعراءِ، كما كانَتْ سُوقُ عُكَاظٍ في الجاهليةِ، قبلَ الإسلام. وقد عَلِمْتُ - وأَنَا سعيدٌ بهذا النَّبَأ - أَنَّ العراقَ قد أَحْيَا «المِرْبَدَ»، وأَعادَ اليهِ مكانَتَه الأُولى. وأصبَحَ الشُّعراءُ يَتَلاقَوْنَ فيه. ويُنْشِدُونَ أشْعارَهُم، من كُلِّ قُطْرٍ من أَقْطارِ العُرُوبةِ. ما أجْمَلَ أَنْ يَتَّصِلَ الماضي بالحاضِرِ ونشعُر أَنَّنا باقُونَ في هذِهِ الأرضِ .. لا نموتُ!

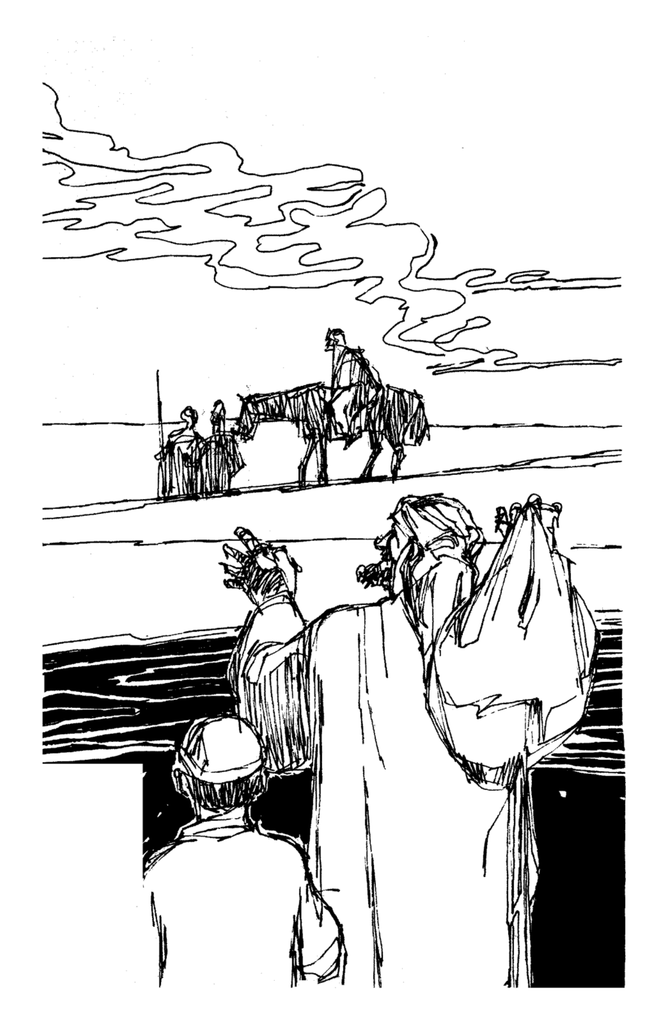
كنتُ أُحِبُّ زَوْجَتي وأَوْلادي. وكان أَكْبَرُ اولادي يُسَمَّى «حَزْرَةَ» ولذلكَ صارتْ كُنْيَتي: «أَبا حَزْرَةَ». ومن أَجْلِهم كافَحْتُ، ومَدَحْتُ، وعانَيْتُ الأَسْفارَ والمَشَقَّاتِ. عُمِّرْتُ طويلاً حتى

أَرْبَتْ [٣] سِنِّي على الثمانينَ. وكانتْ وفاتي باليَمامَةِ، الأرضِ التي نشأْتُ فيها وتركتُ لكم ديوانَ شِعْرٍ يمتلىءُ بالهجاءِ، والمديحِ، ولكنَّ أَجْمَلَ ما فيه تِلْكَ القصائدُ العاطفيةُ التي يُسَمُّونها الغَزَلَ او النَّسيبَ. إنَّها - في رأيي - خَيْرُ ما يُمَثِّلُني، ويُعَبِّرُ عَنْ مَشَاعِري وأعماقي.

هل تُحِبُونَ أَنْ تَحْفَظوا مَقْطَعاً منها؟ سأتركُ لكم هذه الأَبْيات الرقيقة التي أَحِنُّ فيها الى منازِلِ أَحْبابي الذينَ رَحَلوا، وأَصِف زَفَراتِ الشوقِ والحُبِّ التي عانَيْتُها بَعْدَهم. والأَبْياتُ- بالطَبْعِ - مُخْتَارَةٌ مِنْ قَصيدةٍ طويلةٍ :

---

(٣) أَرْبَتْ: زادت.



حَيِّ المَنازِلَ.. إذْ لا نَبْتغي بَدَلاً
بالدَّارِ داراً.. ولا الجِيرانِ جِيرانا [٤]

يا لَيْتَ ذا القَلْبَ لاقَى مَنْ يُعَلِّلُهُ
او ساقياً فَسَقاهُ اليومَ سُلْوانا [٥]

يا أُمَّ عَمْرو.. جَزاكِ اللّهُ مَغْفِرَةً
رُدِّي عَلَيَّ فُؤَادي كالذِّي كانَا

أَلَسْتِ أحْسَنَ مَنْ يَمْشِي على قَدَمٍ ؟
يا أَمْلَحَ الناسِ ، كُلِّ الناسِ ، إنْسَانا

---

(٤) حيِّ المنازلَ: سلِّم عليها. لا نبتغي: لا نريد. والشاعر لا يريد بديلاً عن أحبابه وجيرانه.

(٥) السلوان: النسيان. ومن معانيه أيضاً الشرابُ الذي كانوا يسقونه للمهموم فينسى في زعمهم كل همومه.

لقَدْ كَتَمْتُ الهَوى حَتَّى تَهَيَّمني
لا أَسْتَطيعُ لهذَا الحُبِّ كِتْمانا [٦]

لا بارَكَ اللَّهُ في الدُّنْيا إذا آنْقَطَعَتْ
أَسْبَابُ دُنْياكِ مِنْ أَسْبابِ دُنْيانا

يا حَبَّذَا جَبَلُ الريَّانِ مِنْ جَبَلٍ
وحَبَّذَا ساكِنُ الريَّانِ مَنْ كانا!

وحَبَّذَا نَفَحاتٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ
تَأْتيكَ مِنْ قِبَلِ الريَّانِ أَحْيانا [٧]

---

(٦) تهيَّمني: سَيْطَرَ عليَّ واستَعْبدني.
(٧) جبل الريَّان: اسم مكان يحنُّ اليه الشاعر. ونفحات من يمانية: نسمات من الفتاة اليمانية التي يحبها الشاعر.

وقَبْلَ أَنْ أُودِّعَكم يا صِغَاري لا بُدَّ أَنْ أُلَبِّي رَغْبة رفيقِكم سامرٍ. فقَدْ أحَبَّ أَنْ يَسْمَعَ مِنِّي بِضْعَةَ أبياتٍ من الهِجاءِ الَّذي كنتُ أَصُبُّه على خُصومي من الشُعَراءِ. وما كنتُ البادئَ بِٱلأَذَى في حياتي. اسمَعْ يا سامِرُ هذهِ الأبياتَ المشهورةَ من قصيدةٍ طويلةٍ حَمَلْتُ فيها على الراعي النُمَيْريِّ، شاعرِ بَني نُميْرٍ، حملةً عنيفةً، جَعَلَتْه سُخْرِيَةَ الساخرين. وقد سُمِّيت هذه القصيدةُ «الدامغة»، لأني دمغتُ بها الراعي وقومَه، أَعْني: قبيلتَه: وسأَقْتَصِرُ على موضوع الفَخْرِ فيها:

أَقِلِّي اللَّوْمَ عاذِلَ والعِتابَا
وقُولي، إِنْ أَصَبْتُ، لقَدْ أَصابَا

أَعَدَّ اللّهُ لِلشُّعَراءِ مِنِّي
صواعِقَ يُخْضِعُونَ لها الرِّقابَا



أَنَا البَازي المُدِلُّ على نُمَيْرٍ
أُتِيحَ منَ السماءِ لها انْصِبَابا

تَرَى الطَّيْرَ الْعِتاقَ تَظَلُّ منه
جوانحَ لِلْكَلاَكلِ أَنْ تُصَابا (٨)

فَغُضَّ الطَّرْفَ.. إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ
فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلابا (٩)

إِذَا غَضِبَتْ عليْكَ بنو تَميمٍ
حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهُمو غِضابا (١٠)

---

(٨) معنى البيت: أن الطيور العتيقة تخافه فتلتصق بالأرض كي تتجنب أذاه

(٩) غض الطرف: أطرقَ برأسه الى الأرض خجلاً. وكعب وكلاب: من القبائل العربية.

(١٠) تميم: هي قبيلة جرير التي يفتخر بها.

سليمان العيسى

شعراؤنا
يُقدِّمون أَنْفُسهم
للأطفال

الجزء السادس

١ - الأَخْطَل
٢ - مالكُ بْنُ الرَّيْب
٣ - حِطَّانُ بْنُ المُعَلَّى
٤ - قَطَرِيُّ بْنُ الفُجَاءَةِ



الأَخْطَل

أَصْدقائي الصِّغار:

أنا قادمٌ اليكُمْ من العَصْرِ الأُمَويِّ.

من أيَّامِ الفُتُوحاتِ والأمجادِ العربيةِ..

لِأُحَدِّثكم قليلاً عن نفسي، وعن شِعْري.

إِسْمي غِياثُ بْنُ غَوْثٍ. ولَقَبي الأَخْطَلُ. وأنا من قبيلة تَغْلِبَ، القبيلةِ التى كانَتْ من أَشْهَرِ قبائلِ العَرَبِ.

وأَعْظَمِها شأْناً. وكانت تَنْزِلُ في الجزيرةِ والعراقِ.

وُلِدْتُ في الحِيرَة وهي بَلْدَةٌ مَعْروفَةٌ في التاريخِ العربي. ولكني كنتُ أرْحَلُ مَعَ أَهْلي، وأُقيمُ مَعَهم حيثُ يُقيمون. وأنتم تَعْرِفون أَنَّ القبائلَ العربية كانتْ لا تكادُ تستقِرُّ في مكانٍ حتَّى تنتقلَ الى غيرِهِ طَلَباً للماءِ والمَرْعى.

قُلْتُ الشِّعْرَ وأنا صَغيرٌ. وبدأْتُ أَتحرَّشُ بالناس، وأهجُوهم، لكي أُظْهِرَ مَقْدِرتي في مَيْدانِ القَريضِ. والقريضُ هو الشِّعْرُ. وكان أَبي يَغْضَبُ من هذا السلوكِ، ويَضْرِبني أحياناً ويقولُ لي: أَلا تكُفُّ عن هجاءِ الناسِ يا أَخْطل؟ ولذلك سَمَّوني الأَخْطَل. ومعناهُ السفيه الذي يتكلم كلاماً فاسداً مضطرِباً. ثم صارَتْ هذه التسميةُ لَقَباً لي كما تَرَوْن.

ولا بَأْسَ أَنْ أَرْويَ لكم هذه الحادثة الطريفة من حوادث الطُّفولةِ.

ماتَتْ أُمِّي، فتزوَّجَ أبي امرأةً غيرَها. وكانت هذه المرأَةُ تُضَيِّقُ عليَّ، وتُؤْثِرُ أولادها باللَّبَنِ والتَّمْرِ والزَّبيبِ. فما أحصُلُ على شيءٍ من الطعام إلاَّ بعد جُهْدٍ وعَناءٍ. كانَتْ تَبْعَثُني أَرْعَى أَعْنُزاً، فأعودُ من المَرْعَى جائعاً في مُعْظَمِ الأَوْقاتِ.

وفي ذات يومٍ لاحَظْتُ في البَيْتِ وِعاءً فيه لَبَنٌ، وسَلَّةً فيها تَمْرٌ وزبيبٌ. وكنتُ جائعاً. فلم أَجْرُؤْ على تناولِ شيءٍ في حُضورِ خالَتي. فكَّرْتُ قليلاً، ثم قُلْتُ لها:

يا أُمَّاه! جيرانُنا آلُ فُلانٍ يَزورونَكِ، ويَقْضُون حَقَّكِ، وأنتِ لا تَزورينَهم وعندهم مريضٌ. فلو زُرْتِهِم لكانَ أَجْملَ وأَوْلى بكِ.

قالَتْ: جزاكَ اللهُ خيْراً يا بُنَيَّ. لقد نَبَّهْتني إلى واجبٍ نسيتُه.



وقامت، فلَبِسَتْ ثيابها بِسُرعةٍ، وذهَبتْ إليهم.

وما كادَتْ خالتي تخْرُجُ من البَيْتِ حتَّى أسرَعْتُ الى اللَّبَن فشربتُه، وأكلْتُ التَّمْرَ والزَّبيبَ. فلما رجَعَتْ ورأت الوِعاءَ والسلةَ فارغَيْنِ عرفَتْ حِيلَتي، فأخذَتْ عصا وركضَتْ ورائي لِتَضْرِبَني، ولكني هَرَبْتُ مُسْرِعاً. وسَجَّلْتُ هذه الحادثة في بَعْضِ أبياتٍ ضاحكةٍ من الشعر لا بُدَّ أَنْ تَقْرؤوها حين تكبَرون وتَدْرسون حياتي وشعري بالتفصيل.

كانَ لقبيلتنا شاعرٌ معروفٌ يقالُ له: كَعْبُ بْنُ جُعَيْل. وقد نافَسْتُه بشعْري وأنا فتىً صغيرٌ حتى غَلَبْتُه، وصِرْتُ شاعرَ القبيلةِ الأوَّلَ، لا يُنازِعُني هذه المكانةَ أَحدٌ من قوْمي.

ولكنِّي لم أُصْبِح مشهوراً إلاَّ حينَ اتَّصلْتُ بِخُلَفاءِ بَني أُميَّة، وصِرْتُ شاعِرَهم المُفضَّلَ.

لقد كان الأُمويون يَعْتمدون على تَغْلِبَ. وكانتْ تَقفُ إلى جانِبِهم في الوقائعِ والحروبِ التي خاضوها مَعَ خصومِهِمْ. فكيف لا يكون شاعِرُ تَغْلِبَ - أَعْني نَفْسي - صاحبَ المكانةِ الأُولَى في البَلاطِ الأُمويِّ؟

بَقيتُ من عَهْدِ معاوية إلى عهد عبْدِ الملكِ بْنِ مرْوانَ مُعزَّزاً مُكرَّماً في هذه الدَّولة العربيةِ. ولم يُنافِسْني أيُّ شاعرٍ في الحُظْوةِ العظيمةِ التي نِلْتُها عند الأُمويين. كنتُ أَمْدَحُهم، وأدافعُ عَنْهم بِقَصائدي المَعْروفة. وكان الخليفَةُ عَبْدُ الملكِ يُحبُّني كثيراً، ويَقولُ:

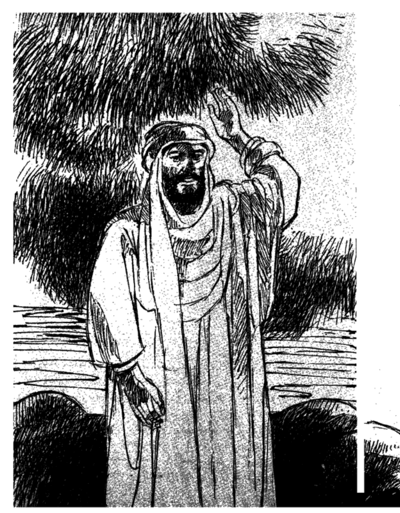
«أذيعوا في الناسِ أَنَّ الأَخْطَلَ هو شاعرُ بَني أُميَّةَ». ولا بُدَّ أَنْ اذْكُرَ لكم يا صغاري أَنّي كنتُ مسيحيّاً، لِأَنَّ قبيلتي تَغْلِبَ كانتْ تدِينُ بالمسيحيَّةِ قبْلَ الإسلام، فلمَّا جاء الإِسلامُ دَفَعتِ الجِزْيَة، وبقِيَتْ على دينِها، وأَقَرَّها الخليفةُ عُمَرُ بْنُ الخطَّاب على ذلِكَ.

ولكنَّ الدِّينَ لم يَقِفْ حاجِزاً في يوم من الأيامِ بَيْني وبينَ أَبْناءِ قوْمي. فنحنُ جميعاً ننْتمي إلى العُرُوبةِ. ونحنُ جميعاً شَعْبٌ واحدٌ، وتاريخٌ واحدٌ، وشعورٌ واحدٌ.

ولقدْ شاركْتُ في معْركةِ الهجاءِ التي دارَتْ بينَ جَريرٍ والفَرَزْدَقِ. وأَظُنُّكم عَرفْتُم شيئاً عنها. ووقَفْتُ أَوَّلَ الأَمْرِ إلى جانبِ جَريرٍ، ثم عَدَلْتُ عنهُ إلى الفَرَزْدَقِ، فَصَبَّ جريرٌ عليَّ جامَ غَضَبِه، وتبادَلْنا الشَّتائمَ الشِّعْريةَ زَمناً طويلاً.

عُمِّرْتُ طويلاً حتَّى أَدْرَكَني الهَرَمُ. وكانتْ وَفاتي في خِلافَةِ الوليدِ بْنِ عَبْدِ الملِكِ.

تركتُ لكم ديوانَ شعرٍ فيه الكثيرُ من المَدْحِ والهجاءِ، ووَصْفِ الخمرةِ.. ولا أدري ماذا أختارُ لكم منه لتَحْفظوه



يا صِغاري. إنِّي أَخافُ أَنْ تكونَ أَشْعارُنا غَيْرَ مُلائمَةٍ لِسِنِّكم، وعودِكُمُ الغَضِّ. ولكنْ لا بأْسَ أَنْ تُدَرِّبوا أَلْسِنتكم على هذه اللُّغةِ العربيَّةِ الجميلةِ مُنْذُ الصِّغَرِ. إنَّها لُغَتُنا الحيَّةُ الخالِدةُ التي تَرْبطُ بيْننا في الماضي والحاضِرِ، وتَحْفظُ لنا حَضارَتنا وأَمْجادَنا.

خُذوا عَنِّي هذه الأبياتَ التي اخْتَرتُها لكم من قصيدةٍ طويلةٍ أَمْدحُ بها الأُمويِّينَ، وادافِعُ عن سياسَتهمْ. أَلَمْ أَقُلْ لكم إني كنتُ شاعِرَهمُ الأَوَّلَ؟ لقد دخَلْتُ على الخليفةِ عبد الملكِ بْن مروانَ ذات يومٍ وأنشَدْتُه هذه القصيدةَ، فطار سُروراً بها. شَبَّهْتُ كَرَمه بنهر الفُراتِ حين تَطْغَى أمواجهُ، وتفيضُ على حافَتَيْهِ.

اسمَعوا هذهِ المُخْتاراتِ:

وما الفُراتُ إِذَا جاشَتْ حَوالِبُه
في حافَتَيْهِ وفي أَوْساطِهِ العُشَرُ (١)

يَوْماً بِأَجْوَد منهُ حينَ تَسْأَلُهُ
ولا بأَجْهَرَ منه حينَ يُجْتَهَرُ (٢)

مُقَدِّمٌ مائَتَيْ الفٍ لِمَنْزِله
ما إِنْ رأَى مِثْلَهُم جِنٌ ولا بَشَرُ (٣)

في نَبْعةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبونَ بها
ما إِنْ يُوازَى بأَعْلَى نَبْتِها الشَّجَرُ (٤)

---

(١) جاشت: تحركت واضطربت. الحوالب: الأمواج.
العُشَر: نوع من الشجر.

(٢) أجود: أكرم. تسأله: تطلب معروفه.
أجهر: أعظم وأوضح. يُجْتهر: يُنْظَر اليه ويُسْتعظم.

(٣) يحيط به مائتا الف جندي شجاع.

(٤) النّبعة: الشجرة الصُلبة. يَعْصبون بها: يحيطون بها.

حُشْدٌ على الحَقِّ، عيَّافو الخَنَا، أُنُفٌ
إذا أَلَمَّتْ بهِمْ مَكْروهَةٌ صَبَروا [٥]

شُمْسٌ العَداوةِ حتَّى يُسْتَقادَ لَهُمْ
وأعظَمُ الناسِ أَحْلاماً إذا قَدِروا [٦]

هُمُ الذينَ يُبارُونَ الرِّياحَ إذا
قَلَّ الطَّعامُ على العافينَ او قَتَروا [٧]

بَني أُمَيَّةَ.. نُعْماكُمْ مُجَلِّلةٌ
تَمَّتْ فلا مِنَّةٌ فيها ولا كَدَرُ [٨]

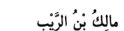
---

(٥) حُشْدٌ على الحق: متأهّبون، مستعدون للدفاع عن الحق. العَيَّاف الخنا: التارك الفحش والكلام السيء. أُنُفٌ: جمع أَنوف وهو المترفع عن الدنايا.
أَلَمّت بهم مكروهة: نزلت بهم مصيبة أو حادثة.

(٦) شُمس: أشدّاء. يُستقاد لهم: يخضع الناس لقيادتهم. الأحلام: العقول.

(٧) العافي: الفقير. قَتَر: احتاج وافتقر.

(٨) مجلّلة: عامة شاملة.



مالِكُ بْنُ الرَّيْب

صديقي الصَّغير صَفْوان

تريدُ أَنْتَ ورِفاقُكَ الصغارُ أَنْ تَعْرفوا شيئاً عنْ شُعرائِكم القُدامَى. إني سعيدٌ أَنْ اكونَ واحداً من هؤلاءِ الشعراءِ، وأَنْ أُقدِّمَ إليكم نَفْسي، وأُحدِّثَكم قليلاً عن حياتي وأَخْباري.



أَخباري قليلةٌ يا صفْوان. لم تَذْكرُني كُتُبُ الأَدَب كثيراً، ولكنَّ حياتي غريبةٌ، مَلْأَى بالْمُغامَراتِ وركوبِ الأَخْطار.

أنا من بَني مازن ولذلك يُسمُّونني: مالكَ بْنَ الرَّيْبِ المازني. نشأْتُ في بادية بَني تميم عند البَصْرةِ، أقولُ الشعرَ الرقيقَ الجميلَ، وأضرِبُ في الصحراءِ العربية الواسعة، حُرّاً طليقاً، أعيشُ كما أشاءُ، بعيداً عن حياة الْمُجْتمعِ وقيوده التي وجَدْتُها صَعْبةً عليَّ، انتزعُ لُقْمتي بحدِّ السيفِ. وأعترفُ لكم يا صغاري أَنِّي ما آذيْتُ فقيراً قطُّ. لقد كنتُ أُحِبُّ الفُقَراءَ، وأُقاسمهُم مالي وطَعامي، كما كانَ يَفْعلُ الصَّعاليكُ الْمُشرَّدون أمثالي. والصعاليكُ جماعةٌ من الفِتْيانِ كانوا يرْفضُون حياةَ الذلِّ والخُنُوعِ، ويتمرَّدون

على تقاليد المُجْتمع ، وعاداته الصارمةِ، فينطلقون في الصحراءِ، يأْخُذون حَقَّهم بجدِّ السيفِ. وكان هذا السلوكُ يُثيرُ غَضَبَ الحُكَّامِ وسُخْطهم، فيطارِدوننا ويَطْلبوننا في كل مكانٍ.

ولقد بَقيتُ هكذا مُطارَداً مُشرَّداً، أَفِرُّ من الوُلاةِ، حتى لقيتُ سعيدَ بْنَ عَفَّانَ، واليَ خُراسان. ولا أدري كيف اسْتطاعَ هذا الرَّجُلُ الكريمُ أَنْ يُقْنِعَني بمُصاحَبتِه، والعُدول عن حياةِ التشرُّد التي كنتُ أَحْياها. فرافَقْته في رِحْلَته. وصمَّمْتُ على أَنْ أَقْضيَ بقيَّة حياتي مجاهداً مَعه في الفُتوحاتِ العربيَّة التي كانتْ تَركُزُ راياتِها الظافرةَ في مَشارقِ الأرضِ ومَغارِبها.

وفي الطريق.. نزَلْنا نستريحُ ذات ليلةٍ، وبينما أنا نائمٌ

في خَيْمَتي تسلَّلَتْ أَفْعى اليَّ، ولدَغْتني في رِجْلي. وقاوَمْتُ الأَلَم بشجاعة بعد أَنْ قَتَلْتُ الحيَّةَ على الفَوْرِ. ولكنَّ السُّمَّ اللعينَ كان أَقْوى منِّي. ولمْ يستطِعْ رِفاقي الذين هبُّوا لنَجْدَتي أَنْ يُنْقِذُوني. ولَمَّا علمْتُ أَنِّي ميِّتٌ لا مَحَالةَ، وأَنْ لا مَهربَ من القدَرِ، واجهْتُ الموْتَ بشجاعةٍ، وقُلْتُ قصيدةً رثَيْتُ بها نفْسي، وتذكَّرْتُ الأهلَ والأماكنَ الحبيبةَ التي نشأْتُ فيها وكانت صورةُ ابْنَتي الصغيرةِ نُصْبَ عيْنيَّ، لاتفارِقُني. هذه الصغيرةُ التي ودَّعتْني عند السَّفَر بدموعٍ حرَّى، وتَعَلَّقَتْ بي، ورجَتْني أَنْ أَبْقى مَعها. وكنتُ قد وَعدْتُها بأَنَّني سأَعودُ إليها في أَقْربِ فُرْصةٍ، حامِلاً معي كُلَّ

ما تَحْلُمُ به من هَدايا وثيابٍ جميلةٍ. ويشاءُ القَدَرُ أَنْ تُدْرِكَني الوفاةُ بعيداً عن أَهْلي وعنِ ٱبْنَي. وتبْقى هذه القصيدةُ التي سأختارُ لكم بعضَ أَبياتِها شاهداً على وفائي ومُرُوءَتي.

أَظُنُّكَ أَصْبَحتَ مُشْتاقاً إلى سَماعِ شَيْءٍ من قصيدتي يا صَفْوانُ. هَلْ عَرَفْتَ أَحداً رَثَى نفسَه، وواجَه المَوْتَ بهذِه الأَعْصاب الباردةِ، والعواطفِ الإنسانيةِ المُؤَثِّرة مِثْلي؟

اليكَ، والى رفاقِكَ إِذاً، أُهْدي هذه الأَبْياتَ، وأنا على يقــينٍ منْ أَنَّــكم ستسْتمتِعون بها، وتحْفَظونها، وتتذكَّرونها كثيراً حينَ تكْبَرون:

أَلاَ لَيْتَ شِعْري.. هَلْ أَبيتَنَّ لَيْلَةً
بِجَنْبِ الغَضَا أُزْجي القِلاصَ النواجيا؟[١]
فَلَيْتَ ٱلغَضا لم يَقْطَعِ ٱلرَّكْبُ عَرْضَهُ
وَلَيْتَ الغَضا ماشَى الرِّكابَ لياليا[٢]
تقولُ ٱبْنَتي.. لَمَّا رأتْ وَشْك رِحْلَتي:
سِفارُكَ هذا تاركي لا أَبا لِيا[٣]
لَعَمْري.. لَئِنْ غالَتْ خُراسانُ هامَتي
لقد كنتُ عن بابَيْ خُراسانَ نائيا[٤]

---

(١) الغضا: شجر في البادية. أُزْجي: أسوق. القِلاص النواجي: النوق السريعة. يتمنى الشاعر لو يقضي ليلةً واحدة في البادية التي كانت مرتَع صباه.

(٢) ويتمنى في البيت الثاني لو أنه لم يسافرْ، ولم يتغرَّبْ عن وطنه في البادية. مَنْبت الغضا. وإذا كان لا بدَّ من السفر فليت هذا الشجر الحبيب مشى معه ورافقه في غربته لياليَ طويلة.

(٣) وشك رحلتي: قربها.

(٤) غالت خراسان هامتي: أهلكتْني.
ناءٍ: بعيد.

تَفقَّدْتُ مَنْ يَبْكي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ
سِوَى السَّيْفِ والرُّمْـحِ الرُّدَيْنِيِّ باكيا
وأَدْهَمَ غِرْبيبٍ يَجُرُّ لِجامَهُ
الى الماءِ لم يَتْرُكْ له المَوْتُ ساقيا (٥)
خُـــذَاني فَجُرَّاني بِبُرْدِي إليكُما
فقَدْ كنتُ قَبْلَ اليومِ صَعْباً قِياديَا (٦)

---

(٥) يقول الشاعر: فتشت حولي عن صديق يبكي علي حين اقتربَتْ وفاتي فلم أجدْ إلاّ أصدقائي الثلاثة: سَيْفي ورمحي وفرسي الأصيل الذي كان يذهب وحده الى الماء فيشرب ثم يعود إلي.
والأدهم الغِرْبيب: الفرس الأسود.

(٦) ثم يخاطب صاحبَيْه على عادة الشعراء العرب الذين يفضلون المثنّى في الخطاب فيقول: خذاني واسحباني الآن بثوبي، وافعلا ما تريدان بي. فقد أصبحت سهل القياد. ولكني كنت قبل اليوم شديد البأس لا أنقاد بسهولة الى أحد.

وخُطَّا بأَطْرافِ ٱلأَسِنَّةِ مَضْجَعي
ورُدَّا على عَيْنيَّ فَضْلَ رِدَائيا [٧]

يَقولون: لا تَبْعَدْ، وَهُمْ يَدْفِنُونني
وأَينَ مكانُ البُعْدِ إلاَّ مَكانِيا؟ [٨]

---

(٧) ثم يطلب الى رفيقَيْه أنْ يحفرا له قبراً بأطراف الأسنّة اي الرماح. وان يَرُدَّا على عينيه طرف ثوبه. فإنه يريد أن يموت ميتة الأبطال الكرام.

(٨) يقول أصحابه: نتمنى ألاّ تبعد وتفارقنا.
فيجيب الشاعر: وهل هنالك مكان أبعد وأشد غربة من مكاني؟



حِطَّانُ بْنُ المُعَلَّى

أَنا يا أَطْفالُ بِنْتُ حِطَّانَ بْن المُعَلَّى، الشاعر الذي تركَ لكم أجملَ مَقْطُوعةٍ تَحَدَّثتْ عن الأَطْفالِ في أَدَبِنا العربيِّ. اسْمي مَيْسون. كنتُ أُحِبُّ والدي كثيراً. وكان لي خمسُ أَخَواتٍ. آه.. كم كانَ والِدي يُحِبُّنا، ويَسْهَرُ على راحتِنا، ويَتْعَبُ من أجْلِنا!

لعلكم، يا رفاقي الصِّغار، تلاحظون ذلك في هذه الأبياتِ العاطفيَّةِ الرائعةِ التي وَصَفَنا بها. كان يخافُ علينا من هَبَّة الرِّيح، فإذا أصابَنا أيُّ أذىً لا تُغْمضُ له عَيْنٌ حتَّى يَرُدَّه عنا.

لا تَتْعبوا في البَحْثِ عن حياةِ أبي وأخبارِه في كُتُبِ الأدبِ. إنها قليلةٌ جداً. لم يذكُرْه التاريخ إلا في أَسْطُرٍ مَعْدوداتٍ، ولكنه كان أباً رائعاً ضحَّى بكل شيءٍ في سبيل أولاده، وتحمَّل من أجْلِنا الفَقْرَ. وكان يخافُ أَنْ يتغرَّبَ في طلبِ الرِّزْقِ خوفاً من أن يتركنا وحْدَنا.

إنني اقدِّمُه لكم في هذه القصيدة النادِرةِ، وأنا فخورةٌ به، بَعْدَ ثلاثة عَشرَ قرْناً من عُمُرِ التاريخ. إِنَّه واحدٌ من

زُعماءِ الخوارجِ البارزين الذينَ وهبوا حياتَهم لِلمَبْدأ.

إليكم أبياته الرقيقة المؤثِّرة التي تَركهَا لنا:

أَنْزَلَني الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ
مِنْ شامخٍ عالٍ الى خَفْضِ (١)

وغالَني الدَّهْرُ بِوَفْرِ ٱلغِنَى
فلَيْسَ لي مالٌ سِوَى عِرْضي (٢)

لَوْلا بُنَيَّاتٌ كَزُغْبِ القَطَا
رُدِدْنَ مِنْ بَعْضٍ الى بَعْضِ (٣)

لكانَ لي مُضْطَرَبٌ واسعٌ
فيالأَرْضِ ذاتِ الطُّولِ والعَرْضِ (٤)

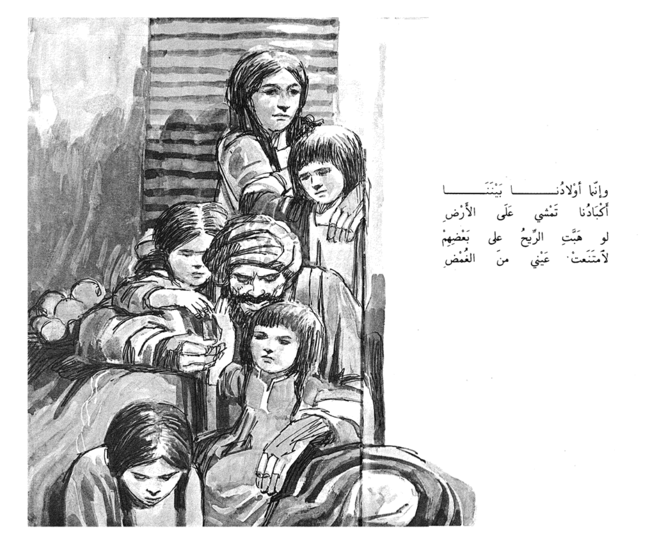
---

(١) يقول الشاعر: لقد حكمت علي الأقدار ان أنزل من أعلى المراتب الى أدناها.

(٢) ورغم أن الدهر قد حاربني، وابتلاني بالفقر وسوء الحال. فإني أعتزُّ بكرامتي وشرفي. وليس عندي أغلى من هذه الكرامة.

(٣) زغب القَطا: فراخ القطا وهو طائر يشبه الحمام.

(٤) مضطرب واسع: مكان واسع أجول فيه.



وإنّما أَوْلادُنا بَيْنَنَا
أَكْبَادُنا تَمْشي عَلَى الأَرْضِ
لو هَبَّتِ الرِّيحُ على بَعْضِهِمْ
لاَمْتَنَعَتْ عَيْني منَ الغُمْضِ

قَطَرِيُّ بْنُ الفُجاءَةِ

أَصْدقائي الصِّغار:

أنا قَطَرِيُّ بْنُ الفُجاءَة. رُبَّما وجدْتُم بعضَ الصُّعوبةِ في لَفْظِ اسْمي فمعْذرةً. رأيتُ أَصْحابي الشعراء يُقدِّمون أَنْفُسَهم اليكْمْ، ويتحدَّثون عن حياتِهِمْ وشِعْرِهِمْ. وهذا شيءٌ جميلٌ لم نلتَفِتْ إليه في أَيَّامنا. أنا لا أريد أَنْ أحكي لكم أخباري فإنها طويلةٌ، تقرؤونَها يوماً في كُتُبِ الأَدبِ والتاريخ حين تُصْبحون شباباً. ولكنِّي أريدُ أن تكونوا فُرْساناً، تُدافعون عن الحَقِّ، وتقاتِلون في سبيل المبْدأ الذي تعْتنِقونَه. لقد كنتُ من زعماء الخوارج في عَصْري، قاتلْتُ في سبيل الفِكْرة التي آمَنْتُ بها طوالَ حياتي، حتَّى استُشْهِدْتُ في إِحْدى المعاركِ. وأُحبُّ أَنْ أنقُلَ اليكم هذه الأبياتَ التي صَوَّرْتُ فيها روحَ البَطَلِ العربيِّ الذي لا يخافُ المَوْتَ، ولا يَعْرِفُ الهَزيمة.

احفَظوا عنِّي هذه القِطْعة التي تَحدَّيْتُ فيها حياة الجُبْنِ والجُبَنـاءِ، وصَوَّرْتُ مَوْتَ الأبطـالِ عُرْساً من أَعْراسِ المَجْدِ، يُضيءُ الطريق، ويَبْني الأجيالَ العظيمةَ:

أَقُولُ لها.. وقَدْ طارَتْ شَعَاعاً
منَ الأَبْطالِ وَيْحَكِ لا تُراعي [1]!

---

(١) يخاطب الشاعر نفسه فيقول لها وقد خافت واضطربت في المعركة: ويحكِ يا نفسُ. لا تخافي من الأبطال ولا تهابي الموت.



فإنَّكِ لو سألتِ بَقاءَ يَوْمٍ
على ٱلأَجَلِ الذي لكِ لم تُطَاعي [٢]

فصَبْراً في مجالِ المَوتِ صَبْراً
فما نَيْلُ الخلودِ بِمُسْتَطاعِ

ولا ثَوْبُ البَقاءِ بثَوبِ عِزٍّ
فَيُطْوَى عَنْ أَخي الخَنْعِ ٱليَراعِ [٣]

سبيلُ المَوْتِ غايَةُ كُلِّ حَيٍّ
فداعيهِ لأَهْلِ الأَرْضِ داعي

ومَنْ لمْ يُعْتَبَطْ يَسْأَمْ ويَهْرَمْ
وتُسْلِمْهُ المنونُ الى انقطاعِ [٤]

وما للمَرْءِ خَيْرٌ في حياةٍ
إذا مـا عُـدَّ مِنْ سَقَـطِ المَتَـاعِ [٥]

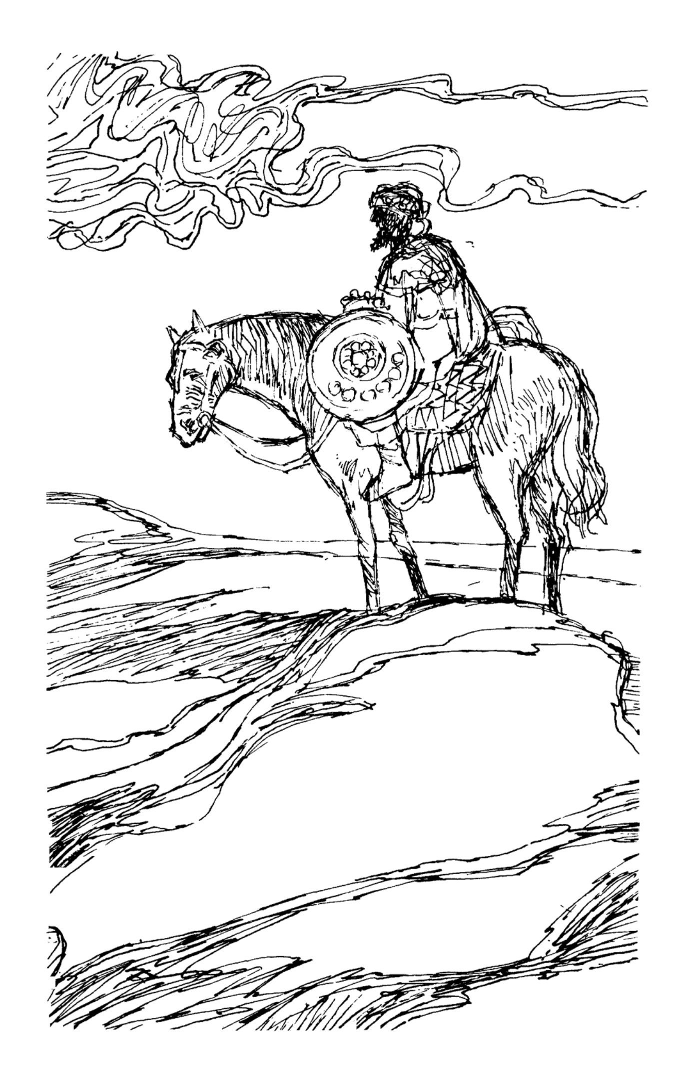
---

(٢) اي أنكِ لا تستطيعين أن تؤخري الموت يوماً واحداً. فلماذا تخافين يا نفسي وتحرصين على الحياة الذليلة؟

(٣) ليست الحياة ثوب عز إذا حرص عليها الخانع الجبان وظنها كذلك.

(٤) من لم يمت شاباً عاش حتى يسأم ويهرم. فما قيمة الأيام والأعوام الطويلة إذا لم تكن الحياة كريمة عزيزة؟

(٥) لا خير في هذه الدنيا إذا كنا سنعيش تافهين.



سليمان العيسى

شُعَراؤنا
يُقَدِّمون أنْفُسَهم
للأَطْفال

الجزء السابع

١ - الحُطَيْئة
٢ - الخَنْساء
٣ - حَسَّانُ بْنُ ثابت
٤ - كَعْبُ بْنُ زُهير

الحُطَيْئة

أَيَّتُها الصَّغيرةُ الحُلْوة.. مُلَيْكة
أَليْسَتْ مُصَادَفةً جميلةً أَنْ يكون اسْمُكِ هو نَفْسُه اسْمَ ابْنَتي التي صِرْتُ فيما بَعْدُ أُكنَى بِها. فَيُنادُونَني: أَبا مُلَيْكَةَ؟

سأَرْوي لكِ ولرفاقِكِ الصِّغارِ شيْئاً من أَخْباري. آهِ كَمْ كنتُ أُحِبُّ صِغاري، وكم تحَمَّلْتُ وكافَحْتُ من أَجْلِهِم!

اسْمي جَرْوَلُ بْنُ أَوْسٍ. وأَنا من قبيلة عَبْسٍ التي ينتسِبُ اليها عَنْترةُ العَبْسيُّ، هذَا الفارسُ الذي أَصْبَح فيما

بعدُ أشهَرَ فُرْسانِ ٱلعَرَبِ بِفَضْلِ السِّيرةِ الطويلة التي أُلِّفَتْ عَنْهُ. وقد حَمَلْتُ لَقَبَ الحُطَيْئَةِ، وبه عُرِفْتُ واشْتَهَرْتُ. ومَعْنى الحُطَيْئة: الرَّجلُ القَصيرُ.

كانتْ حياتي بائسةً، ولكنَّها طريفَةٌ. لم يَعْتَرِفْ أَبي بنسْبَتِي إليه لأني كنتُ ابْنَ أَمَةٍ. وٱلأَمةُ يا صِغاري هيَ العَبْدَةُ في تلك الأَيَّامِ. فلا تعْجبوا إذا ضَرَبْتُ بكلِّ عاداتِ مُجْتمعي ومَفاهيمه عُرْضَ الحائطِ. أَعني هذه المفاهيم التي كانتْ تُفرِّقُ بيْنَ العَبْدِ والحُرِّ. واعتمدْتُ على موْهبَتِي، ورُحْتُ أَشُقُّ طريقي في الحياة غَيْرَ مُبالٍ بأَحدٍ.

أدركتُ الإسلامَ عندما بَدأَ يَغْمرُ الجزيرة العربيَّةَ بأَنوارِهِ الجديدةِ. ودخلْتُ في الدين الجديدِ. واعترِفُ أَنِّي لم أكنْ عميقَ الفَهْمِ لهذه الدعوة العظيمة التي قلَبَتْ حياة العرَبِ، وغيَّرتْ مجْرَى التاريخ. لذلكَ لا تَعْجبوا إذا رأَيتموني أرتَدُّ عن الإسْلام في جُمْلة المُرتدِّين عنه، بعد



وَفاةِ الرَّسُول العربيِّ. وأقولُ عندما بُويعَ أبو بكْرٍ بَعْده بالخِلافةِ:

أَطَعْنا رَسُولَ الله إِذْ كانَ بيْنَنا
فيا لَعِبادِ الله.. ما لِأَبي بكْرٍ؟

أَيُورِثُها بَكْراً، إِذا ماتَ، بَعْدَهُ؟
وتِلْكَ، لَعَمْرُ الله، قاصِمَةُ الظَّهْرِ[1]

وتُلاحظين يا صَغيرتي أَنَّ البيتينِ لا يَخْلوَانِ منَ الظَّرافةِ وخِفَّة الرُّوح، إِذا لَمْ يُؤْخَذا بعينِ الجِدِّ. ورُبَّما كان فيهما نَقْدٌ لِمَبْدأ وِراثةِ السُّلْطةِ، وانتقال الحُكْم من الوالِد إلى الولَدِ. وقدْ عانَى تاريخُنا ما عانَى من هذا المَبْدأ الدَّخيل علينا، وعلَى تاريخِنا يابنتي.

سأذكُرُ لكِ قِصَّتي المشْهورةَ مع الزِّبْرِقانِ بْنِ بَدْرٍ بإيجازٍ. كان هذا الرَّجلُ واحداً منْ أَشْرافِ ٱلعَرَبِ، وقد لقيتُـه في الطريـقِ، وهو ذاهبٌ إلى الخليفة عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، لكي يُؤَدِّيَ صَدَقاتِ قَوْمِه. ودعاني الرجلُ إلى

(١) يُورثها بكراً: يقصد الخلافة. قاصمة الظهر: المصيبة العظيمة التي تقصم الظهر. أي تكسره.

منْزِلـه، ورَحَّـبَ باسْتِضافـتي عِنـده. ولكنَّ أبناءَ عَمِّهِ استمالوني إليهم في غيابه، وأغْرَوْني بكَرَمهم وهداياهُمْ، فمِلْتُ إليهم، ونزلْتُ أنا وزَوْجتي وأولادي عنْدهم، وصِرْتُ في ضيافَتِهم. فلما عادَ الزِّبْرِقانُ ساءَه أنْ أَتْرُكَ جِواره، وأَغْرى أَحَدَ الشعراءِ أَنْ يتحرَّشَ بي ويَهْجوَ الذي ضَافَني وأَكْرَمني.

عنْدئذٍ رأيتُ من واجبي أَنْ أُدافِعَ بِشعْري عمَّنْ أَكْرموني، وأَهْجو الزِّبْرِقانَ وأُسْرَتَه بقصيدةٍ بليغةٍ سارَتْ بينَ الناسِ.

وتضايَقَ مني الزِّبْرِقانُ، فشكاني إلى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فأَمرَ بِحَبْسي، ثُمَّ أَطْلَقني بعد أَنْ اعتَذَرْتُ إليه بأبياتٍ رقيقةٍ مُؤَثِّرةٍ، ذكرتُ فيها أولادي الصِّغار، وكيف أَصْبحوا بلا أَبٍ يَكْسبُ لهم قوتَهم، فتأَثَّرَ عمَرُ، وأَعْطاني ثلاثة آلافِ دِرْهم من بيْتِ المالِ، أُنْفِقُها على عيالي. ثم قالَ لي: «إِيَّاكَ والهجاء، لأنَّ الشعرَ كان سِلاحي الوحيدَ في

الحياةِ، ولولاه ما استطَعْتُ أَنْ أعيشَ.

تريدينَ يا صَغيرتي أنْ اذكُرَ لكِ بَعْضَ الأَبْياتِ التي أرسلتُها إلى الخليفةِ، وتأَثَّر بها. لقد عَزَفْتُ على الوَتَرِ الحسَّاسِ، وَتَرِ الطُّفولةِ والأطفال الصِّغار الذين باتوا بلا مُعيلٍ، وشبَّهْتُ أولادي بالأفْراخِ الزُّغْبِ الحواصلِ، التي لا ماءَ عندَها ولا شَجَر.

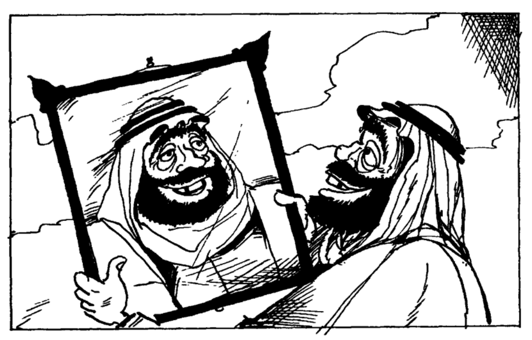
قُلْتُ له:

ماذا تَقولُ لِأَفْراخٍ بِذي مَرَخٍ
زُغْبِ الحواصلِ، لا ماءٌ ولا شَجَرُ؟
أَلْقَيْتَ كاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ
فاغْفِرْ -عليكَ سَلامُ الله - يا عُمَرُ

وقَدْ صَفَحَ عُمَرُ عنِّي، وردَّني إلى أَولادي، كما أخبرتُكِ مُنْذُ قليلٍ.

سافَرْتُ كثيراً، ومَدحْتُ الأشرافَ، وهَجوْتُ مَنْ حاولوا أَنْ يتجاهلوني، أو يسيئوا إليَّ. كنتُ واثقاً من

مَوْهبَتي الشعريةِ. وكانَ كثيرٌ من الناسِ يطْمعون في مَديحي، ويخافون هِجائي. ولم يَسْلَمْ أَحدٌ من لِساني. فقد هَجوْتُ نَفْسي ذات يومٍ عندما لَمْ أجدْ أحداً أهْجوه.



نظرْتُ يوماً إلى وَجْهي في المِرْآةِ.. وكنتُ دميمَ الصُّورةِ. فقلتُ:

أَبَتْ شَفَتايَ اليَوْمَ إلاَّ تَكلُّماً
بِسُوءٍ فما أَدْرِي لمن أَنا قائِلُهْ
أَرَى ليَ وَجْهاً شَوَّهَ اللهُ خَلْقَهُ
فَقُبِّحَ من وَجْهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

أراكِ تضحكين يا صغيرتي. ألم أَقُلْ لكِ: إني كنتُ خفيفَ الظلِّ، مَقْبولَ الفُكاهةِ. أتسلَّى بنفسي إذا لم أجدْ منْ أَتسلَّى به. وأؤكِّد لكِ يا مُلَيْكَةُ أني لم استخدم الكلامَ الفاحشَ البذيءَ قطٌّ في أشْعاري.

عِشْتُ حتى أدركتُ خلافة مُعاويةَ بْنَ أبي سُفْيانَ. وتركتُ للأدب العربيِّ ذخيرةً جيدةً من الشعرِ القويِّ الجميلِ الذي كان القدماء يُحبُّونه، ويُنْزلونه منزلةً عاليةً. وقد ذكرتُ لكِ يا صغيرتي بَعْضَ الأبياتِ، فهل تريدينَ أَنْ أُضيفَ إليها شيئاً في ختامِ هذا الحديثِ؟

سأَتْرُكُ لكِ ولرفاقكِ الأَعزَّاءِ هذه الأبيات الجميلةَ التي تُصوِّر الأخلاقَ العربيةَ الكريمة. وقد اختَرْتُها من قصيدةٍ طويلةٍ مدَحْتُ بها آلَ شمَّاسٍ الذين نزَلْتُ ضيفاً عليهم:

أُولَئكَ قَوْمٌ إنْ بَنَوْا أَحْسَنوا ٱلْبُنَى
وإنْ عاهَدُوا أَوْفَوا، وإنْ عَقدوا شَدُّوا[٢]

وإنْ كانتِ النُّعْمَى عليْهم جَزَوْا بها
وإنْ أَنْعموا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا[٣]

مَطاعِنُ في الهَيْجا، مكاشيفُ للدُّجَى
بَنَى لهمو آباؤُهمْ، وبَنَى الجَدُّ[٤]

وتَعْذِلُني أَفْناءُ سَعْدٍ عليهمُ[٥]
وما قُلْتُ إلاَّ بالذي عَلِمَتْ سَعْدُ

---

(٢) المعنى: أن هؤلاء القوم يحسنون عمل المكارم، ويوفون العهد إذا عاهدوا، ويقاتلون بشجاعة إذا عقدوا العزم على القتال.

(٣) المعنى: أنهم كرام يشاركون غيرهم في نعماهم دون من ولا تكدير. وإنما يكون الكرم لأجل الكرم.

(٤) أي أنهم مقاتلون أشداء في الحرب، وأصحاب آراء سديدة يكشفون بها الأمور الغامضة.

(٥) تعذلني: تلومني. أفناء سعد: جماعاتها.
وسعد: إحدى القبائل العربية هنا، ولعل الشاعر يقصد آل الزِّبرقان.

الخَنْساء



الصَّغيران مازن وسَلْمى يُقدِّمان ضَيْفَ «النّدْوةِ» الجديدةَ إلى أصْدقائهم الأطْفال، في التلفزيون العربيِّ.

مازن: رفاقَنا الصِّغارَ الأَعزّاء.

أنا مازن. وهذه رفيقتي سَلْمى.

نحنُ من أُسْرَةِ «نَدْوةِ الطِّفْلِ» في التلفزيون العربيِّ. نُقدِّمُ اليومَ لرفاقِنا الصِّغارِ مُفاجأَةً تَسُرُّهم جِدّاً.

سَلْمَى: ضيفُنا اليوم في «النَّدْوةِ» شاعِرةٌ عظيمةٌ من شاعِراتِنا العربيَّات. عاشَتْ فترةً من حياتِها في العَصْرِ الجاهليِّ، وفتْرةً في الإسلام.

مازن: ونحنُ سُعَداءُ أَنْ تعودَ إلينا الآنَ، وتَقُصَّ علينا شيئاً من حياتِها وأخبارِها.

سَلْمى: تَفَضَّلِي يا سَيِّدَتي. وقدِّمي نَفْسَكِ لأَطْفالِكِ الذين ينتظرونَ أَنْ يسْمعوكِ بشوقٍ ولهفةٍ.

مازن: واسْمَحي لنا أَنْ نُوجِّهَ إليكِ بَعْضَ الأَسْئلةِ، لتُجيبي عليها بَعْدَئذٍ.

الخَنْساء: شُكْراً يا صَغيري. شُكْراً يا صغيرتي على هذهِ المُقابلَةِ الجميلةِ. أنا سعيدةٌ بهذا اللقاء. سأكونُ عنْدَ رغبتِكم، وسأُلبِّي كلَّ ما تطْلُبون.

اسْمي: تُماضِرُ بِنْتُ عَمْرو بْنِ الشريدِ. ولَقَبي: الخَنْساء. وبهذا اللَّقب اشتَهَرْتُ على مَرِّ الزَّمنِ.

سَلْمى: رفيقتي اسْمُها تُماضِرُ. وفي مدْرَستنا عدَدٌ من التِّلْميذاتِ يحْمِلْنَ اسْمَكِ الجميلَ يا سيِّدتي.

الخنساء: يَسُرُّني هذا يا سَلْمى. أَشْعرُ كأني ما زِلْتُ أَعيشُ بيْنكم.

مازن: شُعراؤنا وشاعراتُنا يَعيشون معنا دائماً يا سيِّدتي. إنَّهم صورةُ ماضينا المُشْرِقِ المجيدِ.

سلْمى: نريدُ أن نعْرِف شَيْئاً عن حياتك يا شاعرتَنا الكبيرةَ. يقولون: إِنَّكِ كنتِ في أَوَّل عُمْرِكِ من أجمل فتياتِ عَصْرِك.

الخنساء: شكراً يا صغيرتي على هذا الثناء. يُقالُ إني كُنْتُ في اوائلِ عُمْري من أجملِ فَتياتِ عَصْري. وقد جاء يَخْطُبني فارسٌ من فُرْسانِ العَربِ اسمُهُ دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّة. ورَحَّبَ به أبي. ولكنه تركَ لي حُرِّيَّة الاختيار. فاختَرْتُ واحداً من أبناء عَشيرتي كنتُ أُحبُّه كثيراً، وتزوَّجتُه وكنتُ سعيدةً بهذا الزِّواج.

نشأْتُ في البادية، بيْنَ قومي بَني سُلَيْم. وكانوا من كِرامِ العَرَبِ وأَشرافهم. وكان لي أَخَوان هُما مُعاويةُ وصَخْر. آه.. كَمْ كنتُ أُحبُّ هذيْنِ الأخويْنِ الكريمَيْن!

مازن: ولكنَّ اسْمَ اخيكِ صَخْرٍ هو الذي يتردَّدُ كثيراً في أشعارِكِ. هكذا قال لنا أُسْتاذُنا عندما حدَّثَنا عنكِ في الأسبوع الماضي. وهو الذي اقترَح علينا أنْ نَدْعوكِ إلى « نَدْوتِنا » اليوْم، ونُقدِّمَكِ لرِفاقِنا.

الخنساء: نعم يا مازِنُ. كانَ صَخْرٌ أَحبَّ الناسِ جميعاً إلى قلْبي. وهو جديرٌ بهذا الحُبِّ. كانَ شجاعاً إلى آخرِ حدودِ الشجاعةِ، كريماً إلى آخرِ حدودِ الكَرَمِ، وكان من أجملِ فتْيانِ العَرَبِ. جُرِحَ في إحدى المعارك، ومرِضَ مَرَضاً طويلاً، ثُمَّ ماتَ. فبكيتُه بُكاءً مُرّاً. ورثيتُه بقصائد كثيرة تُؤلِّفُ مُعْظمَ شِعْري.

سلمى: وهل كان لكِ أولادٌ يا سيِّدتي؟

الخنْساء: نعم يا سلْمى. كان لي أربعة أولاد. ولما جاء الاسلامُ دخلتُ أنا وقومي في الدين الجديدِ، وتعزَّيْتُ به عن مَصائبي وأحزاني القديمة. وقد شارك أبنائي الأربعة في وقعة القادسيَّة. واستُشْهدوا جميعاً فيها. ولما بلغني نبأُ استِشهادِهمْ قلتُ: « الحمدُ لله الَّذي شرَّفني

بقتْلهم، وأرجو من ربّي أن يجْمعني بهم في مُسْتَقَرِّ رحمتِه.»

نسيتُ أن أقول لكِ: إني كنتُ في هذه المعركةِ العظيمةِ معهم.

مازن: هذا موْقفٌ عظيمٌ يا سيِّدتي، تسْتحقين عليه أَعْظم التقدير والإِجْلالِ.



الخنساء: هذا هو المَوْقفُ الذي ما تزالُ تقفهُ الكثيراتُ من أُمَّهاتِ شُهدائِنا العَرَبِ يا مازن. في عصْرِكم نساءٌ بَطَلاتٌ من أُمَّتِنا العربيَّة لَسْنَ أَقلَّ عظمةً ولا بُطولةً مِنَّا. فلا يَجِبُ أَنْ تَخُصَّني وحْدي بهذا الشَّرفِ العظيمِ.

سلمى: ولكنْ تَظَلّينَ أنتِ وأمثالُكِ قُدْوةً رائعةً لنا يا سيِّدتي.

الخنساء: شكراً يا صَغيرتي. أرجو أنْ نكونَ دائماً تاريخاً واحداً، وأمةً واحدةً مُتَّصلةَ المكارِمِ والأَمْجادِ.

امتدَّت بي الحياةُ حتى خلافةِ عُثْمان. وفارقتُ هذه الدنيا في البادية، حيث كانتْ مراتعُ طفولتي وملاعبُ شبابي.

مازن: نُحبُّ أَنْ نسمعَ شيئاً من شعركِ الجميلِ يا سيِّدتي. فماذا تختارينَ لنا منه؟

سلمى: نَعم. ماذا تختارينَ أنتِ لنا؟

الخنساء: وما عساني أختارُ لكم يا أعزَّائي، إنني لا أُريدُ أَنْ أَنْقُلَ نبْرَةَ الحُزْنِ والأَلَم الى أطفالنا الغالين. ومعظم قصائدي دموعٌ وآلام.

مازن: نريدُ أن نسْمعَ شيئاً ممَّا قُلْتِ في اخيكِ الفارِس الشجاع صَخْر.

الخنساء: حُبّاً وكرامةً يا مازن. اسْمعوا هذه الأبياتَ التي بكيتُ فيها هذا الفارسَ العربيَّ الجميلَ:

أَعَيْنَيَّ جُودَا ولا تَجْمُدا
أَلاَ تَبْكِيانِ لِصَخْرِ النَّدَى؟[1]
أَلاَ تَبْكِيانِ ٱلجَرِيءَ الجميلَ..
أَلاَ تَبْكِيانِ الفَتَى السيِّدا؟
طويلُ النِّجادِ، رفيعُ ٱلعِمَادِ
سادَ عشيرتَه أَمْرَدَا[2]
إذا القومُ مَدُّوا بأَيْديهمُ
إلى المجدِ مَدَّ إليه يَدَا
فنالَ الذي فَوْقَ أَيْديهمو
منَ المَجْدِ، ثُم ٱنثنَى مُصْعِدا

(١) الندى: الكرم.
(٢) النجاد: حمائل السيف. طويل النجاد: أي طويل القامة. رفيع العماد: من بيت عال شريف.

يُكَلِّفُه القوْمُ ما عالَهُمْ
وإنْ كان أصْغَرَهُمْ مَوْلِدا[٣]
تَرَى المَجْدَ يَهْوي إلى بَيْتِهِ
يَرَى أَفْضَلَ الكَسْبِ أَنْ يُحْمَدا
وإنْ ذُكِرَ المَجْدُ أَلْفَيْتَه
تَأَزَّرَ بالمَجْدِ ثُمَّ ٱرتَدَى[٤]

---

(٣) ما عالهم: ما افتقروا إليه.
(٤) ألفيته: وجدته. تأزّر: لبس الإزار. ارتدى: لبس الرداء أي الثوب. والمجد: الشرف والرفعة.

حَسَّانُ بْنُ ثابت



أحبَّائي الصِّغار

أنا شاعِرُ ثَوْرةٍ.

لأَنَّ الدينَ الجديدَ الذي وقَفْتُ إلى جانبهِ، ودافَعْتُ عنهُ بشِعْري كان ثورةً عظيمةً في أَيَّامي غَيَّرَتْ كُلَّ شيءٍ.

وأَحْسَنُ الشُّعراءِ في رأْيي همُ الذين يُؤْمنونَ بقضيَّةٍ، ويدافعون عنها.

والقضيةُ هي الهدَفُ النبيلُ، والمَثَلُ الأَعْلى الذي ينْقُلُ الناسَ من حالٍ إلى حالٍ أَفْضلَ.

والثورة العظيمةُ لا تكونُ إلاَّ منْ أجلِ الناسِ، من أَجْلِ الضُّعفاءِ والمحرومين، والفُقراءِ والمعذَّبينَ في الأَرْضِ.

لذلكَ جئْتُ أُقدِّمُ إليكم نَفْسي، وأنا سعيدٌ أَنْ أَلْقى أَطْفالَنا، وأَنْ أَتحدَّثَ إليهم، بعْدَ عصورٍ طويلةٍ.

اسْمي حسَّانُ بْنُ ثابت، من قبيلةِ الخَزْرَج، ينْتهي نَسَبي إلى قَحْطانَ. فأنا يَمَنيُّ الأَصْلِ. ولكنّي عشتُ في يَثْرِبَ، وقد أَصْبَحَ اسْمُها المدينةَ، بعد ظُهورِ الاسلامِ كما تعْرِفون.

كان ملوكُ الغساسنة أَصْدِقائي في الجاهليةِ. وكنتُ أذهبُ إليهم في شَبـابي فأَمْدَحهم، وأنالُ جوائزَهم وهداياهُم. لقد أفاضوا عليَّ النِّعَمَ، فحفظتُ لهم الجميلَ، وبقيتُ أذكرهُم بالخيرِ، حتى آخرِ يومٍ من حياتي.

ولما ظهرَ الاسلامُ، وهاجرَ النبيُّ الكريمُ إلى مدينتنا يَثْرِبَ. دخلتُ معَ قبيلتي في الدينِ الجديدِ، وأصبحْتُ من جُمْلةِ الأَنْصارِ.

ناصَرْتُ الدينَ الجديدَ بلساني، وموْهبتي، فأصبحتُ شاعرَ الرسولِ ، أمدحه، وأرُدُّ على من يهْجوه من شعراءِ قُرَيْشٍ . كانتِ المعركةُ على أشدِّها بينَ الثورة الجديدة وبيْنَ أَعْدائِها، وكانَ لا بُدَّ أَنْ نستخدمَ فيها كُل أنواعِ الأَسْلحةِ التي نملِكُها. وكان الشعرُ سلاحاً لا يقلُّ فتكاً عنِ السيوف والرماحِ .

كان الرسولُ العظيمُ يُشجِّعُني، ويقولُ لي: « اَهْجُهم ورُوحُ القُدُسِ معَكَ، واستَعنْ بأبي بكْرٍ فإنَّه علاَّمةُ قُرَيْشٍ بأنسابِ اَلعَرَبِ.» وكان أبو بكرٍ يدُلُّني على معايب قُرَيْشٍ ونقائِصها، فأُسجِلُها في شِعْري، وتسيرُ قصائدي بينَ اَلعَرَبِ فتفعلُ فِعْلَها في النفوسِ .

تحدَّثْتُ في قصائدي عن غزَواتِ النبيِّ، وانتصاراته الرائعةِ، وذكرتُ كثيراً منَ الصَّحَابةِ الذين استُشْهِدوا في المعارك،فكنتُ مؤ رخاً أميناً لتلكَ الفترةِ.

كانَ الحنينُ يجاذِبُني من حينٍ إلى آخر، فأتذكَّرُ أيَّامَ الشبـابِ، ورَحَلاتي إلى الشام، وأصدقائي القُدامى الغساسِنة. وحياةُ الانسان كُلٌّ لا يتجزّأُ يا صغاري، فنحنُ لا نستطيعُ أن نَنْسى طُفولَتَنا وشبابَنا مهما تغيَّرتِ الأحوالُ، وامتدَّ بنا العُمر.

عشتُ حياةً طويلةً أَتمنَّاها لكم يا أَحبَّائي. وكانتْ وفاتي بالمدينةِ في خلافة مُعاوية.

سأعودُ الآن إلى ذكْريـاتِ الشبـابِ، وأختـارُ لأصْدقائي الصِّغار أبياتاً من قصيدةٍ أُحبُّها كثيراً، قصيدةٍ مدحْتُ بها أبناءَ عمي الغساسنة. فهم مثلي من أَصْلٍ يَمَنيٍّ، وسترون في الأبيـاتِ صورةً للأصالـة، والمرُوءةِ، والكرَمِ العربيِّ الذي كان يتمثَّلُ في هؤلاءِ الأصدقاءِ الشُّجْعان.

آه.. ما أَجْملَ ذِكْرياتِ الشبابِ، وما أَغْلاها!



لِلّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ نادَمْتُهُمْ
يَوْماً بِجِلِّقَ في الزَّمانِ الأَوَّلِ(١)
الخالِطُونَ فَقيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ
والمُنْعِمونَ على الضَّعيفِ المُرْمِلِ(٢)
أَولادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبيهِمُ
قَبْرِ ابْنِ مارِيَةَ الكريمِ المُفْضِلِ(٣)

---

(١) العصابة: الجماعة ويقصد الغساسنة. جلّق: دمشق.
(٢) المرمل: الذي التصق بالرمل من شدة فقره.
(٣) أولاد جفنة: هم أبناء الغساسنة. وجفنة: جدُّهم.
المفضل: صاحب الفضل والكرم.

يسْقُونَ من وَرَدَ ٱلبريصَ عليهمُ
بَردَى يُصَفَّقُ بِالرَّحيقِ السَّلْسَلِ[٤]

بِيضُ الوُجوهِ، كريمةٌ أَحْسابُهُمْ
شُمُّ الأُنوفِ، مِنَ الطِّرازِ الأَوَّلِ[٥]

فَلبِثْتُ أَزْماناً طويلاً فيهمُ
ثُمَّ ٱنثَنَيْتُ كأَنَّني لم افْعَلِ[٦]

وتَزورُ أَبْوابَ المُلُوكِ رِكابُنا
ومَتَى نُحكَّمْ في البرِيَّةِ نَعْدِلِ[٧]

---

(٤) البريص: موضع بدمشق كان الغساسنة ينزلون فيه. بردى: نهر دمشق.
يُصفَّق: ينقل من إناء إلى إناء لكي يصفو. الرحيق السلسل: العذب البارد.

(٥) بيضُ الوجوه: وجوههم مشرقة. أحسابهم: مفاخر آبائهم وأمجادهم.
شم الأنوف: أباةٌ للضيم والذل.

(٦) لبثتُ: أقمتُ. طويلاً: المراد: لبثاً طويلاً. انثنيتُ: رجعتُ. عدتُ.

(٧) ركابنا: قوافلنا. إبلُنا التي نركبها.

كَعْبُ بْنُ زُهَيْر

أَعزَّائي الأَطْفال

أنا شاعِرُ البُرْدَة.

والبُرِدَةُ هي ثَوْبُ النبيِّ العظيم مُحمَّد (ص).

حادثةٌ واحدةٌ كانتْ كافيةً لكي تجْعلَني منْ أشهرِ الشُّعراءِ. وتجعَلَ بُرْدَتي أشهَرَ الثيابِ، وأَعْظَمَها قدْراً، في تاريخنا العَربي.

اسْمي: كَعْبُ بْنُ زُهيْر.

وأبي زُهيْرُ بْنُ أبي سُلْمى من شُعراءِ الطَّبقةِ الأُولَى في الجاهليَّةِ، ومنْ أَصْحابِ المُعلَّقاتِ. وستعْرِفون فيما بَعْدُ ماذا تَعْني هذه الكلمةُ: «المعلَّقاتُ»؟



نشأْتُ في بَيْتٍ يكْتَنِفُه [١] الشعرُ من كل جانبٍ. فكيف لا أَغْــدو شاعِراً؟ بَــدأْتُ أَنْظِمُ الأبيــاتَ والمقْطوعاتِ الشعريَّةَ وأنا صغيرٌ. وكانَ والدي زُهيرٌ يمْنَعُني من ذلك ويَزْجُرُني، خوفاً من أَنْ تكونَ موْهبتي لم تقْوَ بعدُ، ولم تتمكَّنْ من النَّظْمِ. ولكنِّي واصلْتُ الغناءَ. فالطائرُ الذي يمْلِكُ الصَّوْتَ الجميلَ لا يسْتطيعُ أَنْ يسْكُتَ عن التغريدِ.

(١) يكتنفه: يحيط به.

لم تذكُرْني كتُبُ الأدبِ كثيراً، ولم تَقِفْ إلاَّ عند حادثةٍ واحدةٍ. والواقعُ أَنَّ هذه الحادثَةَ كانتْ أَهَمَّ ما في حَياتي كُلِّها.

فقدْ أَسْلَمَ أَخي، وامتنعْتُ أنا عن الإسلامِ، حينَ بدأَ ينتشر بينَ العَرَبِ، ووقفْتُ منه موْقِفَ العدُوِّ في أَوَّلِ الأَمْرِ.

وحينَ فُتحتْ مكَّةُ، وتَمَّ النَّصْرُ للدينِ الجديدِ، كنتُ من بيْنِ الذين قرَّرَ الإسلامُ مُعاقَبَتهُم بالموتِ. فضاقَتْ عَلَيَّ الأرضُ، وحاولْتُ الْهَرَبَ. ولكنَّ أخي نصَحَ لي أَنْ أَعودَ إلى رُشْدي، وأَنْ آتي المدينة، وأَطْلُبَ الصَّفْحَ والعَفْوَ.



وقَدِمْتُ المدينةَ، كما أَشارَ أَخي واصدقائي، وهيَّأْتُ قصيدةً رائعةً أمدَحُ بها النبيَّ العظيم، وأَعتذِرُ عن موْقفي السابقِ. ودخَلْتُ عليه، فأنشدتُه القصيدةَ، فسُرَّ بها، وعفا عَنِّي، وخَلَعَ عليَّ بُرْدَتَه حينَ وصلتُ إلى هذا البيتِ الجميلِ:

إنَّ النبيَّ لَسَيْفٌ يُسْتضاءُ به
مُهَنَّدٌ من سُيُوفِ اللهِ مسلولُ

وقد اشترى الخلفاءُ هذه البُرْدَةَ [٢] بعد موتي، وتوارثوها جيلاً بعد جيلٍ. وكان لها شأنٌ عظيمٌ في التاريخ. وسُمِّيت قصيدتي: البُرْدَةَ.. باسْمها.

والآن.. هل تُحبُّون أن تسْمعوا شيئاً من هذه القصيدةِ الشهيرةِ؟ إليكم يا صغاري بعضَ أبياتِها:

بانَتْ سُعَادُ فقلْبي اليومَ مَتْبُولُ
مُتَيَّمٌ عِنْدَها، لم يُجْزَ، مكْبُولُ [٣]
وما سُعادُ غَداةَ البَيْنِ إذْ رَحَلوا
إلاَّ أَغَنُّ، غَضِيضُ الطَّرْفِ، مكْحولُ [٤]

---

(٢) البُردة: الثوب المخطّط.
(٣) بانت سعاد: بعُدت وفارقت. القلب المتْبول: الذي أسقمه الحبُّ. لم يُجز: لم يكافأ. مكبول: مُقيَّد.
(٤) غداة البين: يوم الفراق. الأغنّ: الذي في صوته غُنّة حلوة. غضيض الطرف: في نظرها حياء وفتور. يشبه هذه الفتاة بالغزال الأغنّ الذي يُطرق حياء. وهو مكحول العين.

نُبِّئْتُ أَنَّ رسولَ اللهِ أَوْعَدَني
والعَفْوُ عِنْدَ رسولِ اللهِ مَأْمُولُ[5]
لا تَأْخُذَنِّي بأَقْوالِ الوُشاةِ ولَمْ
أُذْنبْ، ولو كَثُرَتْ فيَّ الأقاويلُ[6]
ما زلْتُ أقْتَطِعُ البَيْداءَ مُدَّرِعاً
جُنْحَ الظَّلامِ وثوبُ الليلِ مَسْدُولُ[7]

(٥) نُبِّئْت: أُخبرتُ. أوعدني: هدّدني بالقتل.
(٦) الوُشاة: الذين ينقلون أحاديث السوء.
(٧) أقتطع البيداء: أذهب في الصحراء من مكان إلى آخر. مُدرعاً جنح الظلام: لابساً ظلام الليل كأنه درع لي يُخفيني عن الأعين. مسدول: مُرخى.

حتَّى وضَعْتُ يَميني.. ما أُنازِعُها
في كفٍّ ذي نَقَماتٍ، قَوْلُهُ القيلُ[٨]
إنَّ الرَّسولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بهِ
مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

---

(٨) يميني: يدي اليمنى. ما أنازعها: لا أجذبها. ذو نقمات: ذو غضب ونقمة على الأعداء. قوله القيل: هوله هو الحق.

سليمان العيسى

شعراؤنا
يقدِّمون أَنْفُسَهم
للأطفال

الجزء الثامن

طَرَفَةُ بْنُ العَبْد

سَلْمى: مَرْحباً بكَ ضيفاً على نَدْوتِنا يا شاعِرَ الشَّباب.

مازن: مرحباً بك أيها القادِمُ إلينا من الجاهليَّةِ، من أيام الفُروسيَّةِ والشعرِ والكَرَم.

سلمى: سَنُقَدِّمك إلى رفاقِنا الأطفالِ في التلفزيونِ العربي.

مازن: وستحكي لهم بعضَ أخباركَ يا سيِّدي.

سلمى: وتقرأُ علينا شيئاً من شِعْرِكَ المُتمرِّدِ الجميلِ.



مازن: ولكنْ تفضَّـلْ فقـدِّمْ نَفْسَكَ بنفسِكَ لرفاقِنـا الصِّغارِ،
فإنَّهم بالانتظار.

سلمى: نعمْ. نحنُ جميعاً بالانتظار.

طَرَفَة: شكراً أَيُّها الصَّغيرانِ الرائعانِ.
أنـا شاعرٌ مِن الجاهليَّـةِ، من صحْراءِ العَرَبِ الخالِدةِ. أعودُ إليكم تغمُرني السعادةُ بلقاءِ أَشْبالِنا بعْدَ خمْسةَ عَشَرَ قرْناً من الزَّمنِ.
اسْمي عَمْرو بْنُ العَبْد، وأنا من قبيلةِ بَكْرٍ.
أَمَّا طَرَفَةُ فهو لَقَبي الذي عُرِفْتُ به فيما بَعْد.

سلمى: وأَيْنَ وُلِدْتَ يا شاعِرَنا؟

طَرَفَة: وُلِدْتُ في البَحْرينِ.

مازن: حَدِّثنا قليلاً عن نَشْأَتِكَ وصِبَاكَ.

طَرَفَة: نشأْتُ يا مازنُ يتيمَ الأَبِ، في بيْتٍ غَنِيٍّ، كريم الأَصْلِ. وأعترِفُ أَني كنتُ ميَّالاً إلى اللَّهْوِ في أوَّلِ حياتي، أُنفِقُ المالَ بغَيرِ حسَابٍ، وهذا أَمْرٌ لا أَقْبَلُه الآن، لأني أصبحتُ أُؤمنُ أَنَّ الشبابَ

قد خُلِق من أَجْلِ هدفٍ نبيلٍ، وقضيَّةٍ ساميةٍ، وليسَ من أَجْلِ اللَّهْوِ وٱلعَبَثِ فحسْبُ.

مازن: هذا صحيحٌ يا سيدي.

سلمى: هذا صحيح.

طَرَفَة: ليس الآنَ وقْتُ مُراجَعَةِ الماضي، ومناقَشَتِهِ على كُلِّ حالٍ. فلْنَمْضِ في حديثنا، ولْنَعْرِضْ ما جَرَى لنا.

مازن: تابعْ حديثَكَ يا شاعِرَنا.

طَرَفة: حينَ أخذْتُ أَلْهو وأُنْفِقُ المالَ تضايقَ مني أعمامي، ورُبَّما كانوا على حقٍّ في ذلك. فتشدَّدوا في معاملَتي، ولم يُعْطوني إلاَّ القليلَ من حَقِّي، وحَقِّ أُمِّي. فهدَّدْتُهم بأبياتٍ نظَمْتُها وأنا فتىً غَضُّ العُودِ. فتركوني وشأْني. ورُحتُ أواصِلُ حياةَ اللَّهوِ وٱلعبَثِ معَ بَعْضِ الأَصْحاب، حتى لم يبْقَ لي شيءٌ من المال. فأصبحتُ وحيداً معْزولاً ورحْتُ أَقْضي وقْتي بالغَزْوِ والتَّطوافِ، متجوِّلاً

في أرجاءِ البادية الواسعة.. إلى أَنْ أَفَقْتُ من هذهِ الغوايةِ، وصحَوْتُ من جُنونِ الشبابِ، وعُدْتُ إلى أهلي نادماً.

سلمى: قصةٌ مثيرة.. وماذا كان بعدَ ذلكَ يا شاعِرَنا؟

مازن: نعمْ. ماذا كان بعدَ ذلكَ؟ حياتُكَ طريفةٌ غريبةٌ يا سيِّدي.

طَرَفة: لقد كلَّفني أخي معْبَد أَنْ أَرْعى له إبِلَه. ولكنِّي كنتُ مُنْصرِفاً إلى الشعرِ، ولم أكُنْ ذلكَ الراعي اليَقِظَ. فأهمَلْتُها. وأَنَّبَني أخي قائلاً:
سيُكلِّفُنا إِهْمالُكَ غالياً يا طَرَفة. ستُؤْخَذُ منكَ هذهِ الإبلُ وأنتَ غافِلٌ عنها، تتسَلَّى بقوْلِ الشِّعْرِ، وغنائِه. تُرَى؟ إِنْ أُخِذَتْ تَرُدُّها بشعْرِكَ هذا؟

مازن: كان الشِّعرُ أَغْلى من الإبلِ عندكَ كما أَرَى.

طَرَفة: بل كان الشعرُ وجُودي، وحَياتي كُلَّها، يا مازن. ولذلكَ غضِبْتُ حينَ كلَّمني مَعْبَدٌ بهذه اللَّهْجَةِ الساخرةِ، وقلتُ لهُ: اطْمَئِنَّ يا أخي، سأردُّها بشعْري إِنْ ضاعَتْ.

وقد ضاعَتْ بعْدَ ذلكَ فِعْلاً، ورَدَدْتُها له بشِعْري. ولا أُحبُّ أَنْ أَشْغَلَ وقْتَكم بتفصيلِ الخَبَرِ، فسوفَ تَقْرؤُونَه مُفَصَّلاً حينَ تكْبَرون.

سلمى: كانَ للشعر دورٌ كبيرٌ في أيَّامِكم يا سيِّدي فيما يبْدو.

طَرَفة: نعَمْ يا سَلْمى. كان أجدادُكم العَربُ يهتزُّون للكلمةِ الجميلةِ، ويُسْحرون بها، ويبْذُلون كلَّ شيءٍ في سبيلها. كما كانوا يخافونَها، ويحْسِبون لها ألفَ حسابٍ. وقد كانت الكلمةُ الشعريَّةُ سبباً في هلاكي كما ستعْلمون.

مازن: وكيفَ؟ كيفَ كان ذلكَ؟ أَخْبِرْنا يا شاعِرَنا.

طَرَفَة: كنتُ يا مازنُ مُعْتَدّاً بنفسي، فخوراً بموْهبتي. لا أَرى شيئاً في الدُّنيا أَعْلى مرْتَبةً من الشاعرِ المُجيدِ. ولقد نظمتُ ذات يومٍ أَبْياتاً سَخِرْتُ فيها من الملكِ عَمْرِو بْنِ هِنْد، ومن رجُلٍ من رجال حاشِيَتِه. فغضِبَ عليَّ الملِكُ، ودَبَّرَ لي مكيدةً، ذهبْتُ ضحيَّتَها. وأنا في عُنْفوانِ الشبابِ، لم أَتجاوَز السادسةَ والعِشْرينَ من عُمُري.

سلمى: إِنها جَريمةٌ يا سيِّدي، جريمةٌ أَنْ يُقْتَلَ شاعِرٌ من أَجْلِ قصيدةٍ.

طَرَفة: هذا ما حَدَثَ لي يا سَلْمى. أَلَمْ أَقُلْ لكم إِنَّ أَجْدادَكم كانوا يُقَدِّسون الشعرَ، وكانوا يخافونَه أَشدَّ الخَوْفِ في وقتٍ واحدٍ؟

مازن: ولكنَّ القصيدة الجميلةَ في رأيي، لا تَقْتُلُها إِلاَّ قصيدةٌ أجملُ منها. أو فِعْلٌ كريمٌ يكونُ هو الشعرَ بعينه، أو أجْمَلَ من الشعرِ.

طَرَفة: هذا كلامٌ عالٍ، رفيعٌ يا مازن، يُدْهِشُني أَنْ يقُوله طفلٌ في مِثْلِ سنِّكَ.

مازن: لقد تعلَّمْتُه من أُسْتاذي في المدْرسَةِ وهو يشْرَحُ لنا أَبْياتاً رائعةً من شِعْرِنا العربيِّ القديم.

طَرَفة: رائعٌ هذا الأُستاذ يا صَغيري. إنكم تتعلَّمون أشياءَ جميلةً جداً. ولم يخْطُرْ في بالنا يوماً أنكم ستقرؤوننا في المدارس، وتحفظونَ أخبارَنا وأشعارَنا.

سلمى: أنتم ماضينا الزاهِرُ المَجيد. ونحنُ نعْتَزُّ بماضينا وبأَمْجادِنا العربيَّةِ الباقيةِ.

طَرَفة: وأنا سعيدٌ بأطْفالي، بينابيع هذه الأُمَّةِ المتجدِّدةِ على الدَّوامِ.

لقد تركتُ لكم أشعاراً كثيرةً، رُبَّما ضاعَ كثيرٌ منها معَ الزَّمنِ. وبقيَ لي ديوانٌ صغيرٌ رواه الرواةُ على مرِّ العُصور. وأهمُّ ما فيه قصيدتي الداليَّةُ الطَّويلةُ: المُعلَّقة.

مازن: وما معنى المُعلَّقَة يا سيِّدي؟

سلمى: نعم. اشرَحْ لنا معْنى هذه الكلمة.

طَرَفة: في شِعْرِنا الجاهليِّ قصائدُ طويلة رائعة سمَّاها أجـدادُكم «المُعَلَّقـات»، لأَنَّهم كانوا - كما حدَّثـكم الرُّواةُ - يكتبونها بماءِ الذهبِ، ويُعلِّقونها على جدار الكعْبة، تعظيماً وتكريماً لها، ولأَصحابها من الشُّعراءِ. ثم تأتي القبائلُ، لتَطوفَ بالكعبةِ، فتقرأُ هذه القصائدَ الرائعةَ، وتحفظُها، وتتناقلُها من مكانٍ إلى مكان، ومنْ جيلٍ إلى جيلٍ. وقد كان عددُها عَشْراً، وبعضُهم يعُدُّ منها سبْعَ معَلَّقاتٍ فحسْبُ. وهذا لا يُهِمُّ. المُهمُّ أَنَّ هذه القصائدَ كانتْ ذروةَ الشعرِ العربيِّ في عصْرِنا يا أَعزَّائي.

سلمى: وهلْ ستذكُرُ لنا شيئاً من مُعلَّقتِكَ؟

طَرَفة: حُبّاً وكرامةً يا صغيرتي. سأختارُ لكم أبياتاً من أَجْملِ ما قُلْتُ فيها:

مازن: نحنُ بالانتظار. وأَعدُكَ يا سيِّدي أَنْ نحفَظَ هذه الأبياتَ، ونُنْشِدها دائماً.

طَرَفة: شكراً يا مازن. وأعتذِرُ سلفاً عن بعْضِ كلماتِها الصَّعْبةِ التي سنشْرحُها لكم على كلِّ حالٍ.

سأَنْقُلُ إليكم هذه الأَبياتَ التي أَتحدَّثُ فيها عنْ نفْسي، وعنْ تجْرِبتي في الحياة:

إذا القَوْمُ قالوا: مَنْ فتىً؟ خِلْتُ أَنَّني
عُنيتُ، فلَمْ اكسَلْ ولَمْ اتبلَّدِ[1]

(١) يقول الشاعر: إذا نادى قومي في ساعة الخطر: من الفتى الذي يُنْجدنا؟ ظننتُ أنهم يقصدونني بهذا النداء. فأسرعت إلى نجدتهم لم أتكاسل. ولم أتردَّد.

وَلَسْتُ بِحَلَّالِ التِّلاعِ مَخَافَةً
ولكنْ متَى يسْتَرْفِدِ القومُ أَرْفِدِ[٢]

وإنْ تَبْغني في حلْقةِ القوْمِ تَلْقَني
وإنْ تَقْتَنِصْني في الحوانيتِ تصْطَدِ[٣]

أَلَا أَيُّهذَا اللَّائمي أَحْضُرَ الوَغَى
وأَنْ أشْهَدَ اللذَّاتِ، هلْ أنتَ مُخْلِدي[٤]؟

فإنْ كنْتَ لا تَسْطيعُ دفْعَ مَنِيَّتي
فدَعْني أُبادِرْها بما ملكَتْ يدي[٥]

---

(٢) التلاع: المرتفعات. استرفد القوم: طلبوا النجدة والتضحية. يقول الشاعر: أنا لا أهرب إلى المرتفعات خوفاً من القتال. ولكني أخوض المعركة حين يناديني قومي للدفاع عنهم.

(٣) وإذا فتشت عني في الحلقة التي يجتمع فيها سادة القبيلة وأشرافها وجدتني هناك، لأني من السادة الأشراف. وان حاولت اصطيادي في أماكن اللهو فإنك قد تجدني هناك أيضاً. فأنا فتى يعرف وقت الجد، وأوقات اللهو.

(٤) يا من تلومني على خوض المعارك، واقتناص اللذات، هل تكتب لي أنت البقاء إلى الأبد؟ اننا سنموت لا محالة فلماذا لا نُقْبل على الحياة؟

(٥) يتابع الشاعر خطابه لمن يلومه قائلاً: انت أيها اللائم لا تستطيع أن تدفع عني الموت. فاتركني أواجه موتي بكل ما أملك من قوةٍ وشباب ومال.

رأَيتُ بَني غَبْراءَ لا يُنْكِرُونَني
ولا اهْلُ هذاكَ الطِّرافِ المُمدَّدِ (٦)

أَرَى العيْشَ كنْزاً ناقصاً كُلَّ ليلة
وما تَنْقُصِ الأَيَّامُ والدَّهْرُ ينْفَدِ (٧)

وظُلْمُ ذَوي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً
على المَرْءِ من وقْعِ الحُسَامِ المُهنَّدِ (٨)

ستُبْدي لكَ الأَيَّامُ ما كُنْتَ جاهلاً
ويأتيكَ بالأَخْبارِ مَنْ لم تُزَوِّدِ (٩)

---

(٦) بنو غبراء: هم الفقراء. والشاعر يعرف الفقراء ويعرفونه بكرمه، وحبه إيّاهم. ومعاشرته لهم. وكذلك يعرفه الأغنياء أيضاً أصحاب البيوت العالية الممدودة.

(٧) الشاعر يحب الحياة. ويراها كنزاً ينقص كل ليلة مع الأسف. وما تأخذه الأيام قطرة قطرة لا بد أن ينتهي. فلتكن حياتنا خصبة غنية بالعطاء والإبداع.

(٨) ذوو القربى: هم الأقرباء. المضاضة: الألم. الحسام المهنّد: السيف القاطع. يشير الشاعر في هذا البيت القوي الجميل إلى معاملة أهله الجائرة له وهو فتى صغير حين ضيّقوا عليه، وابتعدوا عنه وتركوه وحيداً مشرداً.

(٩) حين يتقدم بك الزمن، وتنضج قليلاً. سترى أشياء كنت تجهلها من قبل. وسيحمل إليك الأخبار الجديدة من لم تكلفه عناء حملها إليك. إن الحياة ملأى بالمفاجآت. فلنتعلم منها كل يوم درساً جديداً.

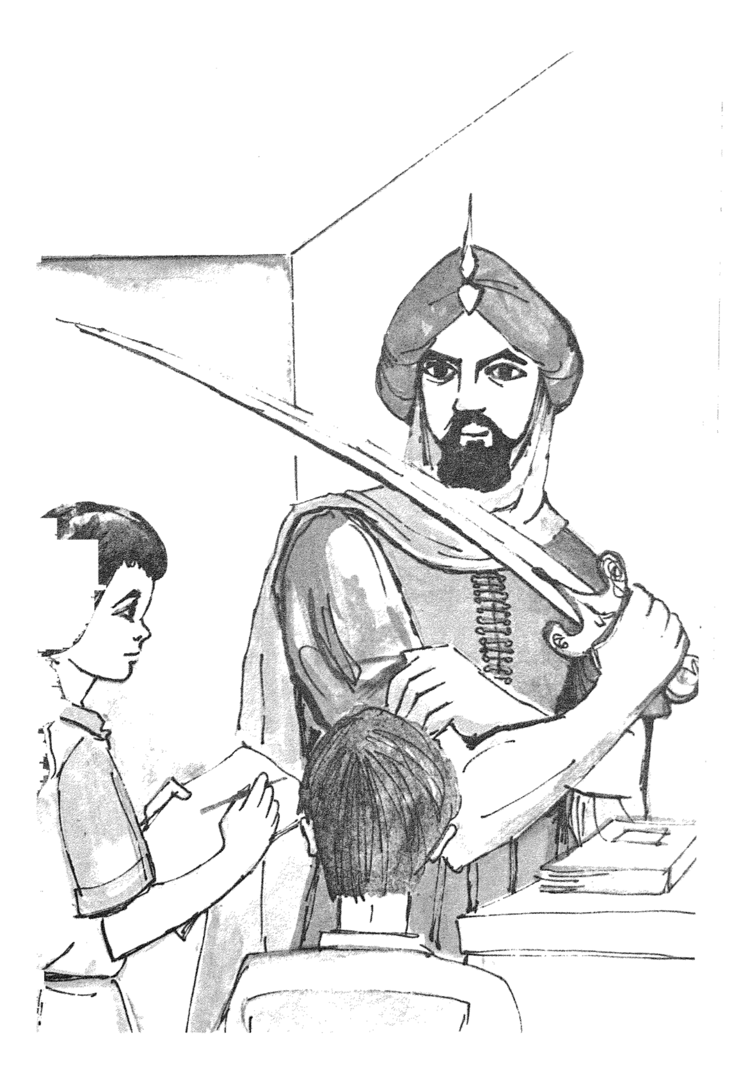
عَمْرُو بْنُ كُلْثوم

أيُّها الفُرْسانُ الصِّغار

أنا عَمْرو بْنُ كُلْثوم، صاحبُ المُعلَّقةِ المعْروفةِ التي خلَّدَتِ اسمي بين الشُّعراءِ، وكانتْ وحْدَها كافيةً لِتجْعلني منْ أَشْهَرِ شُعراءِ عَصْري.

أنا من قبيلةِ تغْلِب. وقد سمعْتُم اسمَها يتردَّدُ كثيراً في ٱلأَدَبِ والتاريخ. كان أبي من ساداتِ تغْلِبَ، فنشأْتُ شديدَ الاعتزازِ بقوْمي وبنَفْسي. وأصْبحْتُ سيِّدَ القبيلةِ وفارِسَها وأنا فتىً في الخامسة عشرةَ من عُمْري. وكنا نُقيمُ أكثر ما نقيمُ في الجزيرة، على أطرافِ الفُراتِ.

لا بُدَّ أَنْ اذكُرَ لكم الخُصومةَ الدامية التي كانتْ بين بكْرٍ وتغْلِبَ. وهُما عشيرتـانِ تنازَعَتا، وتحارَبَتا زمناً



طويلاً. وسُمِّيتِ تلك الحربُ: حربَ البَسوس. ولم تهدأ المنازعاتُ بين العشيرتينِ. وقد نظمتُ قصيدتي المُعلَّقةَ أفتخِرُ فيها بمآثر قوْمي بَني تغْلِبَ، وأمجادِهم.

أَمَّا الحادثةُ التاريخيَّةُ التي اشتَهرْتُ بها، وتغنَّيتُ بنتائجِها في مُعَلَّقتي، فلا بأْسَ أَنْ أَعْرِضَها عليكم بإيجازٍ، أَيُّها الأَعزَّاء الصِّغار الذين تفْتحون قُلوبكم لنا.

أنا الذي قتلْتُ الملِكَ عَمْروَ بْنَ هنْدٍ انتقاماً لكَرامتي. وخُلاصةُ الحادثةِ أَنَّ عَمْروَ بْنَ هنْدٍ قال ذات يومٍ لنُدَمائه[1]:

« أتعلمونَ أحداً من العَرَبِ تأْنفُ أُمُّه من خدْمةِ أُمِّي؟ »

قالوا:

« لا نَعْلمُها.. إلاَّ ليْلى أُمَّ عَمْرو بْنِ كُلثوم. لأَنَّ أَباها المُهلْهِل، وعمَّها كُلَيْبُ وائلٍ أَعزُّ العَرَبِ، وزوْجها كُلثومٌ فارسُ العَرَبِ، وٱبْنها عمْرو بْنُ كلثوم سيِّدُ قومِهِ. »

فأرسل الملكُ يدعونا إلى زيارته، ويُلحُّ على أَن تكونَ والدتي ليْلى معنا، ولبَّيْنا الزيارة، وقدِمْنا إليه، ونحنُ لا نعْلمُ شيئاً مَّما دَبَّر لنا.

---

(١) النُّدماء: الذين يجالسون الملك ويحادثونه. مفردها: نديم.

وعندما صِرْنا في ضيافتِه أوعزَ إلى أُمِّه هند أن تُنَحِّيَ الخدمَ، وأَنْ تستخدمَ والدتي ليلى. فنادَتْها هند بشيء من الاستخفاف: «ليلى.. ناوليني ذلك الطَّبقَ.»

وشعرَتْ أمي بالاهانة المُتعمَّدَةِ، فقالت لأُمِّ الملِكِ، في ثقَةٍ وهُدوءٍ: «لتَقُمْ صاحبةُ الحاجةِ إلى حاجَتِها»

فأعادتْ عليها هندُ الطلبَ مرةً أُخْرى. ولما عرفَتْ أُمِّي أَنَّها تريد إِهانتَها عامدَةً، وتُصرُّ على ذلك، صاحَتْ: «واذُلَّاهْ!» وكنتُ أنا قريباً منها، فلما سمعتُ الاستغاثةَ ثارَ الدَّمُ في وَجْهي، وعرفْتُ سِرَّ الزيارةِ، فقمتُ إلى سيفٍ مُعلَّقٍ في الرُّواقِ، فسلَلْتُه من غمدِه، وهجمتُ على الملكِ نفسِه، فضربْتُه ضربةً كانتِ القاضيةَ. وناديتُ قوْمي الذين كانوا معي: «عودوا إلى الديار» فرجعْنا إلى الجزيرةِ. ومنذُ ذلكَ اليوم صارتِ العربُ تضرِبُ المَثَلَ بِعَمْرو بْنِ كلثومٍ في الثأْرِ للكرامةِ.

رُبَّما وجدتُم في هذه الحادثةِ شيئاً من الطباع الجاهليةِ التي تُقْدِمُ على الأَمْرِ قبل أن تُفَكِّرَ وتتَروَّى.

ولكنْ صدِّقوني يا صغاري أَنَّ منْ يفْقِدُ حِسَّ الكرامةِ يفْقِدُ كُلَّ شيءٍ.

غزَوْتُ كثيراً، وحارَبْتُ كثيراً. ووقعْتُ مرةً في الأَسْرِ، وأنا أقاتِلُ بَني حنيفةَ في اليمامة، ولكنهم كانوا قَوْماً كراماً. فقد عامَلوني معاملةَ الفارسِ الذي لا يُهانُ. وضَربوا لي قُبَّةً (أي خيمةً كبيرةً)، وأَنْزلوني فيها مُعزَّزاً مُكرَّماً.

عشتُ حتى بلغْتُ من الشيخوخةِ أَقْصاها، وشبِعَتْ نفسي من الغَزواتِ والانتصاراتِ، وذقتُ من الدهرِ حُلْوه ومُرَّه. ولما شعرتُ باقترابِ أَجَلي جمعتُ أبنائي وأوصيتُهم أَنْ يتَحلَّوْا بأَجملِ الفضائلِ، وأكرمِ الأخلاقِ.

والآنَ، خُذوا عني هذه الأبياتَ الجميلةَ في الفخرِ والحماسةِ، في الرُّجولةِ والكَرَمِ العربيِّ. اخترْتُها لكم من مُعلَّقتي المشهورة.

ستَرَوْنَ في هذه الأَبْياتِ صورةَ الفارس العربيِّ الذي لا ينامُ على ضيْمٍ، ولا يَرْضى الحياةَ إلاَّ وقْفَةَ عزٍّ وكرامةٍ. آه.. ما أَجْدَرَ مِثْلَ هذا الشعرِ بأَنْ يكونَ نشيدَ الفُرْسانِ على مَدَى العُصورِ! أليس كذلك يا فُرْساني الصِّغار؟ غنُّوا معي إِذاً:

لقدْ عَلِمَ القبائلُ مِنْ مَعَدٍّ
إذا قُبَبٌ بأَبْطَحِها بُنِينَا (٢)

بأَنَّا المُطْعِمون إِذا قَدَرْنا
وأَنَّا الصادقون إِذا آبتُلِينا (٣)

وأَنَّا المانِعونَ لِما أَرَدْنا
وأَنَّا النازلون بحيثُ شينا (٤)

وأَنّا التاركونَ إِذا سَخِطْنـــــــا
وأَنَّا الآخِذونَ إِذا رَضِينا (٥)

---

(٢) مَعَدٌّ: أحد أجداد العرب القدماء. القُبَب: الخيام العظيمة. الأبطح: السهل: المكان المنبسط.

(٣) إذا نصبنا قدورنا أطعمنا الضيوف، وإذا خضنا المعارك كنا صادقين في القتال، لا نجبُنُ ولا نتراجع.

(٤) شينا: مخففة من شئنا.

(٥) سخِطْنا: غضبنا، أي: لا نقبل عطايا من نغضب عليه، ونقبل هدايا من نرضى عنه.

عـــلى آثارنـــا بيـــضٌ حِسَانٌ
نُحاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ او تهونَا (٦)

يَقُتْنَ جيادنا، ويَقُلْنَ لستُمْ
بُعُولَتَنا إذا لم تَمْنَعونا (٧)

أَلاَ لا يَعْلَمُ الأَقْوامُ أَنَّا
تضَعْضَعْنا وأَنَّا قدْ وَنِينا (٨)

وَرِثْنا المجْدَ عنْ آباءِ صِدْقٍ
ونُورِثُهُ إذا مِتْنا بَنِينَا

---

(٦) تمشي وراءنا في الحروب نساء بيض جميلات. تشارك معنا في القتال. ونخاف أن يسبيها الأعداء ويقسّموها ويهينوها. وكان من عادة المنتصرين أن يقتسموا المغانم بعد المعركة.

(٧) يقتن جيادنا: يطعمن خيولنا. بعولتنا: ازواجنا. إذا لم تمنعونا: إذا لم تحمونا من العدو.

(٨) لا يعرف أحد أننا ضعفنا وتزعزعنا في الحرب. أو فترنا وتقاعسنا في القتال.

عَنْتَرةُ بْنُ شدَّاد

أَيُّها الصِّغارُ الأَبْطال

ما أَشُكُّ في أَنَّكُمْ سمعْتُمُ اسمَ عنْترةَ مراراً، وعرفْتُم شيْئاً عنِّي. فأنا مشْهورٌ جداً بينَ الكبارِ والصِّغارِ.

والفضْلُ في شُهْرَتي لتلْكَ السِّيرةِ الضَّخْمةِ التي أُلِّفَتْ عني في العَصْرِ الفاطميِّ، أيْ بعْدَ موْتي بقرونٍ عديدةٍ.

لا أَدْري لماذا اخْتارَني ذلك المُؤَلِّفُ العبْقَريُّ من بيْنِ مِئاتِ الفُرْسانِ والشُّعَراءِ العَرَبِ، ونَسَجَ حَوْلي تلكَ القِصَّة

الطويلةَ التي صارَ الناسُ يرْوُونها، ويَقْضونَ في سَرْدِها الليالي الطِّوالَ. سامَحه الله، لقدْ جعَلَ من حياتي أُسْطورةً ملأى بالتهويلِ والمُبالغاتِ، ولكنَّها مَلأَى أيْضاً بالحُبِّ والشجاعةِ والنُّبْلِ. وهذا ما يَشْفَعُ لها عِنْدي.

أَمَّا حياتي الحقيقيَّةُ يا أَعزَّائي فإنها شيْءٌ آخرُ. نَعَمْ.. يا أَوْلادي. هنـــاكَ عنْتَرَةُ الحقيقـةِ والتاريـخِ، وعنْترةُ الأُسْطورةِ والخيالِ. والشَّخْصيَّةُ الأُولى هي التي تهُمُّني الآن.

اسمي عنْترةُ بن شدَّاد. وأنا من قبيلةِ عبْسٍ كما تعرِفون. ومن أهْلِ نجدٍ. كانت أمي حبشيةً سوداء، سباها أبي في إحْدى غزواته، وتزوَّجها - على عادة القبائل العربيةِ في عصرنا - فولدَتْني أسود مثلَها.

ولم يعترِفْ أبي بي إليه أوَّل الأمرِ خوفاً من العشيرةِ وتقاليدها الصارمةِ. ولكنَّ القبيلةَ كلَّها اضطُرَّتْ إلى الاعترافِ بي، عندما أصبحتُ فارسها المشهور.



خُضْتُ معارِك كثيرةً دفاعاً عن قوْمي بني عبْسٍ. وشاركتُ في الحرْبِ المشهورة، حرب داحسٍ والغبراء، التي دارت بين عبْسٍ وذُبْيان، ودامتْ زمناً طويلاً.

أحبَبْتُ عبْلة، ابنةَ عمي مالكٍ. وفتَّح الحبُّ شاعريتي، فأصبحتُ أقولُ الشعرَ الجميل، حتى صرْتُ واحداً من أصحاب المعلَّقاتِ.

نُسِبَ إليَّ شعرٌ كثيرٌ، من صُنْعِ الرُّواةِ، لم أَقُلْ حرفاً واحداً منه. وبقيتْ مُعلَّقتي أَصْدقَ شِعْري، وأكملَ صورةٍ عنّي.

وفي احدى الغارات، رماني فارسٌ من بني نبْهانَ بسَهمٍ، فجرَحني جُرْحاً بليغاً كان السببَ في وَفاتي، وكانت قد تقدَّمَتْ بي السنُّ.

أَمَّا الأخبارُ التي ترْويها السيرةُ، فأكثرُها من صُنْعِ الخيالِ، كما قلتُ لكم، سواءٌ ما تعلَّق منها بحياتي، أو بموتي، إنها للقصَّة والاستمتاع وليستْ للتاريخ.

اليكم يا صغاري مقْطعاً من المعلَّقةِ، أخاطبُ فيه ابْنَةَ عمِّي وأصف نفْسي وشجاعتي في القتالِ :

أَثْني علَيَّ بما علِمْتِ، فإنَّني
سَمْحٌ مُخالَطَتي إذا لم أُظْلَمِ (١)

فـإذا ظُلِمْتُ فإنَّ ظُلْمي باسِلٌ
مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كطَعْمِ العَلْقَمِ (٢)

ولقدْ أَبيتُ على الطَّوَى وأَظَلُّهُ
حتَّى أنالَ به كريمَ المَطْعَمِ (٣)

---

(١) أثني علي: امدحيني، واذكريني بالخير. سمحٌ مخالطتي: لطيفة معاشرتي.

(٢) باسل: كريه. مرٌّ الطعم. العلْقم: الحنْظل وهو نبات مُرُّ المذاق. يقول الشاعر: إنه لطيف المعشر. كريم الأخلاق. ولكن إذا اعتدى عليه احد. أو ظلمه، فإنه يرد الظلم بظلم أشدّ وأمرّ منه.

(٣) والشاعر يصبر على الجوع ويظل صابراً حتى ينال اللقمة الشريفة.

هَلاَّ سأَلْتِ الخيْلَ.. يابْنَةَ مالكٍ
إنْ كُنْتِ جاهلةً بما لم تعْلَمي (٤)

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوقيعةَ أَنَّني
أَغْشى الوَغَى، وأَعِفُّ عند المَغْنَمِ (٥)

ولَقَدْ ذكَرْتُكِ والرِّماحُ نَواهِلٌ
منّي وبيضُ الهِنْدِ تقْطُرُ من دَمي (٦)

فَـوددْتُ تقبيلَ السيوفِ لأَنَّها
لَمَعتْ كبارقِ ثَغْركِ المُتَبَسِّمِ (٧)

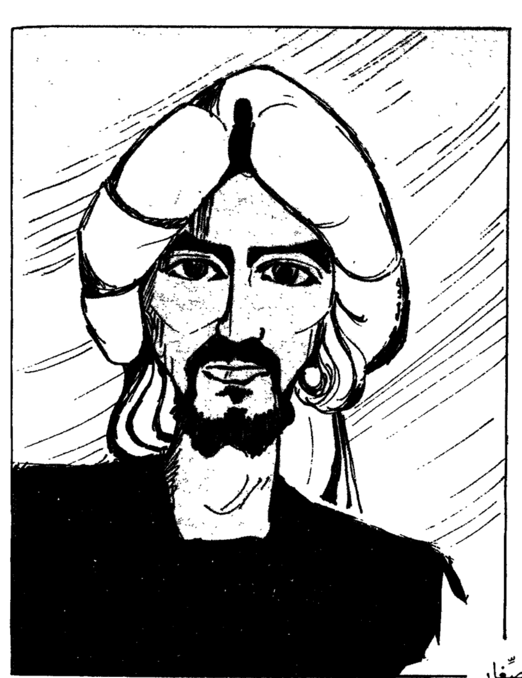
---

(٤) الخيل: يريد الفرسان الذين على ظهور الخيل.

(٥) الوقيعة: المعركة. أغشى الوغى: اخوض الحرب. أعف عند المغنم: اترك الغنائم لغيرى لأني لا أطمع إلا بالسيرة الحسنة والبطولة.

(٦) تذكرتك يابنة مالكِ حين كانت الرماح تشرب مني. والسبوف تقطر من دمي. تدكرتك في قلب المعركة.

(٧) وتمنبت تقبيل السيوف لأن لمعانها كان يذكِّرني بلمعان ثغرك الجميل. حين تبتسمين.



المُهَلْهِل

أَيُّها الصِّغار

أنا أبو لَيْلى، عَدِيُّ بْنِ ربيعةَ التغْلِبيُّ.

أخو كُلَيْبِ وائلٍ ، وجدُّ عمْرو بْنِ كُلْثُوم.

وصاحبُ القِصة الشعبيَّةِ المعروفةِ بينَ جماهير العَرَبِ، على امتدادِ الوطنِ العربيِّ الكبيرِ. وقد اشتَهرْتُ في هذه القصَّة باسم « الزير سالم ». واسألوا آباءَكم عنها، فانَّهم يعْرِفونَها جيداً.

زَعموا أَني سُمِّيتُ « مُهَلْهِلاً »، لأني كنتُ أولَ شاعرٍ في الجاهليَّةِ هَلْهَلَ الشعرَ العربيَّ، أيْ جعلَه رقيقاً ناعماً. والحقيقةُ يا صغارُ أنَّ الشعرَ الجميلَ الرقيقَ قديمٌ جداً في هذه الأرضِ العربيَّةِ. وشُكْراً لمن تفضَّلَ فعدَّني بين الأوائلِ في هذا المَيْدان.

كنتُ أَقْضي معْظمَ أوقاتي في اللَّهْوِ والصَّيْدِ، حتَّى قُتِلَ أخي كليبٌ، ونشبَتْ حربُ البَسوسِ المعروفةُ بين أبناء العمِّ، بكْرٍ وتغْلِبَ، فقمتُ أطلبُ ثأْرَ أخي، وأرفُضُ الصُّلْحَ الذي عُرِضَ مِراراً عليَّ.

هل تُريدون رأيي الآن في تلك الحربِ، وفي موْقفي منها يا صغاري؟ لقد كانتْ صورةً من صُور البداوة التي تعيشُ بعاطِفَتها، وتتركُ العَقْلَ والمنطقَ جانباً في أكثرِ الأحيانِ.

دامتْ حرْبُ البَسوسِ أربعينَ سنةً يَقْتُلُ فيها أبناءُ العمِّ بعضُهم بعْضاً. وقد شاركتُ في معظمِ تلكَ الوقائعِ. هل تعرفون يا أطفال السببَ الذي اشتعلتْ فيه نارُ تلك الحرْبِ؟

كانتْ بسبب ناقةٍ أَبْصَرها أخي كليبٌ ترْعى ذات يومٍ معَ إبله، فأَنْكرَها، ورماها بسهْمٍ أصابَ ضَرْعَها، فولَّت الناقةُ تعِجُّ وتضِجُّ حتى بركتْ أمامَ خيْمةِ صاحبِها. وكانَ هذا الرجلُ في ضيافة ابن عمنا جسَّاس. فصاح: واذُلاَّه! واجِوارَ جسَّاس! وكانت هذه الصيحة كافيةً لكي تُثير جساساً، فإذا هو يذهبُ إلى كليبٍ، ويطْعنُه طعنةً قاتلةً.

وهكذا اشتعلت الفتنةُ بين الحيَّيْن، حيّ بكرٍ وحيٍّ تغْلب. وكنا جميعاً وقودَ نارِها وضحاياها.

نُسِبَ اليَّ شعْرٌ كثيرٌ لم أَقُلْ شيئاً منه، كما نُسِبَ إلى غيْري من الشعراءِ الفُرْسان.

عمِّرتُ طويلاً. وضجرْتُ من الحرْبِ. ويُقال: إني وقعتُ آخر أيامي في الأَسْرِ، ومُتُّ في البحْرين. وبعضهم يقولُ: إنَّ العبْدَين اللذين كانا في خدمتي هما اللذان قتلاني. ونسبوا إليَّ قصةً طريفةً تتعلَّق بمقْتلي.

فقد زعَموا أَنِّي أوصيْتُ العبْدين، عندما أَحْسَستُ أنهما يُريدان التخلُّص مني، أنْ يُنْشِدا ابنتي سُلَيْمى بَيْتاً من الشعر، وهو:

فلما أَنْشداها البيت أَوْثقتِ[1] العبدينِ بحبْلٍ متينٍ، وقالتْ: ما أراد أبي إلاَّ أَنْ يقول:

مَنْ مُبْلِغُ الأقوام أنَّ مُهَلْهَلاً
أضحى قتيلاً في الفلاةِ مُجَنْدلا[2]
للّــــــه دَرُّكما، ودرُّ أبيكما
لا يَبْرَحُ العبــدان حــتى يُقْتـلا

ولا يَخْفى ما في هذه القِصَّة من التفكيهِ[3] والاختراعِ.

سأَقْرأُ لكم يا صغـار أَبياتاً جميلةً من قصيدةٍ طويلةٍ أتحدَّث فيها عن الحرب، وأحمِّلُ أبناء عمِّنا بني بكْرٍ تبِعاتِها،[4] وجِنايَتَها. اسمعوا هذه الأبياتَ الحكيمة المُنْصِفة:

---

(١) أوثقت: ربطت.
(٢) مجدَّل: مطروح على الأرض.
(٣) التفكيه: التسلية.
(٤) تبعاتها: مسؤولياتها وعواقبها.

جارَتْ بَنو بَكْرٍ ولم يَعْدِلوا
والمَرْءُ قد يَعْرِفُ قَصْدَ الطَّريقْ (٥)

يا أَيُّها الجاني على قوْمِهِ
جِنايةً ليسَ لها بالُمطيقْ (٦)

جنايةً لم يَدْرِ ماكُنْهُها
جانٍ، ولم يُصْبِحْ لها بالخليقْ (٧)

كقاذِفٍ يوماً بأَجْرامِهِ
في هُوَّةٍ ليسَ لها من طَرِيقْ (٨)

مَنْ شاءَ وَلَّى النفسَ في مَهْمَهٍ
ضَنْكٍ، ولكنْ مَنْ لهُ بالَمضيقْ (٩)

---

(٥) جارت: ظلمتْ قصد الطريق: استقامته.
(٦) أيها الجاني. الخطاب لجسّاس قاتل كُليب.
(٧) كنهها: حقيقتها. الخليق: الجدير. الكفؤ.
(٨) بأجرامه: بجسمه كله. الهوة: اسفل الوادي.
(٩) المهمه: الصحراء البعيدة. الضنك: الضيق والعسير من كل شيء. منْ له بالمضيق؟: أى من ينقذه؟



إِنَّ رُكوبَ البحرِ، ما لمْ يكنْ
ذا مَصْدرٍ، من مُهْلِكاتِ الغَريقْ
ليسَ أَخُوكم تاركاً وِتْرَهُ
وليسَ عن تَطْلابِكُمْ بالمُفيقْ [10]

(١٠) أخوكم: يقصد المهلهل نفسه. الوِتْرَ: الثأر. تطْلابكم: طلبكم بشدة.

سليمان العيسى

شعراؤنا
يقدمون أنفسهم
للأطفال

الجزء التاسع

١ - زُهَيْر بنُ ابي سُلْمَى
٢ - آمْرُؤُ القَيْس
٣ - النابغةُ الذُّبياني

زُهَيْرُ بْنُ أَبي سُلْمَى

انا أَقْرَبُ الناسِ اليكُمْ أيُها الأَطْفال.

أُحِبُّ كُلَّ ما هُوَ جميلٌ وناعِمٌ وبَرِيء.

نَفَرْتُ من الحُروبِ والمُنازَعاتِ التي كانَتْ تَشْتَعِلُ بَيْنَ أبناءِ قَوْمي. وأَحْبَبْتُ الصَّفاءَ والوِئامَ. كانَت الأَعْمالُ الانسانِيةُ النبيلةُ تَهُزُّني، وتُلْهِمُني أَجْملَ أَشْعاري. كنتُ أتألَّمُ حينَ أَرَى الطّاقاتِ العربيَّةَ تُهْدَرُ، وتَذْهَبُ سُدَى، في الغاراتِ والوقائعِ التي لا تَنْتَهي. وقد أرسلْتُ صَيْحَتي في الصَّحْراءِ، وتغنَّيْتُ بالقِيَمِ المُثْلَى، ودعَوْتُ الى الوَحْدةِ. أَليسَتْ دعوةُ الأَشِقّاءِ المُتحارِبينَ الى الصُّلْحِ والمَحَّبةِ ضَرْباً من ضُروبِ الوَحْدةِ التي تُكافحون من أجلِها الآن؟

انا زُهَيْرُ بْنُ أبي سُلْمَى. (بضم السِّين).

الشاعرُ الجاهليُ الذي عَدَّني الجميعُ من شُعَراءِ الطَّبقَةِ الأولى في عصْري، ومن أصحاب المُعلّقاتِ.

نشأتُ في قبيلة مُزَيْنَة، وكان في أُسْرَتي اكثَرُ من شاعرٍ وشاعرةٍ.

تزوَّجْتُ امرأَةً كنتُ أُحِبُّها كثيراً، اسمُها أُمُّ أَوْفَى. وقد ذكرتُها في أَوَّلِ بَيْتٍ من مُعَلَّقَتي المَعْروفة..

وهزَّتْني المبادرةُ الرائعةُ التي قام بها سيِّدانِ من ساداتِ العرب هُما: هَرِمُ بْنُ سِنانٍ، والحارثُ بنُ عوفٍ، إذْ أَصْلَحا بين عَبْسٍ وذُبْيان، وأَخْمدا نارَ الحربِ التي استعَرتْ بينَهما سنينَ طِوالاً. فمدحتُهما بأَجْملِ شِعْري. وأَصْفَيْتُهما خالصَ حُبِّي وتقديري..

عِشْتُ حَتّى جاوزتُ الثمانين. وسئمتُ تكاليفَ هذه الحياةِ ومشَقّاتِها، وهمومَها التي لا تَنْتَهي. وقلتُ في ذلكَ هذا البيتَ المشهور:



سئمتَ تكاليف الحياةِ ومن يعِش
ثمانينَ حوْلاً - لا أبالك - يسأَمِ [1]

قلت الكثيرَ من الشعرِ وما أظنُّه وصَلَ اليكُمْ كُلُّه. فقد ضاعَ من شعرِنا قسمٌ كبيرٌ يا صغاري. لأننا لم نكن نُجيد القراءةَ والكتابةَ. كان الرُّواةُ هم الذين يَحْفَظون أشعارَنا ويَنْقُلونها من جيلٍ الى جيلٍ، وهكذا خسِرْنا الكثيرَ من نِتاجِ قَرائحِنا، وثَمَراتِ مَوَاهِبِنا.

آه.. ما أَسْعَدَكُمْ أَنْتُم، وما أَحْسَنَ حَظَّكُم!

إنكم تكتبون وتَقْرَؤونَ. بل تُسَجِّلون كل ما يخطُرُ على بالِكُم بأصواتِكم، في « مُسَجِّلاتٍ » تَحْفَظُ كل شيءٍ، حَتّى نَبْرةَ صوتِكم، وأَلْوانَ ثيابِكم.

سَجِّلُونا إِذا، واحْفَظُونا بَيْنَ ذخائِرِكُم [2]. فإننا نَظَلُّ قَبَساً يُضِيءُ الطريقَ، وزاداً تحتاجون اليه في كفاحِكُم من أَجْلِ الأَفْضَلِ والأَجْمَلِ في هذه الحياة.

---

(١) سئمتُ: مَللتُ. تكاليف الحياة: أعباؤها وهمومها. الحَوْل: العام. لا أبالك: عبارة جاهلية كانت تستعمل للتنبيه والإعلام. ولا يقصدون بها الاساءة.

(٢) ذخائركم: محفوظاتكم وأشياؤكم النفسية التي تعتزُّون بها.

تركَ لكم زُملائي الشعراءُ أبياتاً من شعرِهْم تَحْفَظُونها، وتتغَنّوْن بها. فاسْمَحوا لي يا أطفالي أَنْ اختارَ لكم بَعْضَ الأبياتِ من مُعَلّقَتي. وستَرَوْنَ فيها خُلاصَةَ حِكمتي، وتَجْرِبتي في الحياة.

اليكم هذهِ المختارات:

سَئِمْتُ تكاليفَ الحياةِ، ومَنْ يَعِشْ
ثمانينَ حوْلاً - لا أبالَكَ - يسْأَمِ

رأَيْتُ المنايا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصِبْ
تُمِتْهُ، ومَنْ تُخْطِئْ يُعمَّرْ فيَهْرَمِ (٣)

ومَنْ يجْعلِ المعروفَ من دُونِ عِرْضِهِ
يَفِرْهُ، ومَنْ لا يَتّقِ الشتْمَ يُشْتَمِ (٤)

---

(٣) الموت يخبط (أي يمشي على غير هدى) مشي الناقة العمياء. فمن أصابه قضى عليه. ومن لم يصبه عاش حتى أدركه الهرم.

(٤) من بذل ماله لوجه الخير. حفظ شرفه. وأحبه الناس لأعماله النبيلة. ومن لم يترفّع عن الشتائم يتعرّض لها ويُشْتم.

وَمَنْ لم يَذُدْ عن حَوْضِهِ بِسلاحِهِ
يُهَدَّمْ، ومَنْ لا يَظْلِمِ الناسَ يُظْلَمِ (٥)

ومَهْما تكنْ عند امرِئٍ من خليقةٍ
وإِنْ خالَها تخفى على الناسِ تُعْلَمِ (٦)

وكائنْ تَرَى مِنْ صامتٍ لَكَ مُعْجبٍ
زيادتُهُ أو نقْصُهُ في التكلُّمِ (٧)

لِسانُ الفتى نِصْفٌ ونصْفٌ فُؤَادُهُ
فلَمْ يبْقَ إلاَّ صورةُ اللحمِ والدَّمِ (٨)

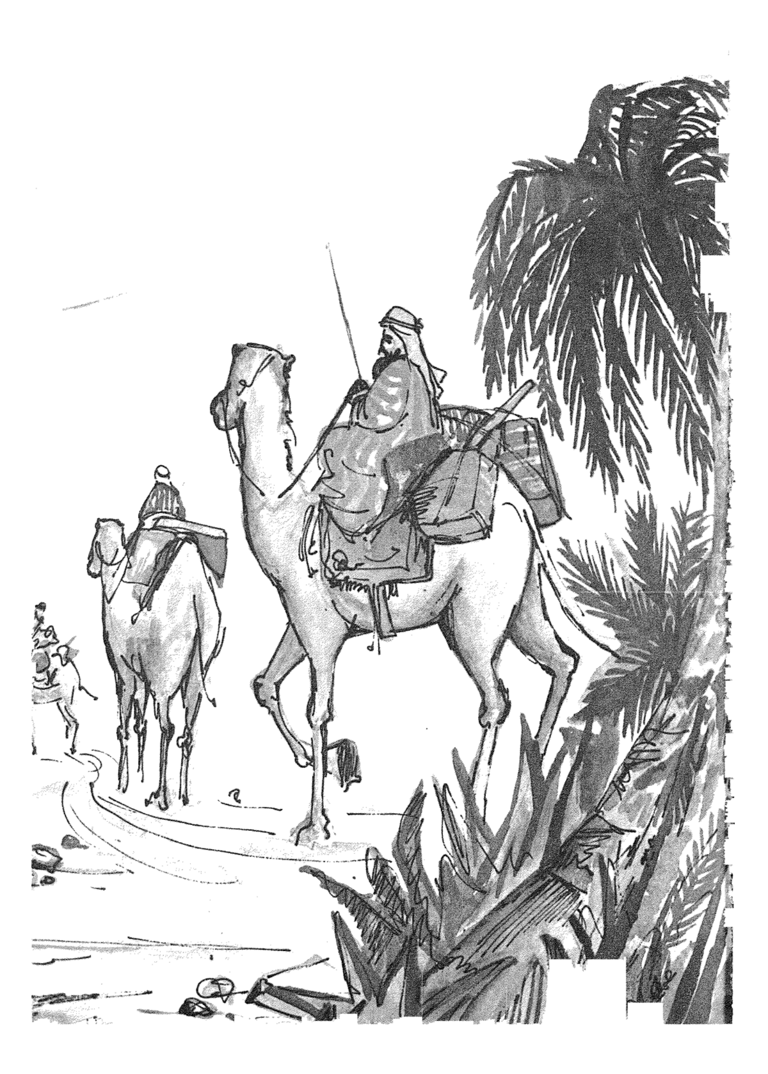
---

(٥) من لم يدافع عن شرفه وبيته بسلاحه يُهَدَّمْ حوضه ويستباح. والحوض هنا كناية عن الشرف والكرامة. ومن لم يكن قوياً. ويرد ظلم الناس عنه. تعرَّض للظلم والهوان.

(٦) الخليقة: الطبيعة. الخُلُق. خالها: ظنّها.

(٧) كائن: بمعنى كم. أي أن الانسان الصامت يبقى معجباً لك حتى يتكلم. فإذا تكلم زاد في عينك أو نقص. لأن كلامه هو الذي يحدد شخصيته ومستوى وعيه وثقافته.

(٨) البلاغة والذكاء هما مقياس الكمال عند الشاعر. فإذا جردنا الانسان من هاتين الصفتين الجميلتين لم يبق منه إلا الهيكل الزائل.



امْرُؤُ القَيْس

أَعِزَّائي الأَطفال

ماذا أُحَدِّثكُم عن نفْسي؟

انا في طليعة شُعَراءِ الجاهليَّةِ.

وأوَّلُ مَنْ يَذْكُرون اسْمَه مِنْ أصحاب المُعَلّقات.

امْرؤُ القَيْسِ هو الاسمُ الذي عُرِفْتُ به في التاريخِ. ومعناه: رَجُلُ الشِّدةِ والقُوَّة. ولي أَسماءٌ أُخْرى لا أُحِبُّ أَنْ أُضَايِقَكم بِذكْرِها.

وُلِدْتُ في نَجْدٍ. و كانَ أبي مَلِكاً على بَني أَسَدٍ. فنشأْتُ مَيَّالاً الى التّرَفِ واللَّهْوِ شَأْنَ أَبناءِ الملوك. كانَتْ حياتي فارغة - أقولُها بصراحةٍ لأَحِبَّائي الصغارِ - لولا أنني كنتُ أنظِمُ الشعرَ الجميلِ وانا ما أزالُ في مَطْلعِ الشباب.

كنتُ أقولُ قصائدَ الغَزَلِ، واتفنّنُ في سَرْدِ القصَصِ الغراميَّةِ. ولم يكن ذلك يَسُرُّ والدي. فنهاني غيرَ مرَّةٍ عن هذا. ثم غضِبَ عليَّ وطَردَني، حِفاظاً على سُمْعَتِه وسُمْعَةِ المَمْلكة. يبدو أني كنتُ أَرْوي في شعري قِصَصاً لا تَليقُ بالمقام.

تركتُ عشيرتي، وذهَبْتُ مَعَ جماعةٍ من أَصْحابي، نطوفُ في أحياءِ العَرَبِ، متنقِّلين من مكانٍ الى مكانٍ، نَقْضي اوقاتَنا باللّهْو، والصيدِ، وسَماعِ الغِناءِ.

وفي ذات يومٍ.. جاءني النبأُ الفاجعُ الذي هزَّني، وقلَبَ حياتي رأسا على عَقِبٍ.

أخْبَروني أَنَّ أبي قد قُتِلَ. وأنَّ بني أَسَدٍ هم الذين قَتَلوه. فطلّقْتُ حياةَ اللهوِ والعَبَثِ، ونهَضْتُ للأَخْذِ بثأْرِه، ورحتُ أستنجدُ القبائلَ العربيةَ كي تُساعِدَني على استعادةِ المُلْكِ الضائع، فلم تُنْجِدْني إلا قليلاً. لماذا؟ لا أدري. يُخَيَّلُ اليَّ أَنَّها لم تكُنْ تُحِبُّ أبي، وطريقتَه الصارمةَ في الحكْمِ.

وهكذا وجدتُ نفسي مُضطَراً الى الإرتماء في أحضانِ الغُرَباء، فذهبتُ الى القسطنطينية، اَسْتَعِينُ بِقَيصَرِ الرُّومِ



على أبناء قَوْمي. وكانَتْ تِلْكَ غَلْطتي التي لا تُغْتَفَر. والتي قادَتْني الى الهلاكِ، فَمُتُّ بعيداً مُشَرَّداً في ديارِ الغُرْبةِ، لم أظفَرْ إلاَّ بالوُعودِ الخائبةِ، والضَّياع.

وما يزالُ قَبْري بالقُرْبِ من أَنْقَرة كما يَذْكُرُ المُؤَرِّخون.

لي ديوانٌ شعرٍ مَطْبوع. ولي مُعَلَّقَةٌ طويلةٌ حفِظَها آباؤكم القُدامَى، وردَّدوها حَتّى شَبِعوا منها. فيها وَصْفُ الأطلال، وحديثُ الحُبِّ، ووصف الصَّيْدِ والفَرَسِ. آه.. كم كنتُ أُحِبُّ الصَّيْدَ، وأعشَقُ ركوبَ الخيل!

يقولون : إنِّي أوَّلُ شاعرٍ ذكَرَ الأطلالَ، ووقَفَ عليها، وبكَى الأحبابَ الذين فارقوه. هل تُصَدِّقون هذا يا صِغاري؟

هناك شعراءُ قَبْلي. سَبَقُوني الى هذه المواقفِ منذُ مئات السنين، وقالوا الشعرَ، وودَّعوا الأحبابَ، وعَبَّروا عن عواطفِهم مِثْلي. ولكني كنتُ قويَّ التأثير في الشعراءِ الذين جاؤوا بعدي. فأَعْطَوني هذه المكانةَ، وساروا على طريقتي عُصُوراً طويلةً، ورأوا في شعري المَثَلَ الذي يُحْتَذَى.

أَحِبَّائي الأَطْفال..

ماذا تُريدونَ أَنْ أذكُرَ لكم من أَشْعاري؟

سأقَرأُ لكم أَبْياتاً مُتَفَرِّقَةً تتحدَّثُ عن مَوْضُوعاتٍ حُلْوَةٍ تَهُمُّكم. أَمَّا قِصَصُ الحُبِّ والغَزَلِ فإني سأَتْركها حَتَّى تَكْبَروا، وتَقْرَؤُوها بأَنْفُسِكم.

اليكم هَذيْنِ البَيْتينِ اللَّذيْنِ يُصَوِّرانِ أَحلامي البعيدةَ، وطُموحي الى المجدِ :

فلَوْ أَنَّني أَسْعى لأَدْنى مَعيشةٍ
كفاني، ولم أطلبْ قليلٌ من المالِ

ولكنَّني أَسْعى لمجدٍ مُؤَثَّلٍ [1]
وقد يُدْرِكُ المجدَ المُؤَثَّلَ أَمْثالي

وهذه الأبياتَ الأربعةَ التي صوَّرتُ فيها الليلَ الطويلَ المُمِلَّ تصويراً بديعاً. لقد مَرَّتْ بي ليالٍ طِوالٌ مَلأَى بالهمِّ والتفكيرِ والقَلَقِ. فلا تَعْجَبوا اذا رأيتموني أَصِفُ الليْلَ

---

(١) المؤثل: الأصيل العريق.

وليلٍ كموج البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ
عليَّ بأنواعِ الهمومِ ليبْتَلي[٢]

فقُلْتُ لهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ
وأَرْدَفَ أَعْجازاً وناءَ بكَلْكلِ [٣]

الاَ أَيُّها الليلُ الطويلُ: أَلا انْجَلِي
بِصُبْحٍ ، وما الإِصْباحُ منكَ بأَمْثَلِ [٤]

فيالَكَ من ليلٍ كأَنَّ نُجومَهُ
بكل مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ [٥]

---

(٢) سدوله: ستوره. شبه الشاعر الليل بأمواج البحر لهوله وصعوبته. لقد أرخى عليه ستوره بكل أنواع الهموم ليجربه ويختبر صبره.

(٣) هنا يشبه الليل بحيوان ضخم يتمطى بكل جسده. ثم يلقي ثقله على الشاعر. والأعجاز: هنا أواخر الليل. والكلكل: الصدر.

(٤) يقول له: أيها الليل يكفيك طولاً وغماً. فاْذهب عني. ودعني أرى نور الصباح. وان كان الصباح ليس أفضل منك. لأنه سيحمل الي الهموم نفسَها. ولن أرى فيه الراحة.

(٥) في هذا البيت يتعجب الشاعر من ثبات الليل وطوله فكأن نجومه قد رُبطت بحبال متينة فوق جبل (يذْبل) فهي لا تتحرك ولا تغيب.

ومالي ولِلّيْل والهمّ والقلقِ أُزْعِجُ به أَطْفالي الأَعِزَّاء؟ تعالَوْا أُسْمِعكم وصْفَ الفَرَس العربي الأصيلِ الذي كنتُ أَرْكَبُه وأَخْرجُ به الى الصيدِ، قبلَ أن تستيقظَ العصافيرُ من أعْشاشها. ولا تخافوا بعض الالفاظ الصَّعْبة لأني سأشرحُها لكم :

وقدْ أَغْتدي والطّيْرُ في وكُناتِها
بمُنْجَردٍ، قيْدِ الأَوابدِ، هَيْكَلِ (٦)

مِكرٍّ مِفرٍّ مُقْبلٍ مُدْبِرٍ مَعاً
كجُلْمودِ صَخْرٍ حطّه السيلُ مِنْ عَلِ (٧)

أَلا تُذَكْرِكم رشاقَةُ هذا الحِصانِ الجميل وسرعتُه الخاطفة بالصاروخ في هذه الأيام؟ إنّ حِصَاني كانَ أَحْلَى وأرشقَ من أيّ صاروخ في عصْرِكُم. رُبَّما كنتُ مُتَحيِّزاً لِفَرسي الأصيل، مُنْساقاً مع عاطِفَتي. ولكنّي ما زِلْتُ أُحِبُّه أَعْمقَ الحُبِّ. وانا واثقٌ من أنكم تُحِبُّونه مِثْلي.

---

(٦) وكناتها: أعشاشها. المنجرد: السريع. الأوابد: الوحوش. الهيكل: العظيم. الصخم.

(٧) مكر مفر: أي يذهب ويعود ويتحرك في كل اتجاه بسرعة فائقة كأنه صخر أملس دحرجه السيل الجارف من مكان عال.



وقبل أَن اختمَ حَديثي اليكم يا أطفال، سأتركُ لكم هذين البيتَيْنِ المُؤَثِّرَيْنِ. وقد ختمتُ بهما حياتي وانا في ديار الغُرْبَةِ.

كنتُ بالقُرْبِ من جبلٍ يقالُ لهُ: «عَسِيب» وهُناكَ رأيتُ قَبْرَ امرأةٍ ماتَتْ، ودُفِنَتْ في سَفْح الجبلِ. فسألتُ عنها، فأَخْبَروني بقصَّتِها، فقلتُ، وانا اتوقَّعُ أَنْ أَمُوتَ وأُدْفَنَ هناكَ:

أَجارَتَنا إنَّ المَزارَ قَرِيبُ
وإِنِّي مُقيمٌ ما أقامَ عَسيبُ

أجارَتَنا.. إنّا غَريبانِ ها هُنا
وكُلُّ غريبٍ لِلْغريبِ نَسيبُ



النابغة الذُّبْياني

عامر: انا مندوبُ مجلّةِ « الطفل العربيّ ».

وهذه رفيقَتي رَباب مندوبةُ المجلّة أيضاً

رباب: جِئْنا نُقابِلُكَ يا سيِّدي، ونُقَدِّمُك الى أَصْدِقائنا الأطفالِ . وقد أَحْضَرْنامَعَنا « آلَةَ تصويرٍ » تَلْتَقِطُ لكَ بعضَ الصُّوَرِ.

عامر: نَعَمْ يا سيِّدي. وسَنَنْشُرُ هذهِ الصُوَرَ في مَجلّتِنا.

النابغة: أَهْلاً بالصَّديقَيْنِ الصغيرَيْن. أَهْلاً بكَ يا عامِرُ. أَهْلاً بكِ يا رَبابُ هذه لَحَظاتٌ رائعةٌ تُتَاحُ لي، واني سعيدٌ بلقاءِ أطفالي.

عامر: سمِعْنا أَنَّكَ قَدِمْتَ الآنَ من نَجْدٍ.

النابغة: نعَمْ يا صديقي الصغير. انا قادمٌ من نَجْدٍ، من أَعْماقِ التاريخِ . أريدُ زيارة المَواطنِ العربيَّةِ



القديمةِ التي أَحْبَبتُها، وزُرْتُها كثيراً في الماضي.

رباب: أنتَ الآنَ في بغداد، يا سيِّدي، ونحْنُ باسْمِ أطفالِ الْعربِ جميعاً نُرَحِّبُ بكَ في بلدِكَ القديم.

النابغة: شكراً يا رباب، شكْراً يابنتي على حُسْنِ استقبالِكُمْ لي. سأزورُ الشامَ أيضاً في أقربِ وقتٍ. فقد كانَتْ لي فيها ذِكْريَاتٌ لا تُنْسَى.

عامر: الشامُ والعراقُ يا سيِّدي دارٌ عربيةٌ واحدة، حَيْثُما نَزلْتَ وجَدْتَ أطفالَكَ وأهلَكَ.

رباب: ولكنْ.. أماحانَ الوقتُ لِتُقدِّمَ نفسَكَ لرفاقِنا، يا شاعِرَنا الكبير؟

النابغة: حُبّاً وكَرامةً يا رباب. سأَفْعَلُ، وأُنَفِّذُ ما تُرِيدين. انا النابغةُالذّبْياني، مِنْ قبيلةِ ذُبْيانَ. ومن شُعَراءِ الجاهلِّيةِ المَعْروفين، المَعْدودين في الطّبقَةِ الأُولَى. اِسْمِي زيادُ بْنُ مُعاوية، ولكني اشتَهرْتُ بِلَقبي. ولا أدري من أَيْنَ جاءني هذا اللّقَبُ الجميلُ. لَعلّهم أطلَقُوه عليَّ لأني نَبغْتُ في الشعرِ بَعْدَ أَنْ كَبرْتُ ونَضَجْتُ. من الصَّعْبِ أَنْ أَعْرِضَ عليكم أخبار نَشْأتي وطُفولَتي. فقد نشأْتُ بَينَ أبناءِ القبيلةِ، وتنَقّلْتُ مَعَ أهلي الّذينَ كانوا يَرْحَلون في

طَلَبِ الماءِ والمَرْعَى، كما تَفْعَلُ قبائلُ البادية كُلُّها.
ولكنّي كنتُ أُحِبُّ أبناء قَوْمي، وادافعُ عنهم
بشِعْري.

اتَّصلْتُ بملوكِ الغساسنةِ في الشامِ وَمَدحْتُهم،
ثُمَّ اتَّصَلْتُ بملوكِ المناذرةِ في العراقِ فأكرموني
أيضاً. وكان النعمانُ بْنُ المُنْذر يُحبُّني، ويسمَعُ
شِعْرِي بشغَفٍ وإعْجابٍ. ولا أدري لماذا غضِبَ
عليَّ بعد ذلكَ، فتركتُ الحيرةَ، عاصمة المناذرةِ،
ولجأتُ الى اصدقائي الغسَّانيين

عامر: قصةٌ مثيرة.. كنتَ إذاً شاعرَ الشامِ والعراقِ في
وقتٍ واحد.

النابغة: نعم يا عامر.. لولا أن صديقي النُّعمانَ غضِبَ
عليَّ، وهدَّدني بالعِقاب.

رباب: ولماذا غضِبَ عليكَ، وهدَّدَكَ؟

النابغة: يروون لذلك قصةً اختَرعوها من الخيال. فقد
زعموا أني نظمتُ قصيدةً وصفْتُ فيها المُتَجَرِّدَةَ
زوجةَ الملك. وذكرتُ في القصيدة أشياءَ لا يَليقُ
ذِكْرُها. فكانتْ سببَ سُخْطِ النُّعْمانِ وجفائه.
والواقعُ أني لم أفعَلْ شيئاً من هذا. ولم أذكُرْ
زوجةَ الملكِ بسوءٍ. ولكنَّ زُمَلائي الشعراءَ كانوا

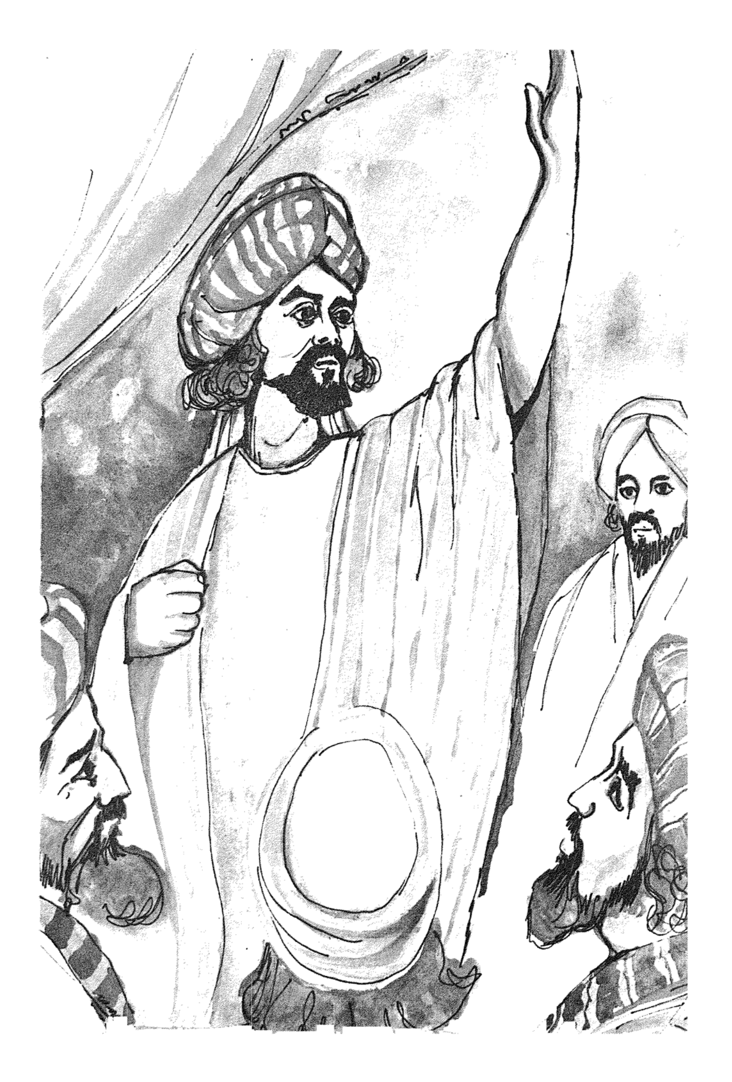
يَحْسُدونني على مكانتي الرفيعةِ، فدبَّروا لي هذهِ المكيدةَ، وأفْسَدوا بيني وبينَ صديقي النُّعمان.

عامر: ثُمَّ ماذا كانَ بعد ذلك؟

النابغة: ذهبتُ إلى الشام، وبقيتُ زَمَناً طويلاً أترَدَّدُ على أصدقائي الغسانيين، أمْدَحُهم، وأنالُ جوائزَهم وتقديرَهم، وأنظِمُ قصائدَ الاعتذارِ إلى صديقي القديمِ النُّعمان، مدافِعاً عن نفسي. مُتَبَرِّئاً من التُّهمة التي ألْصَقوها بي، حتى اشتهرَتْ تلك القصائدُ في الشعرِ العربيِّ وسُمِّيت «الاعتذاريات».

رباب: حَدِّثْنا عن سُوقِ عُكَاظٍ. فقد سمعتُ أنَّكَ كنتَ أبْرزَ شُعرائِه، وأعلاهم مُقَاماً في أيامِكَ.

النابغة: كانَتْ عُكاظُ يا ربابُ سُوقاً تجتمع فيها القبائلُ العربيةُ، في أيامِنا، وكانَتْ تُقام مرةً في كل عامٍ، بينَ مكَّةَ والطائف، يبيعون فيها ويَشْتَرون. وكان الشعراءُ يأتون هذه السوقَ، فَيُنْشِدون فيها أحْسَنَ أشعارِهم، فتنقلبُ إلى ندوةٍ للشعرِ والأدبِ. وقد كنتُ أحْضُرُ سُوقَ عُكَاظٍ، فيقيمون لي قُبَّةً من أدمٍ (أيْ خيمةً كبيرةً من



الجِلْدِ الأَحْمر). أجلِسُ في صَدْرِها، ثم يَدْخُلُ عليَّ الشعراءُ، فَيُنْشِدون قصائدَهم أَمامي، وأكونُ أنا الحَكَم بينهم. مرةً يَقْبَلون حُكْمي، ومرةً يَرْفُضونه غاضبين. ومن أشهرِ هذه المناظراتِ الشعريَّةِ تلكَ التي فضَّلْتُ فيها الخَنْساءَ على كثيرٍ من شُعَراءِ المَوْسِمِ. فغضِبَ صَديقي حسَّانُ بْنُ ثابتٍ، ولم يُعْجِبْه رَأْيي في الخنساء، وقال لي: «أنا أَشْعَرُ منكَ ومنها.»

عامر: جميلٌ أَنْ يَتَبارى الشعراءُ، ويتنافسوا على الإبداع.

النابغة: نعَمْ يا عامر.. كانَ الشعرُ ديوانَ العَرَبِ، وكانوا يُقَدِّسُونه ويَضَعُون أَصْحابَه في المراتبِ العاليةِ.

رباب: ما زلنا نُحِبُّ الشعرَ يا سيِّدي. ونُقَدِّر شُعراءَنا المُبْدِعين.

النابغة: يَسُرُّني أَنْ أسمَعَ ذلكَ يا رَباب. والدليلُ أَنَّ مجلَّة «الطفلِ العربيّ» أسرعَتْ إلى لقائي، واستقبَلْتني أحسنَ استقبال.

عامر: وقد قَرَّرتْ أُسْرةُ المجلّةِ أَنْ تُقيمَ لك حَفْلَةَ تكريمٍ رائعةً في مَقَرِّها غداً. ونحنُ باسْمِ الأُسْرَةِ ندعوكَ منذُ الآنَ، ونرجو أَنْ تَقْبَلَ منا هذهِ الدعوةَ.

النابغة: هذه مُفاجأَةٌ رائعةٌ يا عامر. أشكركم من صميمِ قلْبي على هذا التكريم. وأنا تحت تصرُّفِكم منذُ الآن.

رباب: ولكنَّا نريدُ أَنْ ننْشُرَ في مجلّتِنا بَعْضَ المُخْتاراتِ من شِعْرِكَ الجميلِ، فماذا تختارُ لنا يا سيِّدي؟

عامر: أنا أريدُ أَنْ اسمعَ بعْضَ أبياتٍ من تلك «الاعتذاريَّات» التي أرسلتهاإلى صديقك النُّعمان بْنِ المنذرِ.

النابغة: حَسناً. إليكَ هذه الأبياتَ يا صديقي الصَّغير، اخاطبُ بها الملِكَ النُّعمان:

أَتاني - أَبيْتَ اللَّعْنَ - أَنَّك لُمْتَني
وتِلْكَ التي أَهْتَمُّ مِنها وأَنْصَبُ [1]

(1) أبيت اللعن: تحية جاهلية، أي أبيت الأعمال القبيحة. أهتم: يصيبني الهم. أنصب: أتعب. أي: أتاني لومك وعتابك الشديد وتلك هي المسألة التي تهمني وتتعبني.

فَبِتُّ كأَنَّ العائداتِ فَرَشْنَ لي
هَرَاساً به يُعْلَى فِراشي ويُقْشَبُ [٢]

حلَفْتُ فلَمْ أَتْرُكْ لنفسِكَ ريبةً
وليسَ وراءَ اللهِ للمَرْءِ مذْهبُ [٣]

لَئِنْ كُنْتَ قدْ بُلِّغْتَ عني خِيانةً
لَمبْلغُكَ الواشي أَغَشُّ وأكْذَبُ [٤]

ولسْتَ بمُسْتَبْقٍ اخاً لا تَلُمُّه
على شَعَثٍ، أَيُّ الرِّجالِ المُهذَّبُ؟ [٥]

---

(٢) يقول النابغة: أصبحتُ من قلقي وخوفي أشعر كأني مريض اتقلب على فراشٍ من الشوك قد فرشته لي العائدات اللواتي يزرْنني وهذا الفراش الشائك يجدّد لي كل يوم.

(٣) حلفت بالله أني بريء فلم أترك شكاً في نفسك. وليس بعد الله يمين أحلفها.

(٤) إن الذي بلغك عني الخيانة هو وحده الخائن والكذاب.

(٥) إنك لا تجد إنساناً خالياً من بعض العيوب. فأي الناس المهذّب الكامل؟

رباب: أمَّا أنا فهلْ تسمحُ لِي أَنْ أَطْلُبَ أبياتاً في غير الاعتذارِ يا سيدي؟

النابغة: لكِ ما تشائينَ يا رَبابُ.

رباب: أُحِبُّ أَنْ أسمَعَ شيئاً حُلْواً ناعماً تتحدَّثُ فيه عن ذِكْرَياتِكَ، وأَيَّام شبابِكَ.

النابغة: أنتِ طفلةٌ ذكيَّةٌ يا ربابُ. لقدْ ذكَّرْتِني بقصيدةٍ أُحبُّها كثيراً، وأَعُدُّها من أَحْلى قصائدي. وقد أُولِعَ بها الرُّواةُ من بَعْدي، وأَحبُّوها مثْلي، حتّى أَنَّ بعْضَهُم عَدَّها من المُعلَّقاتِ.

عامر: وما هذه القصيدة؟ أنا أيضاً أريدُ أَنْ اسمعَ شيئاً حُلْواً ناعماً مثلَ رفيقتي رباب.

النابغة: سأَقْرأُ لكم أبياتاً رقيقة من تلك الرائيَّة الطويلة، وأَعْنِي قصيدتي التي نظمتُها على حرف الراء. وتحدَّثتُ فيها عن أيام الصِّبا، وعن نُعْمٍ، تلك

الفتاة الحُلْوة الناعمةِ التي كانتْ رفيقتي زمنَ الشباب. ما أجملَ تلك الأيام التي قضيناها في البادية، نلْعبُ ونلْهو، ونُنْشِدُ الأشعارَ، وننتقلُ من واحةٍ إلى واحةٍ، ومن غديرٍ إلى غديرٍ. لقد رحَلَتْ نُعْمٌ فيما بعدُ. ومررتُ يوماً بالمكان الذي عشنا فيه فترةً من الزَّمن. فوقفتُ أستعيدُ الذكرياتِ، ورأيتُ موضعَ الخيام، وآثارَ الدار، وقد أقفرَتْ من أهلها، ولعبتْ بها الرياحُ، فلم يبقَ منها إلاَّ بعضُ أحجارٍ متناثرةٍ هنا وهناك، وخندقٌ كنا نحفره حول الخيمةِ لكي نمنع دخولَ الأمطار إليها، ونسميه: النُّؤيَ.

رباب: لقد شوَّقْتنا يا سيدي إلى سماع هذه الأَبْيات.

عامر: صحيح يا شاعِرَنا. إننا بانتظار هذه النَّفحات الحُلْوة، وأعدُكَ أَنْ أُسجِّلَها في دفْتَري، وأحْفَظَها جيداً.

النابغة: هذه هي الأبيات. واعْذروني على بَعْضِ الكلماتِ الصَّعْبةِ.

رباب: ستشْرحُها لنا يا سيِّدي. وقد تعوَّدْنا أَنْ نحْفظَ كثيراً من هذه الكلمات. إنها لُغتُنا، وعلينا أن نفْهمَها.

النابغة: اسمَعي إذاً يا رباب. اسمعْ إذاً يا عامر:

عُوجوا فحيُّوا لِنُعْمٍ دِمْنَةَ الدَّارِ
ماذا تُحَيُّونَ من نُؤْيٍ وأحجارِ؟(٦)

أَقْوى وأَقْفَرَ من نُعْمٍ، وغَيَّرهُ
هُوجُ الرِّياحِ بهابي التُّرْبِ مَوَّارِ (٧)

وقفْتُ فيها سَراةَ اليوم أسأَلُها
عن آلِ نُعْمٍ أَمُوناً عَبْرَ أَسْفارِ (٨)

---

(٦) عوجوا: قفوا. انزلوا. دمنة الدار: الآثار التي تبقى متلبدة حولها. النؤي: الخندق الذي يحفر حول الخيمة لكي يمنع عنها المطر.

(٧) أقوى المكان: خلا. هوج الرياح: الرياح التي تعصف بشدة. هابي الترب: التراب الذي يطير في الهواء. موّار: متحرك بشدة. يجيء ويذهب.

(٨) سراة اليوم: وسطه. الأمون: الناقة القوية. عبر اسفار: تسافر من بلد إلى بلد بصورة دائمة.

فاستَعْجَمَتْ دارُ نُعْمٍ ما تُكَلِّمُنا
والدَّارُ، لو كلَّمتْنا، ذاتُ أَخبارِ (٩)

فما وجدْتُ بها شيْئاً أَلوذُ بهِ
إلاَّ الثُّمامَ، وإلاَّ موْقِدَ النارِ (١٠)

وقدْ أَراني ونُعْماً لاهِيَيْنِ بها
والدَّهْرُ والعيشُ لم يهْمُمْ بإمْرارِ (١١)

أَيَّامَ تُخبِرُني نُعْمٌ وأُخْبِرُها
ما اكتُمُ الناسَ من حاجِي وأسراري (١٢)

نُبِّئْتُ نُعْماً على الهِجْرانِ عاتِبةً
سَقْياً ورَعْياً لِذاك العاتبِ الزَّاري (١٣)

---

(٩) استعجمت: لم تنطق بحرف.
(١٠) الوذ به: الجأ إليه. الثام: نبتٌ ضعيف من نبات البادية.
(١١) لم يهمُمْ: لم يعزُم. الإمرار: من أمرَّ العيشُ: صار مُرّاً.
(١٢) الحاج: الحاجات مفردها: حاجة.
(١٣) الزاري: الغاضب. والمقصود بالعاتب الزاري نُعم التي يدعو لها بالخير.

سليمان العيسى

شعراؤنا
يقدِّمون أنفُسَهم
للأطفال

الجزء العاشر

١ - حاتم الطائي

٢ - السَّمَوْأَل

٣ - عُرْوَة بن الورد العَبْسي
« أبو الصعاليك »

حاتم الطائي

صباح الخير.. يا أطفال

أنا حاتم الطائي. كافأني التاريخُ أَضْخمَ مُكافأةٍ. فجعَلَ اسمي على كلِّ لسانٍ، وأصبحْتُ مَضْرِبَ المَثَلِ في الكرَمِ.

هناك كِرامٌ كثيرون في تاريخنا العربيِّ، رُبَّما كانوا أَحْسنَ مني، وأجودَ يداً، وأكثرَ فِعْلاً للخيْرِ، وحُبّاً للناس. لكنّي أنا الوحيد الذي كانتِ الشهرةُ من حَظِّي. وإني لَفخورٌ بهذه السُّمعةِ، سعيدٌ بهذا الحظِّ.

أنا يا صغاري شاعرٌ من شعراءِ الجاهليَّةِ، كنتُ احملُ في صدري روحاً إنسانيةً طيِّبةً، تُسمُّونها في هذا العَصْرِ

الرُّوح الاشتراكيةَ. والحقُّ أني كنتُ اشتراكياً بالفِطْرة، أَقْسِمُ كل ما أملكُ بيني وبينَ ضُيوفي. وأُرَفِّه عن الفقراءِ، وأُعينُهم، وأُنْقِذُ الأَسْرى ولو اضْطُرِرتُ إلى أَنْ أجْعَلَ نفْسي أسيراً بَدلاً منهم.

كنتُ أُحبُّ صعاليكَ العَرَبِ النُّبلاءَ الذين يعيشون أحراراً، ويجودون على الفقراء بما يكسبونه في غَزَواتهم. وأحتقِرُ اولئك الصعاليك الذين يعيشون من فضَلات الموائد، ولا يقاتلون من أجل شيء.

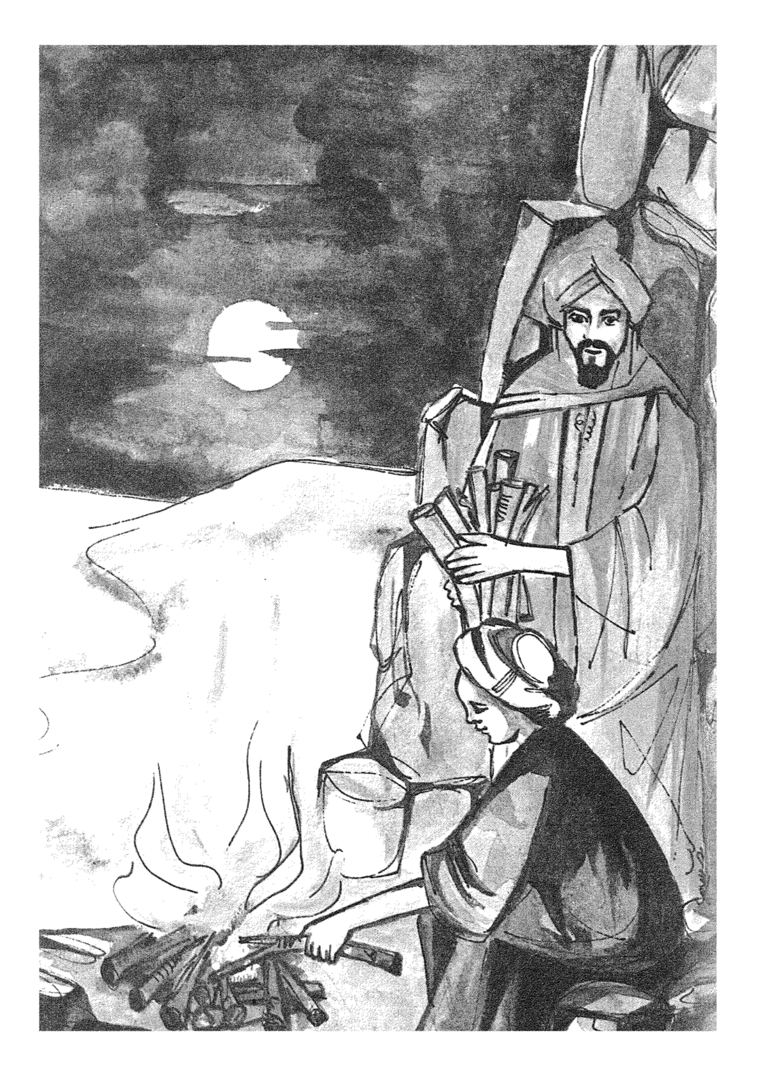
ورُبَّما ورثتُ الكرمَ عن أهلي. فقد كان أبي عبدُ الله بن سعد من أشراف قبيلة طي وساداتِها. وكانت أمي ذاتَ مالٍ ويَسارٍ، ولكنها لا تُمْسِكُ شيئاً تمِلكُه، ولا يسأَلُها أحد شيئاً فتمنَعُه. كانت من أكرم الناس، وأَقْراهم للضيف، حتى أَنَّها أنفقتْ مالَها كلَّه في العطاءِ، وتعرَّضتْ للفقر والجوع، ولكنها لم تتخَلَّ عن كَرمِها وحُبِّها للناس في يومٍ من الأيام. وانتقلَتْ عادةُ الكَرَمِ إلى ابنتي سَفَّانة، فكانت كذلكَ من أجود نساء العربِ، هذا ما قاله الناسُ عنها، ورواه التاريخُ. كنتُ أُعطيها القطْعة بعد القطْعةِ من الإبلِ، فتهبُها، وتُعطيها الناسَ. حتى قلتُ لها ذات يومٍ:

« يا بُنَيَّتي.. إمَّا أَنْ أُعْطي وتُمْسِكي، أو أُمْسِكَ وتُعْطي.» فقالتْ: « واللهِ، لا أُمْسِكُ أبداً » أَيْ: لا أَتوقَّفُ أبداً عن العطاءِ. قلتُ لها: « وأنا لا أُمْسِكُ » قالت: « خيرٌ لنا أَلاَّ نتجاورَ إذاً.» فنزلتُ عند رغْبَتها، وقاسمتُها مالي. وعاشتْ بعيدةً عني.

تُوفيَ والدي وأنا صغير، فعشتُ عند جَدِّي. وكان رجلاً كريماً أيضاً. ولكنه لم يستطعْ أن يتحمَّل إسْرافَ حفيده، وجنونَه في العطاء، فتركني، وعاش بعيداً عني.

حتى زوجتي ماوِيَّة، المرأةُ التي كنتُ أحبُّها وتحبُّني، اضطُرَّت إلى أن تُطلِّقني، خوفاً من أن أتركَ أولادي فقراء، لا يملكون شيئاً يستعينون به على الحياةِ بعد موْتي.

أخباري كثيرة. فماذا أَرْوي لكم منها يا صغاري؟ أُفضِّلُ أن أتركَ التاريخَ يرْويها لكم بنفسه. إني لم أفْعلْ إلاَّ ما يفعْلُه الإنسان الذي يُحبُّ الخيرَ، ويَرَى الحياةَ كالينْبوع المتدفِّق، يسْقي ما حولَه، دونَ أن يسأَل: لماذا يسْقي، وماذا يسْقي؟ إنها طبيعته. وقد كنتُ كالينْبوع، أعيشُ بطَبيعتي دون تكلُّفٍ، ولا حسابٍ للعواقب.



كنتُ إذا أَقْبلَ الليلُ، والليلُ قاسٍ شديدٌ في الصحراء أَيَّامَ الشتاءِ، أُوعزُ إلى خادمي أَنْ يُوقدَ النارَ في مكانٍ مرتفعٍ من الأرضِ، لينظُرَ إليها منْ ضَلَّ الطريقِ، ويأتي إلينا. كنتُ أقول للغلامِ :

أَوْقدْ، فإِنَّ الليلَ ليلٌ قَرُّ
والرِّيحُ يا موقِدُ ريحٌ صِرُّ
عسى يَرى نارَك من يَمُرُّ
إِنْ جَلَبَتْ ضَيْفاً فأنت حُرُّ[1]

والآن، هلْ تحبُّون يا صغاري أَنْ أُسجِّل لكم شيئاً من شِعْري؟ الطريفُ أَنَّ الناسَ جميعاً يذكرونَ كَرَمي، وينْسوْنَ أَني شاعِرٌ.

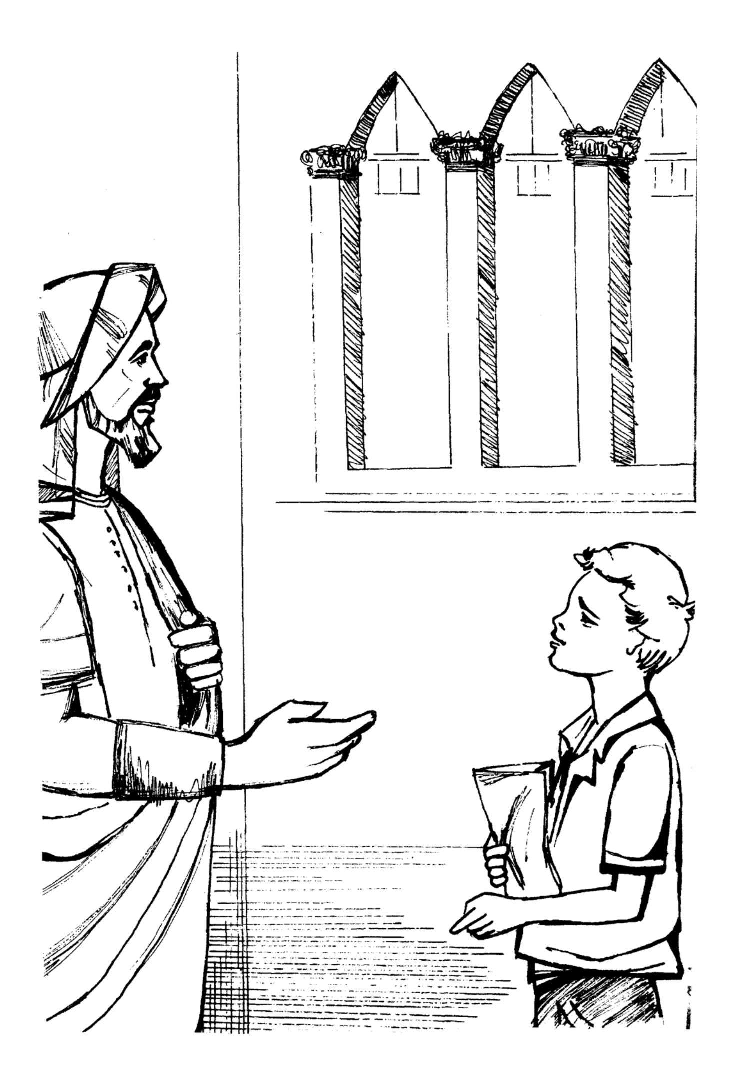
(١) قر: شديد البرودة. ريحٌ صرٌّ: ريح قارسة مؤلمة. أنت حر: أي أن الشاعر سيحرره ويطلق سراحه إذا جاءت النار بضيف إليه.

خُذوا هذا المقطَعَ الذي عاتبتُ فيه زوْجَتي ماوِيَّة، لأنها كانتْ - كما قلتُ لكم - تلُومني على العطاءِ والإسْرافِ. لقد شرحتُ في هذه الأبياتِ فلْسَفتي في المال، وحاولْتُ أَنْ أُقْنِعَ زوْجتي أَنّ الانسانَ بسيرته الحَسَنةِ، وليس بمالِه ولا بثروتِه. كلُّ شيءٍ يزولُ، ويبقى الذكرُ الحميدُ، والفِعْلُ النبيلُ، اسمعوا ما قلتُ لماوِيَّةَ:

أَماوِيَّ، إِنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ
ويبْقى من المالِ الأحاديثُ والذِّكْرُ[٢]
أَماوِيَّ، إنِّي لا أَقولُ لِسائلٍ
إذا جاءَ يوماً: حَلَّ في مالِنا نَزْرُ[٣]

---

(٢) أي أنّ المال يذهب ويعود. ولا يبقى للإنسان إلاّ السمعة الحسنة والذكر الحميد. فلماذا نحرص على كل شيء يزول. ونترك شيئاً يبقى على الدهر؟
(٣) لا أقول لطالب معروف جاءني: لقد حلت في مالنا القلة. وليس عندنا ما نعطيكَ.



أَماوِيَّ ما يُغْني الثَّراءُ عنِ الفَتَى؟

إِذا حَشْرَجَتْ نفْسٌ وضاقَ بها الصَّدْرُ،[٤]

أَماوِيَّ، إِنْ يُصْبِحْ صدايَ بِقَفْرةٍ

منَ الأرضِ، لا ماءٌ هناكَ ولا خَمْرُ،[٥]

تَرَيْ أَنَّ ما أَهْلَكْتُ لم يَكُ ضَرَّني

وأَنَّ يَدي مِمَّا بَخِلْتُ به صِفْرُ،[٦]

وقد عَلِمَ الأَقوامُ لو أَنَّ حاتماً

أرادَ ثَراءَ المالِ كان لهُ وَفْرُ

---

(٤) الحَشْرَجة: الغَرْغرة. وتردُّدُ النفس عند الموت. أي: لا يجدي الغنى شيئاً ساعة الموت.

(٥) الصدى: الجُثة. ويريد هنا القبر.

(٦) أهلكت: هنا انفقتُ. يدي صفر: فارغة لا شيء فيها.

السَّمَوْأَل

أَوْلادي الصِّغار

لا تُتْعبوا أَنْفسَكم في البحْثِ عن حياتي وآثاري. فأنا واحدٌ من الشُّعراءِ الذين خلّدهُم التاريخُ بحادثةٍ، وقصيدة.

أَمَّا الحادثةُ فسوفَ أَرويها لكم الآن. وأَمَّا القصيدةُ فقد غدتْ من أَشْهَرِ القصائد في الأَدَبِ العربي. وسأختارُ لكم بعْضَ أَبياتها لتحْفظوها، وتُردِّدُوها، كما حفِظَها آباؤكم من قَبْلُ وردَّدوها.

أنا السَّموْأَل بن عادِيا، عربيٌّ صميمٌ منْ شُعراءِ العَصْرِ الجاهلي. اقترنَ اسمي باسْمِ حِصْنٍ يُدْعى تيْماء. فصِرْتُ أُدْعى: صاحبَ تَيْماء، أو صاحبَ « الأَبْلَقِ الفَرْد ». وقد كنتُ أَدينُ باليَهوديَّةِ قبلَ الإسلام، فلا تستغرِبوا إذا

وجدْتُم بعضَ المؤرخين يُضيفون كلمة « اليهودي » إلى جانبِ ٱسمي. إني أعتزُّ بعُرُوبتي. وستروْنَ في قصيدتي صورةَ الانسانِ العربيِّ الأصيلِ.

أمَّا « الأَبْلَقُ الفَرْدُ » الذي كنتُ أسكنُ فيه فهو حِصْنٌ يُشْرِفُ على تيماء، ويقعُ بينَ الحجازِ والشام، على طريقِ القوافلِ والمسافرين. وكانَ العربُ ينزِلون ضيوفاً عليَّ، فيجـــدونَ في هـــذا الحِصْنِ أكرمَ أنواعِ الضيافـــةِ والاستقبالِ.

وعندما سافرَ امرؤ القيْسِ، الشاعرُ المعروفُ، إلى القُسْطَنطينيَّةِ، ليستنجدَ بقيْصَرِ الرومِ، بعد مقْتلِ أبيه، مَرَّ بي، وأَوْدَعني دروعَه وأسلحَتَه الثمينة. ولم يعُدْ بعد ذلكَ. فبقيتِ الوديعةُ عندي. ولما سمعَ الحارثُ بن أبي شمَّر الغسانيُّ بأمرها، جَرَّد جيشاً، وجاء ليأخُذَها مني بالقوة. فلجأتُ إلى « الأَبْلَقِ الفَرْدِ »، وتحصَّنْتُ به، ورفضْتُ تسليم الوديعة التي ائتُمِنتُ عليها إلاّ لأصحابها.



وحدث في ذلك اليوم أنّ ابني كان في الصيد، فقبضَ عليه الحارثُ. وجاء به إلى الحصْن، على مرْأى مني، وقال لي: «إنّي قد أسرْتُ ٱبنَكَ. فادفَعْ إليَّ الدُّروعَ التي في حوْزَتِكَ، وإلاّ ضربْتُ عُنُقَه.» فأبيتُ أنْ أخونَ عهْدي، وأُسلِّمَ الأمانة لغير أصحابِها، وآثَرْتُ قتْلَ ٱبني على أنْ أخونَ العهدَ، وأُسيءَ إلى الوفاءِ والصِّدْقِ.

وهكذا فُجعْتُ بولَدي، ولكنّي حافظْتُ على كلِمتي، وشَرَفي. وكافأَني التاريخُ على هذا الموْقفِ، فأصبحتُ مضْرِبَ المثَلِ في الوفَاءِ.

تلكَ هي الحادثةُ التي رفَعَتْني إلى مَصَافِّ الرجالِ الخالدين. وأنا فخورٌ بها. فما قيمةُ الحياة إذا خَسِرْنا إنسانيَّتنا وشرَفَنا يا أَولادي؟

سأختارُ لكُمُ الآنَ مقْطعاً من قصيدتي اللاميَّةِ التي عاشَتْ على مَرِّ العُصورِ، أنشودةً من أناشيدِ الرُّجولة، وصورةً من صُوَرِ الصحراءِ، والقيمِ، والأخلاقِ العربيَّة النبيلة.

غَنُّوا معي هذه الأبْياتَ الجديرة بالتلحينِ والغناءِ:

إذا المَرْءُ لم يَدْنَسْ من اللؤْمِ عِرْضهُ
فكُلُّ رِداءٍ يَرْتديهِ جميلُ[1]

وإنْ هوَ لم يحمِلْ على النفسِ ضَيْمَها
فليسَ إلى حُسْنِ الثناءِ سبيلُ[2]

تُعَيِّرُنا أَنَّا قليلٌ عَديدُنا
فقلتُ لها: إنَّ الكرامَ قليلُ

وما قَلَّ مَنْ كانتْ بقاياه مِثْلَنا
شَبَابٌ تَسامَى لِلْعُلى وكُهولُ

لَنا جَبَلٌ يَحْتَلُّه مَنْ نُجيرُهُ
مَنيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وهْوَ كليلُ[3]

رسا أَصْلُه تحت الثَّرى وسَما بِهِ
إلى النَّجْمِ فَرعٌ لا يُنالُ طويلُ[4]

---

(١) اللؤم: كلمة جامعة للخِصال المذمومة كلها. يقول الشاعر: إذا لم يلوث شرف الانسان باكتساب العادات الذميمة فأي ملبس يلبسه بعد ذلك يكون جميلاً.

(٢) إذا لم يستطع الإنسان أن يقهر نفسه. ويتحمل الشدائد والصعاب. فلن يصل إلى السمعة الكريمة.

(٣) نجيره: نحميه. منيع: حصين. الطرف: البصر. كليل: تعِب.

(٤) الثرى: التراب. الأرض. سما: ارتفع.

تَسيلُ على حَدِّ الظُّباتِ نفوسُنا
وليستْ على غيرِ الظُّباتِ تسيلُ[٥]

فنحنُ كماءِ المُزْنِ ما في نِصابِنا
كَهامٌ، ولا فينا يُعَدُّ بَخيلُ[٦]

وما أُخْمِدَتْ نارٌ لنا دُونَ طارقٍ
ولا ذَمَّنا في النازلينَ نَزيلُ[٧]

سلي إِنْ جَهِلْتِ الناسَ عنَّا وعنهُمُ
فليسَ سواءً عالِمٌ وجَهولُ

---

(٥) حد الظبات: حد السيوف.
(٦) ماء المزن: ماء المطر الصافي. الكهام: السيف الذي لا يقطع.
(٧) الطارق: الذي يأتي ليلاً. النزيل: الضيف.

عُرْوَةُ بْنُ الوَرْد

« أَبو الصَّعاليك » ★

عامِر: أنا الآنَ معَ عُرْوةَ بْنِ الوَرْدِ، عُرْوةِ الفقراءِ والبائسينَ. سيِّدي الشاعرَ الفارسَ. صباحُ الخير.

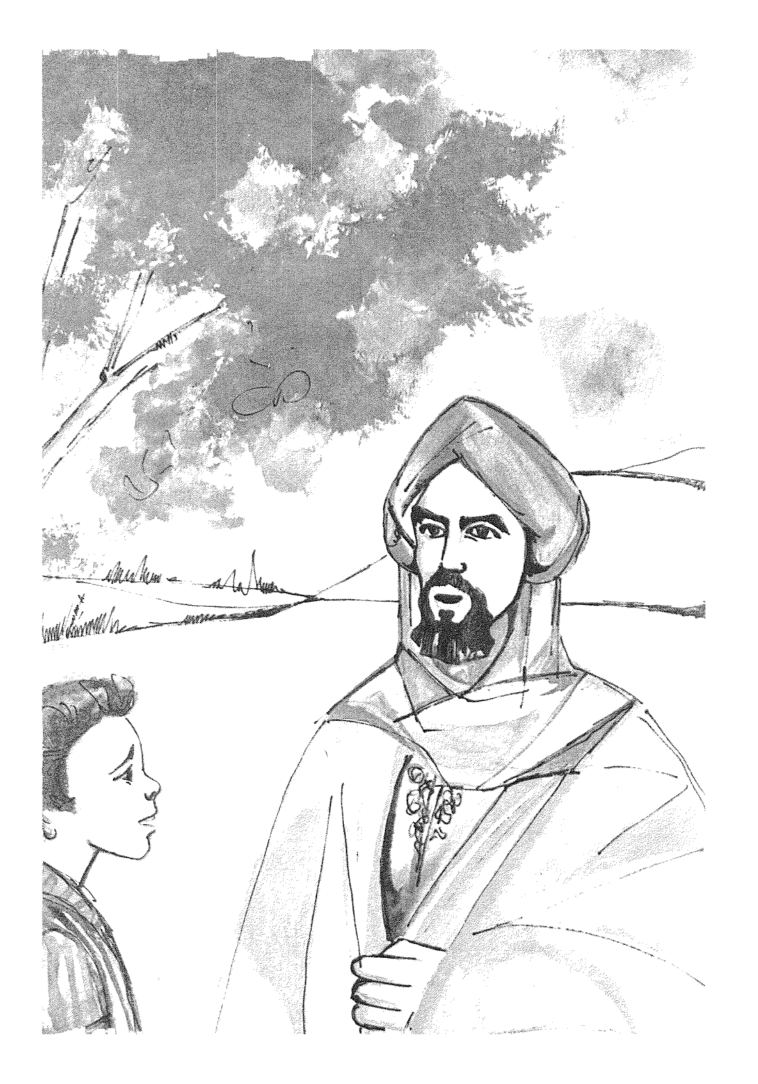
عُروة: صباحُ الخير.. يا ولدي.

عامر: أنا عربيٌّ صغيرٌ. جئتُ هذه المرةَ وحْدي. كي أَتحدَّثَ إلى شاعرِنا وفارِسنا القديم. وأقدِّمَه إلى أطفال العَرَبِ في بَرامجِ « التلفزيون العربي » الخاصَّة بهمْ.

عُرْوة: مَرْحباً، وأهلاً بكَ أَيُّها العربيُّ الصغيرُ. سيكونُ حديثُنا شائقاً. وسأكون سعيداً أَنْ أَظْهَرَ في بَرامجِ الأطفالِ. لقد حدَّثوني عنها. هذا شيءٌ جديدٌ. جديدٌ كلَّ الجِدَّة على شاعرٍ يأتي من أَعماقِ الجاهليَّةِ. قلْ ما تشاءُ يا صَغيري. أنا تحْتَ تصرُّفِكَ.

عامر: سمِعْتُ أَنَّك قادمٌ إلينا، تُلْقي نظرةً على هذه الدُّنيا العربيةِ بعْدَ الغياب الطويلِ. فأسرَعْتُ

★ أخذت بعض فقرات هذا الحديث من مقدمة ديوان « عروة بن الورد ».



إليكَ يا سيِّدي، أُجري هذه المُقابلةَ معَكَ. وإني فخورٌ بهذا اللقاء. إسْمي عامِرٌ. اسمَحْ لي أَنْ أَبْدأَ الحديث.

عُروة: تفضَّلْ يا عامِر. قُلت: إني تحتَ تصرُّفِكَ.

عامر: أنتَ الشاعرُ الفارسُ عُرْوةُ بْنُ الوَرْدِ. أعرِفُ اسمَكَ جيداً يا سيِّدي. وأُحبُّ هذا الاسمَ كثيراً، وأُعْجبُ به.

عُروة: شكراً يا صغيري. بدأْتَ تغْمُرني بلُطْفكَ وكرَمِكَ.

عامر: حياتُك يا سيِّدي دَرْسٌ عظيمٌ في النبلِ والكرمِ.

أنت الاستاذُ، ونحنُ التلاميذُ. منذُ أيامٍ.. اشتَرَى لي أبي ديوانكَ المطبوع. وفيه الكثيرُ من أخبارِكَ وأشعارِكَ. وقد استهوَتْني حياتُكَ الرائعةُ، وحفظْتُ الكثيرَ منْ شِعْرِكَ الجميلِ.

عُروة: إذاً.. أصبح لي ديوانٌ مطبوعٌ؟ لكَمْ يَسُرُّني أَنْ اسمعَ ذلك!

عامر: وأنت تُدَرَّسُ أيضاً في مدارسِنا، كما يُدَرَّسُ سائرُ شعرائِنا الكبار، الذين يساهمون في تكوينِ الجيلِ العربيِّ الجديد.

عروة: الجيلُ العربيُّ الجديد! ما أجملَ أَنْ نكونَ معكم.. يا عامر.. نُجدِّد معاً شبابَ هذه الأمةِ العظيمةِ الخالدة!

عامر: سمعتُ أَنَّهم أَطْلقوا عليكَ اسمَ: «عُروةِ الصعاليك».

وقد سمعتُ بهؤلاء الصعاليك. وشُغفْتُ بأَخْبارِهم. ولكنّي أريدُ أَنْ أَسْتَزيدَ من معْرِفتي بهم. فمنْ هُم هؤلاءِ الصعاليكُ؟ لقد كانوا يَعُدونكَ أباهُمْ يا سيِّدي كما عَلِمْتُ. فهَلْ تُحدِّثنا قليلاً عنهم؟

عُروة: حُبّاً وكرامةً يا عامر.. اسْمعْ يا وَلَدي..

في قلبِ الجزيرةِ العربيةِ..

وفي العهْدِ الجاهليِّ.. منذُ الفِ وخَمْسِمائةِ عامٍ،

بَدَتْ ظاهرةٌ رائعةٌ لها معْناها البعيدُ.

فِئَةٌ منَ المُضْطَهَدين، أَنْكروا على مُجْتمعِهم ما فيه من ظُلْمٍ، بالرَّغمِ من تماسُكِه القَبَلي الشديد،

وأنْكروا مــا يُصيب الفُقَراءَ والمساكـينَ منْ حِرْمانٍ.. ثُمَّ لم يكتَفوا بالإِنْكار اللَّفْظيِّ، أيْ بالكلام فقطْ.. بلْ أَلَّفوا طبَقةً من الثوار، نعَمْ، الثوار بكلِّ معنى الكلمةِ.. وجرَّدوا السيفَ، دفاعاً عن حَقِّهم، وحقِّ إِخْوانهم البائسين في العيش. فنفتْهم القبائلُ، وجرَّدهم المجتمعُ من حُقوقهم في العشيرةِ، وتألَّبَ [١] عليهم الناسُ، يُهْدِرون دِماءَهم [٢]، فلا ينالون منهم شيئاً. وظلَّتْ هذه الفئَة الثائرةُ يا بُنيّ، رمْزاً حيّاً، وأَنْموذجاً رائعاً للمُضْطهَدين الأُباةِ، في كلِّ بُقْعةٍ من بِقاع العالَمِ. لا يُرْضيهم توزيع الثَّرواتِ، ولا يُقْنِعهم الفُتــات على موائــد الأغنيــاءِ، ولا يُخْضِعون الرِّقــابَ للسادة المُتَحكِّمــين. بَــلْ

---

(١) تألّب: تجمَّع.

(٢) يُهدِرون دماءهم: يستبيحون قتلهم لمن يشاء.

يُثيرونَها حرْباً شَعْواءَ على كُلِّ ظُلْمٍ، ومعركةً ضاريةً على كُلِّ فقْرٍ، فإذا هُمْ ضَرْبٌ من المَرَدةِ والشياطينِ، سمَّاهُم العَرَبُ، في جزيرة العَرَبِ، «ذُؤْبانَ ٱلعَرَبِ وغِرْبانَها»[٣]، وسمَّاهم غير العَرَبِ أسماءً مختلفةً يجْمَعُها أمرٌ واحدٌ هو:

الرَّغْبةُ في توزيع الثروات توزيعاً عادلاً جديداً..

الرغبةُ في أَنْ يكونَ الفقيرُ ثائراً.. كي لا يكونَ متسَوِّلاً..[٤]

وأَنْ يكون المحرومُ حاملاً للسيف والرمح في طلب الرِّزْقِ، قبل أَنْ يكون خادماً لنساءِ الحيِّ..

عامر: تابعِ حديثَكَ الرائعَ يا عمَّاه! إني أُسجِّلُ كلَّ كلمةٍ تقولُها. وسأذيعُ كلَّ كلمةٍ تقولُها على ملايين

---

(٣) الذؤبان: جمع ذئب. الغِربان: جمع غراب.

(٤) المتسول: الشحَّاذ.

الأطفالِ العَرَبِ، وغيرِ العَرَبِ، من إِخْوتِنا وأَصْدقائنا في كلِّ مكان.

عُروة: حسَناً يا بُنيَّ. انتَ بهذا العملِ تُساهم في الثورة، في صُنْعِ المستقبلِ العظيم. دعْنا إِذاً نواصِلْ حديثَنا..

عامر: تفضَّلْ يا سيدي.

عُروة: هذه الظاهرةُ ذاتُ المعنى العميق، والدِّلالة البعيدة، في جزيرتِنا العربية، وفي جاهِليَّتِنا.. هيَ ظاهرةُ «الصَّعْلكــــةِ». وهؤلاءِ الثوَّارُ المُتَمرِّدون الرجالُ همُ «الصعاليك».

هؤلاءِ الصعاليكُ كانوا في مُجْتمعاتِهمْ رجالاً أَسْوياءَ، عُقلاءَ، يتصرَّفون في الحياةِ كما يتصرَّفُ غيرُهم من الناس. ولكنَّ المجتمع حرمَهم كلَّ وسيلةٍ من وسائل العَيْشِ والكَسْبِ والعملِ، فذاقوا مرارةَ الجوع والحرْمانِ. كان بعْضُهم يسْتَفُّ ترابَ الأرضِ كي لا يتحملَ منَّةَ الأغنياءِ المُترَفِّين عليه وعلى أمثالِه.

عامر: ليسَ له إلاَّ الثورة.. ليس له إلاَّ السيفُ إذاً، يأخُذُ به حقَّه في هذه الحالةِ..

عُروة: نعَمْ يا بُنَيَّ.. وهذا ما فَعَله هؤلاءِ الفتْيانُ. لقد وَجَدوا أَنْفسَهم أَمامَ أَمْرينِ لا ثالث لهما:

إِمَّا أَنْ يرْضوا بالجوع والحرْمانِ، ويعيشوا على فُتات الموائدِ، على الصَّدقاتِ والعطايا الذليلةِ.

وإِمَّا أَنْ يرْفضوا الجوعَ والحرمانَ، ويعيشوا ذُؤْباناً وصعاليكَ، ينالون قُوتَهم بسُيُوفِهم، ويركضُون وراءَ رزْقِهم، وحقِّهم في الحياةِ، بأَرْجُلٍ تُسابِقُ الخيلَ والطيرَ ووحوشَ الفَلواتِ.

فإذا نالوا رِزْقَهم فذاكَ..

وإِلاَّ ماتوا أَبْطالاً شُرَفاءَ..

عامر: هذا ما يختارُه كلُّ حُرٍّ شريفٍ يا سيِّدي.

عُروة: نعمْ يا عامر. لقد اختارَ الصعاليكُ ما يختارُه كلُّ إنسانٍ نبيلٍ شريفٍ. لقد رفَضوا الذلَّ، رفضوا الفَقْرَ والحرْمانَ، وكوَّنوا طبقةً من الثائرين بلَغَ

عددُها في قبيلةِ هُذَيْلٍ وحْدَها أَرْبعينَ صُعْلوكاً، كُلُّهم من العدَّائين.[5]

عامر: هل تذكُرُ لي يا سيِّدي أَهمَّ الميزَات التي قامتْ عليها ثورةُ الصعاليكِ؟ واسمَحْ لي أَنْ أُسَمِّيها ثورة.. من الآن فصاعداً.

عروة: بكلِّ سرورٍ يا وَلَدي.
كان ابرزَ ميزةٍ من ميزاتِ تلك الثورة هو التمرُّدُ على الفوارِق الطَّبقيَّةِ بين الناس، والتمرُّدُ على الفوارق العِرْقيَّة. أَرادَ مُجْتمعُهم أَنْ يُعامِلَهم معاملة العبيدِ، فثاروا عليه، وفَرَضوا حُرِّيتَهم فَرْضاً.

عامر: رائع.. رائع.. الحريةُ تُؤْخَذ ولا تُعْطَى. هذا ما تعلَّمناهُ.. وهذا هو الذي حدَثَ على مَرِّ العصور.

عروة: والميزةُ الثانية التي امتازَ بها الصعاليكُ يا عامرُ هي الشجاعة والإقْدامُ. كانوا لا يَروْنَ معنىً للخوف، وكان الموت في أفواهِهمْ أَعْذَبَ من الشهدِ وأَحْلى.

---

(٥) العدَّاء: الذي يركض بسرعة فائقة.



كانوا يمْشون في الليالي السُّودِ، وفي الصقيع والـبرْدِ، حينَ تـأوي الثعالبُ الى أوكارها، والضِّباعُ إلى جُحورها، يطْلبون الرِّزْقَ، وليس لهم صديقٌ إلاَّ سيوفُهم ورِماحُهم، حتى تأوي إليهم، وتأْنس بهم وحوشُ الصحراءِ.

والميزةُ الثالثةُ: أَنَّهم حين ثاروا، لم يَنْسوا إِخوانَهم الـذين أَقْعدهمُ المرضُ والشَّيْخوخةُ، فكانوا يُعْطونَهم، ويُقاسِمُونَهم مـا يكسِبُون. ورُبَّما زادوا على ذلك، فَحَرموا أَنْفسَهم الطعامَ، وفرَّقوا طعامَهُم على الجائعين، واكتفَوْا بالماءِ البارد.

أَمَّا الكَرَمُ فقد كان صفةً من صفات العرَبِ جميعاً. ولكنَّ كرَمَ الصعاليكِ يمتازُ بأَنَّه يُمثِّل الإيثار بأَجْملِ معانيه وأَنْبَلها، والإيثارُ يا بُنَيَّ هو أَنْ تُفضِّلَ غيْرَك على نفسِكَ، إنَّه ذرْوةُ الأَخْلاقِ.

إلى جانب هذه المزايا الإنسانيةِ لا تنْس يا عامرُ أَنَّ زُملائي الصعاليكَ كانوا شُعَراءَ، وكان الشعرُ الذي نقولُه، ونُرْسِله في جنَباتِ الصحراءِ، قوياً، حارّاً، صادقاً، لا صَنْعةَ فيه ولا تكلُّف. إنَّه مثْلُ حياتِنا ابْنُ الطبيعةِ البِكْرِ الصَّافيةِ.

عامر: وفي طليعة هؤلاءِ الشعراء يأْتي اسمُك يا سيِّدي.

عروة: ما أنا إلاَّ واحدٌ منهم يا وَلَدي. وشكراً لهم إِذا أَثْنوا عليَّ، ووضعوني في المقدِّمة.

عامر: هل تُحدِّثُنا قليلاً عن نفْسِك يا عمَّاه.. بعد أَنْ سمعْنا عن زُملائكَ هذا الحديثَ الممْتِعَ؟

عروة: كان أبي أوَّل منْ ثُرْتُ عليهم يا بُنيَّ. لعلَّكَ تستغرِبُ أَنْ يثورَ ولدٌ على والِدِه. لكلِّ أَبٍ حقٌّ على أبنائه لا يُنكرُه أَحدٌ. وقد كنتُ أُحبُّ والدي وأَعرِفُ واجبي نحْوه، ولكنَّه ظَلَمني، وأَهْملني، وكان يُفَضِّلُ أخي عليَّ في كلِّ شيء. فرفضْتُ هذه المعاملةَ، وتمرَّدْتُ عليها.

وثُرْتُ على الأغنياءِ الذين كانوا يكدِّسون الأموالَ، ولا يُعْطون شيئاً منها للمحتاجين، ويأكلون حقوقَ الناسِ. وهجوتُ أغنياءَ قبيلتي بني عَبْسٍ المعروفة.

كنتُ أجمع الفُقراءَ المحرومينَ، وأُعلِّمهُم فنون القتالِ، وأبثُّ فيهم روحَ الشجاعة والإقدامِ، وأحُضُّهم على الثورةِ. لماذا لا تقاتلون من أَجْلِ حقِّكم في الحياةِ؟

هيَّا أَيُّها الضُّعفاء! إحْملوا السيفَ، وسوفَ تُصْبِحون أَقْوياءَ، يهابُكم الناسُ، ويحْسبون لكم الفَ حساب.

وهكـــذا، كـــان الفقراءُ يجتمعون حولي، ويُسلِّموني زمامَ القيادة، ثمَّ أَمْضي بهم إلى الغَزْو.

كانتْ آمرأتي تحبُّني، وتُقدِّرني كثيراً. ولكنها كانت تلُومني على الغَزْوِ، لأنها تخافُ عليَّ أَنْ أُقتَلَ. وكنتُ أَرى أَنَّ الموتَ الكريمَ اجملُ من الحياة الذليلة كما قُلْتُ لك سابقاً.

كنتَ ترانـــي مرةً في نجدٍ، ومرةً في الحجازِ، ويوماً في السهول، ويوماً في الجبالِ، أقطعُ كلَّ أرضٍ يخافُها الأبطالُ.

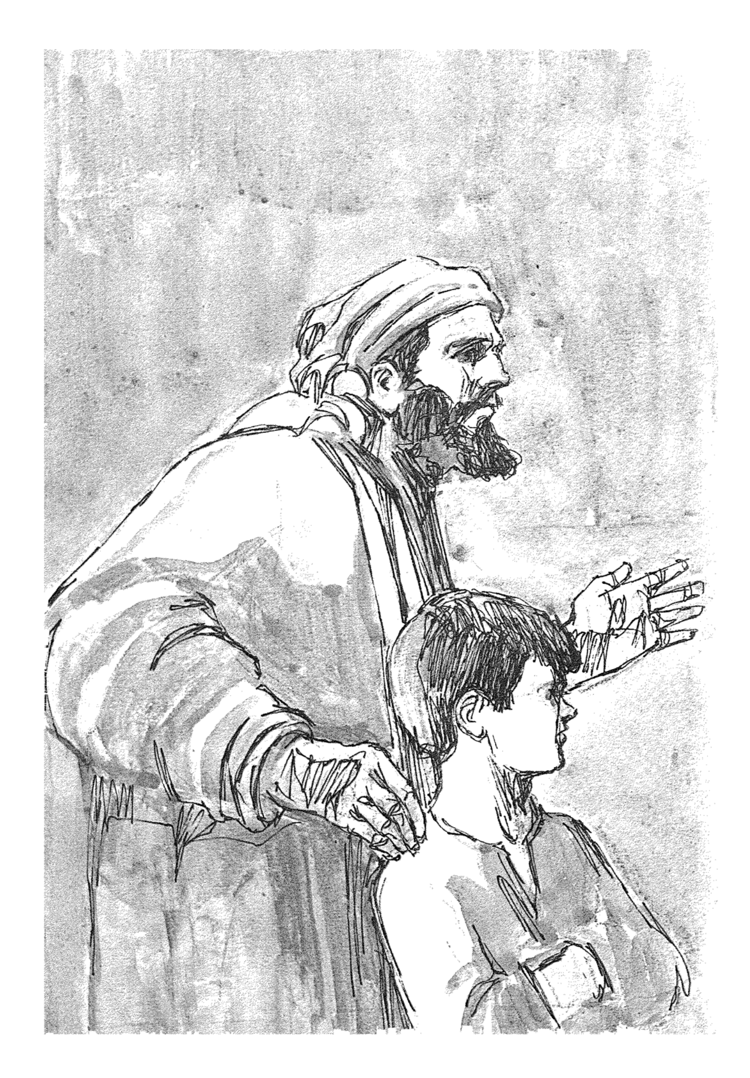
أرحِّبُ بالضيف أينما وجدتُه، أقاسمُهُ طعامي ومالي إذا كان محتاجاً.

عامر: ومن أجل هذه الصفاتِ النبيلة تمنَّى الخليفةُ الأُمويُّ عبد الملكِ بن مروانَ أن يكون عروةُ بْنُ الوردِ أباه، من بين سائر العَرَبِ.

عروة: شكراً للخليفة الأُمويِّ عبدِ الملكِ. هذا تكريمٌ عظيمٌ لعمِّك. أرجو أن أكون جديراً به يا وَلدي.

عامر: إنك لجديرٌ به يا عماه.. ما في ذلك شكٌّ.

عروة: إذا قرأت أشعاري يا عامر وجدتَ قصَّة حياتي، وصورة نفسي في هذا الشعرِ الذي قُلته. آه: ما أَجملَ الشعرَ.. وما أَرْوع أَنْ يكون الانسان شاعراً يا بُنيَّ!



عامر: هل تذكرُ لي حادثةً طريفةً مرَّتْ في حياتك؟ اعرف أنَّك فارسٌ من فرْسانِنا الذين لا يهابون الموتَ. ولكني أريدُ واحدةً من أَطْرف الحوادث التي عرفْتَها، أَنْقُلُها لرفاقي في هذا اللقاء.

عروة: كما تشاءُ يا عامر. الحادثة التي سأَقُصُّها عليك قد تبدو لك سخيفةً مُضْحكة.

عامر: سأُسجِّلُها مهما كانتْ. فأرجو الاَّ تبْخل بها عليَّ.

عروة: اسمع يا بُنيَّ. كان اليهود يزْعمون أَنْ منْ دخلَ خيبَر، فعليه أَنْ يزْحفَ على يديه وبَطْنه..

عامر: يَزْحفُ على يديه وبطْنه؟..

عروة: وليتَهم اكتفوا بذلك. كانوا يزْعمون أَنَّ حِصْنَ خيْبَر الذي يسْكنون فيه شيءٌ فظيعٌ. لذلك يجبُ على كلٍّ من يدخُله أَنْ يزْحفَ على يديْه وبَطْنه، وأَنْ ينْهقَ عشْرَ مرَّاتٍ، كما ينْهقُ الحمارُ، كي لا تُصيبه الحُمَّى، ويموت.

وجئتُ أنا ذات يوم إلى خيْبَر..

عامر: وهلْ زحفْتَ على يديك وبطْنك يا عمَّاه؟

عروة: لا. يا عامر.. كنتُ قانعاً أَنَّ هذا العمل ليس إلاَّ نوعاً من أنواع الدَّجل، والكذب، لجأ إليه اليهودُ، وأَدخلوه في معْتقداتهم، لكي يُوهموا الناسَ أَنَّهم شيءٌ خارقٌ. ولذلك دخلْتُ خيْبَر

مرفوع الرأسِ، وسيفي في يدي، وصرخْتُ في وجهِ الذين تجمَّعوا حولي: إذا كان نَهيقُ الحمير يُنْجيني من الموتِ فانّي أُفضِّلُ الموت الف مرةٍ على أَنْ أَقومَ بهذا العمل السخيف.

عامر: حادثـةٌ طريفـة.. ولكنَّهـا في رأيي تستحـقُّ التسجيل يا سيِّدي. إِنَّ الصهيونية ما تزالُ تكْذِب على البشريَّة جمْعاءَ، وتزْعم أَنَّها شيءٌ خارقٌ.

عروة: ولماذا لا تنْسِفون هـذه الأُسْطورة الحمْقاءَ يا عامر؟

عامر: لقد نَسَفْناها في حربِ تشرين منذ عدَّة أَعوامٍ. وسيقْضي عليها فُرْسان العرب قضاءً مُبْرماً، ويُريحوا الإنسانيةَ من شُرورِها إنْ عاجلاً أو آجلاً.

ولكنْ.. كادَ الوقْتُ يُدْرِكنا، ولم نُسجِّل بعدُ شيئاً من شعرك الجميل يا سيِّدي.

عروة: حُبّاً وكرامةً يا ولـدي. سأختارُ لكَ بَعْضَ الأبيات نختِمُ بها هذا اللقاءَ الذي ستبْقى ذكراهُ في خاطري على الدَّوام.

عامر: وأنا على استعْدادٍ للتَّسْجيلِ.

عروة: إليك الأبيات يا صَغيري:

إذا المَرْءُ لم يَبْعَثْ سَواماً ولم يُرَحْ
عليهِ، ولم تَعْطِفْ عليهِ أقارِبُهْ[٦]

فَلَلْموتُ خيرٌ لِلْفتَى من حياتِهِ
فقيراً، ومِنْ مَوْلىً تَدِبُّ عَقارِبُهْ[٧]

وسائلةٍ: أَيْنَ الرَّحيلُ؟ وسائلٍ
ومَنْ يَسْأَلُ الصُّعْلوكَ أينَ مَذاهِبُهْ؟

مَذاهِبُهُ أَنَّ الفِجَاجَ عريضةٌ
إذا ضَنَّ عنه بالفَعَالِ أَقارِبُهْ[٨]

فلا أَتْرُكَ الإِخْوانَ، ما عِشْتُ، لِلرَّدَى
كما أَنَّه لا يَتْرُكُ الماءَ شارِبُهْ

وإنْ جارتي أَلْوَتْ رياحٌ ببَيْتِها
تغافَلْتُ حتَّى يسْتُرَ البيتَ جانِبُهْ[٩]

---

(٦) يقول الشاعر: إذا لم يكن عند الإنسان ما يكفيه من الماشية التي يرسلها إلى المرعى لتعود إليه في المساء. ولم يلق أي عطف من أقاربه. فإن الموت خير له من حياة البؤس والحاجة.

(٧) المولى: الصديق أو ابن العم القريب. تدِبُّ عقاربه: كناية عن الأذى الذي يسبِّبه هذا القريب.

(٨) الفجاج: الطرقات بين الجِبال. الفَعال: (بفتح الفاء): فعلُ الكرم والخير.

(٩) ألوت: رياح بيتها: ذهبت الرياح بالخيمة. أو رفعت جوانبها حتى ظهر من يسكن داخلها للعيان.



سلاسل الدار

- غنّوا يا أطفال (١٠ أجزاء)

للأستاذ سليمان العيسى

- شعراؤنا يقدّمون أنفسهم للأطفال

للأستاذ سليمان العيسى

- حكايات جميلة (١٠ أجزاء)

للأستاذ بيان صفدي

- سلسلة « صيّاح »

للأستاذ زكريا تامر

- تراثنا بعيون جديدة

في الإعداد